الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

أعمال اليوم الدراسي:

مظاهر التعدّد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد

جامعة سعيدة - يوم 06 مارس 2017

منشورات المجلس 2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الجزائرية

المجلس الأعلى للغة العربية

جامعة سعيدة

أعمال اليوم الدراسي :

مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر

بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد :
جامعة سعيدة، يوم 06 مارس 2017

منشورات المجلس: 2017

كـتاب: مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في تعليمية اللغة العربية في الجزائر

- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:** 208

الإيداع القانوني: السداسي الأول 2017
ردمك: 978-9947-821-95-4

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرونكلين روزفلت - الجزائر
ص. ب: 575 الجزائر _ ديدوش موراد
الهاتف: 021.23.07.24/25
الناسوخ:021.23.07.07

تنظم يوم دراسي بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد: يوم 06 مارس 2017 بجامعة سعيدة

الدّيباجة:

تتعرّض اللّغة العربية لمنافسة شرسة في سوق اللّغات على غرار الفرنسية، الإسبانية، اليابانية، والإنجليزية التي تحاول جاهدة الاستئثار بالفضاء اللغوي العالمي.

ولا شك أن إدراك المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لهذا الخطر ووعيها بالتحديات الكبرى التي تحيط بها في عصر العولمة الثقافية التي تمثل ظاهرة مهددة للهوّيات والخصوصيات، وللتنوع اللّغوي والثقافي، دفعها إلى دعوة الدول العربية إلى إقرار يوم عربي للغة الضاد يكون في أوّل مارس من كل سنة إبتداء من عام 2007 وذلك بضرورة الاهتمام باللغة العربية عموما في مجالات الثقافة والمعرفة التي أصبحت المعيار الحقيقي لتقدم الأمم وازدهارها عن طريق الترجمة منها وإليها خصوصا.

وبهذه المناسبة وتطبيقا لتوصيات الألكسو فإنّ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بمعيّة المجلس الأعلى للغة العربية - الذي رأى إشراك القطاعات ذات العلاقة وعلى رأسها قطاع التعليم العالي والبحث العلمي ممثّلا في جامعة د. مولاي الطاهر - سعيدة - يعتزمان تنظيم احتفائية مشتركة تليق بمكانة اللغة العربية وتبرز اهتمام الجزائر بها؛ كونها مكوّنا أساسا للهوّية إلى جانب الإسلام والأمازيغية؛ تتضمن محاضرات وإلقاءات شعرية.

رئيسة اللجنة العلمية ومنسقة اليوم الدراسي:

د. عمارية حاكم مديرة مخبر الترجمة والتأويل في ظل التواصل متعدد اللغات.

اللجنة العلمية:

- د. بهلول شعبان.
- د. عبيد نصر الدين.

لجنة التنظيم:

- د. بلحيارة خضرة.
- أ. نعيمة قروج.
- أ. مسافر فاطمة الزهراء.
- دحماني فاطمة الزهرة (طالبة ماستر)

كلمة السيدة منسقة اليوم الدراسي ورئيسة اللجنة العلمية للاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدي الخلق محمد الأمين.

- السيد المحترم والي ولاية سعيدة
- السيدة مديرة التربية الوطنية
- السيد الأمين الأعلى للمجلس اللغة العربية
- السيد مدير جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة
- السادة الفضلاء من السلطات المعنية ورجالات الدولة
- الأساتذة المحاضرون والمدعوون أعزائي الطلبة
- السيدات والسادة موظفي الجامعة بكل مؤسساتها
- السادة ممثلي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة

أيها الحضور الكريم قبل مباشرة كلمة افتتاح اليوم الدراسي بمناسبة الاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد، جدير بالذكر أن أذكر أنه يحتفى باللغة العربية في ثلاث مناسبات هي:

1. المناسبة الأولى تصادف 18 ديسمبر الذي يشير إلى اعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الأمم المتحدة منذ عام 1973.

2. المناسبة الثانية في 21 فبراير منذ 1999 بحسب ما أقرته الأمم المتحدة.

3. المناسبة الثالثة هي امتداد للمناسبة الثانية وتصادف الفاتح من شهر مارس ليكون هذا التاريخ تتويجا لنهاية نشاط (أسبوع اللغة العربية) الذي

يبدأ من 21 فبراير وينتهي يوم 01 مارس كما أقرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **الألسكو**.

ففي هذه المناسبات يلتقي الغيورون على اللغة والقائمون على شأنها للتداول في واقعها وآفاقها، وإن تنظيم الجماعة وهيئة المجلس الأعلى للغة العربية لهذا اليوم الهام كان من المفروض أن يشارك فيه ثلث من خيرة الأساتذة الباحثين من جامعة سعيدة وتلمسان وقسنطينة، وقد اعتذروا بسبب انتقال العالم اللساني الكبير الجزائري الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح –رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه- إلا أن هناك من شرفنا بالحضور من الأساتذة ومن ممثلي المجلس الأعلى للغة العربية وكذا طلبة الدكتوراه لمشروع اللسانيات وتعليمية اللغة العربية بجامعة سعيدة كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية.

أيها الحضور الكريم: مرحبا بكم باسمي وباسم اللجنة العلمية وباسم كل المنظمين أساتذة وطلبة وباسم جامعة سعيدة، الشكر لكم بالأمس واليوم وغدا ونظل نبغي دعمكم لكل المبادرات العلمية الأكاديمية الجادة على الاختلاف والاتفاق.

شكرا لكل الحضور الكريم، حضوركم شرف ودعم لنا، والتحية والسلام على كل الحاضرين بدءا وختاما.

خطاب اليوم العربي للغة الضاد [1]

كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

أ. د صالح بلعيد

السيد رئيس جامعة الطاهر مولاي بسعيدة؛

الفضلى رئيسة (مخبر الترجمة والتأويل في ظلّ التواصل المتعدّد اللغات)؛

زميلاتي زملائي الأساتذة؛

أيّتها الطالبات والطلبة،

السلام عليكم جميعاً، وبعد؛

ينال المجلسَ الأعلى الشرفُ بأن يَحطَّ اليوم في هذه الجامعة، ويكون طرَفاً في الاحتفائية التي تُقام بمناسبة **الاحتفاءباليوم العربي للغة الضاد**، بترشيح هذه الجامعة من معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي، ولم يكن الترشيح صُدفة، بل كان مدروساً ومختاراً لما لهذه الجامعة من كفاءات ومخابر وإمكانيات علمية؛ تضمن النجاح لمثل هذه الفعاليات. وفي هذه السانحة يجب ردّ الأفضال لذويها، ونرفع لمعالي الوزير آيات الشكر والتقدير على تعاونه الدائم مع المجلس الأعلى؛ والذي سبقَ أن أسهم في شراكة علمية، وبالذات في إحياء اليوم العالمي للغة العربية في الثامن عشر (18) من ديسمبر الماضي، كما قد أمر قواعده في جامعات: بومرداس، وتيزي-وزو، والمدرسة العليا للأساتذة باستضافة البروفيسور (علي القاسمي) في سلسلة من المحاضرات

[1] ـ أعدّ الخطاب للاحتفائية باليوم العربي للغة الضاد. وكان ذلك في 6 مارس 2017 بجامعة الطاهر مولاي بسعيدة.

بدعوة من المجلس، ونرجو في لاحق من الزمان أن يتواصل هـذا التعـاون في إنجاز ملتقيات وأيام دراسية، ولمْ لا يمسّ مثـل هـذا التعـاون جوانـب الفكـر والطبع والترجمة وإقحام المخابر الوطنية لتكون شـريكاً مـع المجلـس الأعلـى للغة العربية. كما أتوجّـه بالشـكر الخـاصّ إلى السـيد المحـترم رئـيس جامعـة سعيدة على احتضانه فكرة إحياء هذه الاحتفائية، وإلى فريقه الممتليء حيوية؛ حيث وقعت السرعة في التهيئة اللازمة لهذا المحفل. وقد كـان اختيـارُ السـيد رئيس الجامعة لمخبر (الترجمـة والتأويـل في ظـلّ التواصـل المتعـدّد اللغـات) اختياراً مدروساً، هذا المخبر الذي تترأّسه الفضلى الأستاذةُ (عمارية حـاكم) التي عهدنا فيها الجمـع بـين المحاسـن: العلـم والجديـة والإخـلاص والجـودة والتوجيه وخدمة الشأن العامّ، وبابتسامتها المعهودة، واستقبالها الحـارّ. ويمتـدّ الشكر إلى الإخوة المحاضرين الذي اسـتجابوا للاحتفـاء، ولأسـاتيذ الجامعـة الذين حضروا معنا، وجنّدوا طلابهم، وبكلّ الحاضرين كلّ بدرجته ويصـوْن مقامه. والشكر الجزيـل للطلبـة الـذين حضـروا والـذين سـوف يحضـرون، ولولاهم ما كنّا هنا، فنرجو الاستفادة والإفادة والمذاكرة، واغتنام الفرص في مثل هذه المناسبة.

الزميلات والزملاء، إنّ الاحتفاء **باليوم العربي للغة الضـاد** الـذي أقرّتـه الألكسو سنة 2007م يكتسي أهمية خاصّة هذه السنة، حيث يأتي في إطـار التعديلات الدستورية التي بادر **بها فخامةُ رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة،** وهذه التعديلات عزّزت من مكانة المجلس فأصبح هيـأة دسـتورية، وأُوكلت لها المهامُ التالية:

ـ العمل على ازدهار العربية؛

ـ العمل على تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجية؛

ـ العمل على الترجمة من اللغات الأجنبية.

ومن وراء كلّ هذا يعمل المجلس على تحقيق هذه الأهداف الدستورية؛ بتعاضد الكثير من المؤسّسات ذات العلاقة، وبخاصّة الجامعة لما لها من فضاءات البحث والإنتاج والتكوين. ولذا فإنّنا نُعلّق الآمال على أن تنالَ العربيةُ المكانةَ اللائقةَ بها في الجامعات، باعتبار الجامعات حاضنةً للمتون اللغوية وللأبحاث التطبيقية، والدراسات الميدانية، فنجاح اللغة العربية في الجامعة نجاح لها في سوق اللغات العالمية. وعلى هذا الأساس فإنّ الجامعات الوطنية والمجلس الأعلى للغة العربية يعقدون أمثال هذه الشراكة البينية للإسهام في تحقيق التنمية الشاملة التي ستظلّ عرجاء إذا لم تستند على اللغات الوطنية والرسمية، وقد أثبتت الأمم الناجحة أنّها استثمرت في لغاتها وبلغاتها، فحقّقت ما لم تحقّقه اللغات الأجنبية التي كانت لها السيادة قبل لغاتها، كما أنّ ولوج مجتمع المعرفة لم يحصل في أيّة دولة إلاّ باللغات الوطنية.

إخواني، كان علينا أن نفتح باب الحديث عن لغة الضاد في مثل هذا اليوم، ونشفع ذلك ببعض الفذلكات التي يستدعيها المقام، لنقول: كثُرت السهامُ على العربية طعناً، ولكن خاب من يحملها، كما كثرت التشويشات والتعطيلات وتأخير التعميمات، ونعلّق عليها كلّ التخلّفات، ونخفي تقاعسَنا وإهمالَنا للغاتنا الوطنية والرسمية، وفي ذات الوقت تحتفي الأمم وتفتخر بلغاتها، وننكر نحن بأنّ العربية وزّعنا دمَها، وألغينا الاعتزاز بها، ولم ندخلها في مجال العلوم، ونقول: إنّها لغة الآداب ليس إلاّ. لقد أغفلنا خدماتها، ولم نُشر بأنّها الواقية من الضياع والتيه، وهي شريان الحضارة، وسفينة تبحُر بأشرعة الحروف العربية نحو موانئ الأمان والخلود، وهي الأرومة التي تحافظ على مفصل الإيمان والعقيدة، بل هي النسَغ الذي ينقل غذاءَ العقل والروح من الجذور العميقة لوجودنا إلى شجرة الحياة، فالعربية شجرة تغيّر أوراقها، لكنّها لا تغيّر جذورها وبهذه اللغة اجتمع لنا أكثر من ستين (60) ألف مجلّد في خزانة قرطبة، ولم يكن القرن الثامن قد انقضى، وهذا كلام المستشرق

(لوسيان لوكلير). وكان حرياً علينا نحن الباحثين معرفة التحدّيات التي تواجههاوما يعْتريها من نقص مرونتها في ظلّ ثورة الاتّصالات، وكيف نجعلها تصدّ محاولات الغزو الثقافي واللغوي بالعلم والتجارب، ونعمل على استيعاب الدروس الجديدة لعلم اللغة الذي يبحث في قابلية تطبيق المنطق الرياضي على اللغات البشرية، ونسير بها إلى الأمام، ولو بخطى الهويني، شرط أن تكون مضمونة.

أيّتها الأستاذات والأساتذة والطلبة، إنّ مسألة تطوير العربية ليست مرتبطة بالمؤسّسات العاملة على تطويرها فقط، بل منوط تطويرُها علينا جميعاً، رغم أنّ المختصّين أولى، ولكن لا بدّ من إشراك المجتمع اللغوي الذي يتنفّس هذه اللغة، ويدرك إشكالاتها، ويطرح على نفسه أسئلة الخطر: **ما موقع العربية من اللغات المهدّدة بالانقراض؟ وهل العربية في خطر**؟ وفي ذات الوقت نلوم أفكارنا على تسامحنا اللغوي، وعدم متابعة فِعْل السلف الذين قالوا: العربية وضع واستعمال؛ أي العربية **نظام وحرية**، واللغة تُعلَّم في ذاتها ولذاتها، وأنّ السمعَ أبو الملكات اللسانية، ولذلك فالخطّة البتراء يحتاجها الإصلاح اللغوي، وإلاّ سيطبع إدراك البقية إلى الهاوية وإلى استقطار المعارف الشائعة التي لا يتقوّى بها عقلُ اللغة في بحر العولمة المسجور. وعهدي بأنّ هذا لا يردعه إلاّ بصُنع أفكار مبتكرة نافعة، فلا منجاةَ ولا عاصمَ لنا اليوم إلاّ بإصلاح ألسنتنا، وما تقوله كلماتنا من عوج؛ باستنفار أولي العزم الذين أعرقوا في البحث عن كنوز الفصحى؛ لإقحام دياجي التشتّت اللغوي، والعودة بأبناء جلدتنا إلى الصواب، ومضاعفة فصل الخطاب، وزرع الأمل بدل القنوط، وأنّ الخيرَ قادمٌ لا محالةَ.

إخواني الحضور، من خلال هذا نقول: هل عملنا في وقتنا المعاصر على تكوين شعراء مصاعقة؟ وهل وسّعنا آفاق مبدعينا في العلوم؟ وهل حاربنا

الفساد اللغوي؟ ونعلم بأنّه إذا فسدت اللغةُ تفسد المعاملات، وهذا (كونفوشيوس) لما ساءت أحوال الصين دعا إلى تصحيح اللغة، كما أغفلنا جانباً هامّاً وهو ربط اللغة بالفكر المبدع، لأنّ تمام الربط هو الذي يخلق الأفكار الأبكار والأثمار الناضجة؛ وهي التي تحوز على البيان في شتى مناحي الحياة. كما كان حرياً بأنّ طرح أسئلة التطوير ضرورة، فهل عملنا على الرفع من مكانة العربية كي لا تجتلب أمشاج الألفاظ من شوب اللغات الأجنبية؛ لتُصبحَ تخترِق ولا تُخرَق، وهل أبقينا على علوّها في الربوة العالية ولم نُنزلها إلى الأسفل؛ بدعوى تقريبها إلى لغة العوام؟ هل أبعدناها عن سقطات لواهجنا، وخليط لغات أحيائنا؟ هل حرسنا ثغورَها من التبدّلات المارقة؟ وهل اتّبعنا الكلام الصحيح، وكشَحْنا الكلامَ الفاسد، وأبعدناها عن المحاكاة التقليدانية التي لا لذةَ في كلام جديد إذا قيسَ على مُحاكاة الببغاوية.

إخواني، بعض منّا يعمل على التعطيل، فكيف لمن أُلقي في الماء مكتوفاً، ونقول له: إيّاك إياك أن تغرقَ في الماء، وما نزال في بحوثنا نبحث عن حجَر سنّمار، وبذلك ضاعت منّا الفصاحةُ، فجعلناها سبَهللاً، نطوي عنقَها ونلوي رجليها، ونقول لها: كوني هكذا، ونتقادع باللحن كما يتقادع الفَراش في النار، واليدّ الواحدة لا تصفّق إلاّ بأختها، والرمية لا تكون من غير رامٍ وما نزال نبحث في استبدال الكلام بالكلام، فتلك هي الطامّة التي لم نخرج منها ولو بالمُلام. وكان يجب رصد امتداداتها تاريخاً وواقعاً، واستشراف مستقبلها؛ باعتبارها اللغة المصيرية لغة الحياة والاجتماع والاقتصاد والسياسة والتربية، وتعزيز ما من شأنه تثبيتها والاهتمام بامتداده، والعمل على تقريبها للراغبين في تعلّمها والتنبيه تجاه تدافعها مع اللغات الأُخر، والسير بها كلغة الأمّة وفق خطّة استراتيجية معلنة تعزّز محلّها الوطني والدولي، وتحيي ثقافتها بما يُطاوع مقتضياتِ العصر، والوعي بموقع العربية في سياق التدافعات الفكرية العديدة

التي تناقش اللغات ومصيرها، وكما يقول (كينش هيل) "حينما تفقِد اللغةَ تفقد حضارةً، وعند ذلك تفقِد ثروةً عقليةً وعملاً فنياً".

إخواني، لا نسوّد الوضع، ولكن هو لوم للضمير الجمعي، ليحصل التغيير، فالعربية بخير وأنّ كثيراً من الأوضاع اللغوية تحسّنت، ولكن ما أحوجنا إلى تكاتف الجهود من جديد، ونعمل على فتح بيوتنا ليتجدّد الهواءُ، دون أن نسمحَ للريح بهزّ كياننا، ولا يعني هذا أن ننغلق دون استعمال اللغات الأجنبية، أو ما له علاقة بمنتوجات العصر، مثل: الكبترة والمنطقة والفسبكة والتوترة واللويحة والسمارتوفونية، بل أن ننغمس فيها ونعمل على تحسين لغتنا بها، كما نعمل على حسن توظيفَها لبناء المحتوى الرقمي للغتنا، وزيادة تجويدها، واستغلالها في الخصوصية الضامنة لنُفاخ العروبة. إنّ العربية بحاجة إلى التفتّح العلمي، وإلى الاستفادة من اللغات، ولا يعني الذوبان فيها. إنّ العربية تحتاج إلى مشاريع كثيرة، وتقديم الرأي القادح الذي لا يترك ريباً إلاّ وضح الأمر وقدّم الحلّ. وإنّ أحسن هدية يمكن تقديمها للغة العربية هي الاعتزاز بها والعمل على استعمالها وتوظيفها في جميع ميادين الحياة اليومية، وهذا كفيل بحلحلة الكثير من النقائص والصعوبات ورفع المُضايقات. ولذلك نحن مُتفائلون من الوضع اللغوي، رُغم بعض الهنات، لكنّ علامات النهوض ظاهرة، عندما ترى وتسمع الحديث عن المكانز، والبحث في المدوّنات المرقمنة، وفي الذكاء الصناعي والبرمجيات، والترجمة الآلية، والصناعة المعجمية واستعراض خطوات تنشيط اللغة العربية في ظلّ روافدها الذاتية وطرائقها التربوية، وترى مشاريع الدكتوراه في اطّراد، ومُخرجات الجامعة في ازدياد، فيحدونا الأمل بأن تجد العربية روافدها الثقافية في الإرث الكبير ممّا خلّفه لنا علماء اللغة والمبدعون والشعراء وأهل الفكر والمعمار العلمي، فلا تطفيف في

بنائها ولا في مضمونها، وإنّما هو إقرار بأنّها لغة العلم في الماضي، فكيف تضيق عنه في الحاضر. وكان على هذا الجيل التعرّف على فعل السلف واستيعابه واستكمال بنياتها بناءً على معطيات العصر وواقع التقدّم، ومُتطلّبات مُجتمع المعرفة.

وكان علينا كذلك استشراف مستقبل العربية في ظلّ مستقبليات العولمة التي لا تقبل الكرسي الشاغر، **فلغة مُقعدة لغة مُنقرضة، ولغة مُفتقدة لغة مُتخلّفة، ولغة غير علمية تبقى أسيرة الماضي**، وعلّمنا الأجداد أنّه لا يوجد المستحيل، ولا يوجد في اللغة جنين يعمل على تخلّفها إنّما يوجد فكر مُتحجّر يعمل على تعطيلها، وذلك ما نروم الخروجَ منه، والعملَ على أن تنالَ لغتُنا مقامَ الندية والزيادة عمّا كانت وما عليها من زُبر الحديد من اللغات العلمية. وعلينا قطفَ ثمارها بالعمل والأمل و**الصبر**، كما قال القدامى:

ديْبْتُ للمجدِ والساعونَ قد بلغُوا
جهدَ النفوس وألقَوْا دونه الأُزرا
فكابدوا المجدَ حتى مَلَّ أكثرُهم
وعانقَ المجدَ من أوفى ومن صَبَرا
لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُه
لن تبلغَ المجدَ حتى تلْعَقَ الصبرا

أيّها المحفل العلمي، لقد أطلتُ في هذا الاسترسال الذي دفعني إلى تطريس هذا الاستبسار والذي جرى تحبيره ودون اقتدار، لما في القلب من الفيضان،

الذي يؤدّي في بعض الأحيان إلى التيهان، ولكن نحمُدُ اللهَ أنّ المخلصين يعملون، وأنّ الجادين يُنتجون، وأنّ في هذا الجمع من الباحثين المُبدعين، ولنقول لهم بُورِكتم بركةَ المُتميّزين. ولا بدّ من التنويه بالأعمال اللسانية والتربوية والترجمية والتواصلية، وما يتبعه من التعددية اللغوية والتي تُنجز في هذه الجامعة فلعمري لها قيمة مُضافة، بما يُخطّط في السياسات اللغوية أو السياسات التربوية، وما يُنجز في جامعة سعيدة من توحيد في وضع وتوثيق المصطلحات.

وأختم لأقول: أيّها المحاضرون، إنّ الشكر لكم عابقٌ على البحث في موضوعات هذا اليوم الدراسي، ولكم كلّ الامتنان على حرصكم ومتابعة إنجاز مَهمّات الازدهار اللغوي للعربية وتقديم مُقاربات علمية، وحُلول إجرائية؛ تُفضي في النهاية إلى زيادة القيمة العلمية التي تحملها العربية، ونقول لكم: زِيدُونا تألّقاً زِيدُونا.

وفّقنا الله جميعاً لخدمة هذه اللغة، وسدّدَ خطانا، وأثابَ مسعانا، وباركَ اللهُ فينا وفيكم وحفّتِ الملائكةُ مَسْعاكم، والسلام عليكم.

المداخلات العلمية

إسهام السياسة اللغوية في ازدهار اللغة العربية.

أ. د. حاكم عمارية

مديرة مخبر الترجمة والتأويل
في ظل التواصل متعدد اللغات
جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة.

تمهيد:

من واجبنا تجاه لغتنا هو نشرها فصيحة بين ذويها في كل القطاعات يتصدرها قطاع التعليم في كل مراحله بداية بالنشئ وانتهاءً بالجامعة، حيث يمثل هذا الواجب بعدا قوميا، ووسامًا على صدر كل عربي، وهذا لا يعني أننا ندعو إلى التخلي عن لغة الشعب اليومية، وإنما إلى الدعوة إلى لغة يومية مهذبة خالية من كل لفظ دخيل قد يسيئ إلى فصحانا، وليس من الطبيعي مطالبة الشعب بتوظيف فصحانا التراثية في لغة التخاطب اليومي، وإلا تعذّر الأمر، ولقد نهانا سيد الخلق محمد -صلى الله عليه وسلم- عن التقعر والتعقيد حين حذر من المتفيقهين ممن يبغضون اللغة إلى متكلميها.[1]

وإذا كنا لا نستطيع أن ننشر اللغة العربية الفصيحة في الأوساط الشعبية لعدة عوامل، فحري بنا أن نعلّمها لأبنائنا صحيحة خالية من كل لحن، وأن نفرض تدريسها في كل التخصصات الجامعية التي حذف مقياس اللغة العربية من تدريسه بالإضافة إلى تعريب اللافتات والمؤسسات الاقتصادية

[1]: ينظر، عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي (الواقع والمستقبل)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2005، ص17-18.

والإدارية... ولهذا الأمر فإن مشاكل اللغة العربية لا تقبل الارتجال ولا الاستعجال، إنها تقتضي أولا وقبل كل شيء بناء خيارات معرفية بمعايير الاجتهاد والإبداع، لتنتقل بعد ذلك إلى بناء المؤسسات وبلورة البرامج، ثم مواكبة التجارب والخبرات، الأمر الذي يتيح لنا حين تحققه بناء ما يعزز أمالنا في تنمية اللغة العربية وتطويرها، خاصة ونحن نعيش في زمن لن يتردد ولن يجد أي حرج في نسيان اللغات التي لا تستجيب لآليات الإبداع والإنتاج والتطوير، وهي الآليات التي تعد اليوم عنوانا بارزا في المشهد اللغوي الكوني.[1]

إنّ المعركة اليوم هي معركة التنافس اللغوي والبقاء للغة التي يحترمها أهلها ويعملون على تطويرها في كل مجالات الحياة، خاصة في مجال الإبداع والابتكار، وفي مجال التعليم والاقتصاد، وبمعنى آخر لابد من تسويق كل منتوج له علاقة باللغة كما تفعل أمريكا مع لغتها الإنجليزية التي أصبحت تحاصر كل لغات العالم في بيئتها بفضل تكنولوجياتها الحديثة وبفضل ما تسوقه من منتوجات اقتصادية تجارية حاملة للغتها ميسرة للنطق والحفظ والتفاعل، ونعتقد أن هذا مخطط له وفق سياسة لغوية محكة من قبل صناع قرار رجالات أمريكا وحكامها.

واقع اللغة العربية:

لا يخفى على أحد من العرب، أنّ اللغة العربية أصبحت تعاني من التدني الكبير في عقر ديارها وبين ذويها، إذ أصبح أبناؤها ينفرون منها، بل

[1]: ينظر محمد الدرويش + مجموعة مؤلفين، مستقبل اللغة العربية، منشورات فكر النجاح الجديدة، المغرب، طبعة 2015، ص48.

ويخجلون من التخصص فيها، وذلك راجع إلى عدّة أسباب، أهمها التهميش الرّسمي، إذ لا زالت هناك بعض الإدارات التي تتعامل باللغات الأجنبية في مصادر الوثائق، مشرقا (إنجليزية) ومغربا (فرنسية)، وكأنّ الاستعمار لم يغادرنا بعد. «وتعود الضائقة إلى حرمان العربية من حقوقها الدستورية في أنّ تكون لسان التعليم كلّه، بأسلاكه ومواده كافة، ولسان الإدارة والاقتصاد والأعمال، على مثال سائر الدول الحديثة التي تتنزل لغاتها الوطنية منزلة عملة التداول الأساس في قطاعات المعرفة والإنتاج، والحرمان هذا سياسي ولا مبرّر لغويا له، لأنّ العربية أهل لأنّ تنهض بأدوارها كاملة في ميادين المعرفة والإنتاج»، [1] فقد كانت العربية لغة علم وحضارة، والتاريخ يشهد بذلك: "وربمّا يعد ابن سينا (980م-1037م) من أبرز الكتاب الذين كتبوا في الطب بالعربية، وقد أشاد (ميرهوف) بكتابه (القانون في الطب) بوصفه العمل الرائد للتنظيم العربي وذروته، «تُرجم ذلك الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر وواصل مسيرته ليهيمن على دراسة الطب في أوروبا حتى القرن السادس عشر على الأقل، ويعد ابن النفيس (Annals) المتوفي 1288م واحدا من الشارحين المتميزين لابن سينا، مارس عمله بالقاهرة، وكان أوّل من وصف الدورة الرئوية للدم»، [2] بالإضافة إلى الرازي (860م-926م) رئيس أول مستشفى أسس ببغداد، والكناش الملكي كتاب بن العباس المجوسي (ت 994م) والكندي (ت 874م) الطبيب العظيم والفلكي والرياضي المتخصص، والفيلسوف العظيم الذي ترجم كتابه

[1]- بيان اللسان من أجل اللغة العربية، هلال القول، مجلة النهضة، ص3.

[2]- محمود فوزي المناوي، العلم واللغة (متى يتكلم العلم العربية؟)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2013، ص172.

"مختارات من الفن الطبي" إلى اللاتينية على يد (جيرارد أوسيريمونا)، وهناك ابن رشد، وابن زهر، حيث كانت مصر مركزا جديدا للفكر الغربي خاصة بعد تأسيس الأزهر الشريف الذي أنشئ مع تأسيس الدولة الفاطمية.[1]

إنّ القصد من العودة إلى تاريخ العربية، هو تذكير للأجيال المتلاحقة بأنّ العربية هي لغة علم، وليست وعاءً فقط، لقد أنتجت العربية حضارة عريقة على الرّغم من مجاورتها لعديد من الأقوام، وتعاملها تجاريا مع كثير من الأمم والشعوب، وهجرة أبنائها إلى عوالم مختلفة اللغة، ثمّ احتكاكها بالأعاجم بعد الفتوحات الإسلامية، وظلت العربية إلى عهد بعيد لغة حضارة وعلم ولم تتعرض لا إلى الاضطهاد ولا إلى الصراعات ولا إلى حروب لغوية، رغم الحروب الصليبية، وحروب المسلمين مع المشركين؛ غير أنّ هذه المنزلة العظيمة قد فقدت في العصور المتعاقبة، منذ العصر العباسي الثاني إلى يومنا هذا، وتعود الأسباب والدوافع إلى تهميشها من قبل ذويها وصنّاع القرار، وإلى الحروب في كل من المشرق والمغرب العربيين، حيث عملت معظم الدول الاستعمارية على حرق المساجد، ومنع تعلم العربية، وفرض لغتها على أبناء الدول المحتلة، وبعد استقلال هذه الدول بدلا من أن تهتم بتدريس لغتها، راحت تهتم بتدريس لغة المعمّر، بنيّة "من تعلّم لغة قوم أمن شرّهم" وبدلا من الانفتاح على تفكير الآخر، راح أبناء العربية يمجّدون ويفتخرون باللغة الأجنبية، فمن فتح مطعما يضع لافتة بلغة المستعمر، ومن فتح محلا تجارياً يضع أسعارا بلغة المستعمر، ناهيك عن الكارثة العظمى، وهي الإدارات ومؤسسات الدول وكأنه لا توجد مصطلحات عربية تحل

[1]- نفسه، ص172-173.

محلّ تلك المصطلحات الأجنبية في المؤسسات الاقتصادية، ومع ظهور التكنولوجيات الحديثة فقد تعاظم الأمر حيث معظم المصطلحات باللغة الإنجليزية التي هيمنت عالميا، كونها صاحبة الإبداع والابتكار.

وإزاء الوضع الراهن، عصر الرقمنة ومجتمع المعرفة، لابدّ من أخذ كلّ الاحتياطات لحماية لغة الأمة، حيث نستعمل هنا مصطلح "أمة" بمفهومها وإيحاءاتها وظلالها الدلالية الخاصة التي تستمدّها من رمزيتها وحمولتها الحضارية في الثقافة العربية، أي بالمفهوم الذي يجعل من الأمة كيانا أوسع وأشمل من الدولة أو الشعب أو الوطن في المعجم السياسي العصري، كيانا موحدا في الانتماء الحضاري والثقافي متضامنا من العواطف والمشاعر والأهداف عابراً للقارات، متعاليا على الأعراف والقوميات، مترفعا عن كل عوائق الاختلاف الطائفي واللغوي. وما هنالك من ألوان وأشكال وجنسيات، متجاوزا الحدود الوهمية الناتجة عن التقسيمات السياسية الضيّقة وما رسمه الاحتلال الأجنبي من خرائط وفق مصالحه وأهوائه ومطامعه.[1]

وتشمل لغة الأمة العربية الفصحى لهجات متعددة، ولكنّها من أصل جيني واحد وهو العربية، غير أنّ هذا لا يشكل مشكلا، ولا أي عائق في تطور العربية الفصحى ولا انقراضها ما دامت هي لغتنا الرّسمية في المدارس والجامعات والمؤسسات، وهذا ما نسميه من وجهة نظرنا تعددا طبيعيا، حيث لا يوجد في العالم لغة لا تخلو من اللهجات أو من العامية، ولكن التعدد الذي يجب الحذر منه وفي الوقت ذاته استثماره لخدمة أغراض تنموية

[1]- عبد العالي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم (عن واقع اللغة العربية في بيتها الاجتماعية والثقافية)، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1/2014، ص05.

(تعليمية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، اقتصادية) هو ما يسمى في اللسانيات الاجتماعية بالازدواجية اللغوية، وإنّ كان هناك من ينعتها بالثنائية اللغوية، يقول (مالمبرج) (Malmberg) في حديثه عن الثنائية: «إنّ كلّ تداخل بين عدد من الأنظمة يفترض وجود شيء من الازدواجية اللغوية»،[1] وفي مقابل هذا الرأي يصادفنا رأي يجعل التقابل بين لغتين مختلفتين ازدواجا، أمّا التقابل بين الفصحى والعامية فثنائية لغوية،[2] حيث التنوع الرّفيع يمثل الفصحى، بينما يمثل التنوع الوضيع العامية، وحتى نخرج من هذين المصطلحين وإشكاليتهما في الوضع والاتفاق، نقول التعدد اللّغوي، حيث لا تدخل العامية (اللهجة الدارجة) في التعدد اللغوي، لأنها لا ترقى إلى مصاف اللغة الفصيحة المشتركة، بسبب ضآلة مفرداتها ومصطلحاتها، وفقر بنيتها وتراكيبها، ومحدودية نطاقها الجغرافي، فهي تتباين من منطقة إلى أخرى، ومن مدينة إلى مدينة، ولا تصلح للتفكير المنطقي التجريدي ولا للتعبير عن الأبحاث العلمية، ولا الاستعمال المشترك الواسع، فهي صالحة للاستخدام اليومي السريع.[3]

وعلى هذا الاعتبار، فلم يعد التعدد اللغوي يشكل خطرا على انقراض اللغات، لأنّ النظرة القومية المنغلقة قد تغيرت، حيث أصبح التعدد اللغوي يساهم بشكل كبير في التنمية البشرية خاصة، إذ لم يعد مفهوم التنمية الاقتصادية يأخذ في النظر نموّ الإنتاج في البلاد، وزيادة الدخل القومي،

[1]- ينظر، منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1/1987، ص50.

[2]- ينظر، أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة بيروت، د.ط، د.ت، ص134-135.

[3]- علي القاسمي، مقال، النقد اللغوي والتنمية، مجلة اللسان العربي مكتبة ومطبعة الأمنية، الرباط، العدد، 2013/71، ص220-221.

ولكن هذا المفهوم قد تطوّر ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية لتكون التنمية شاملة، بحيث يطلق عليها اسم "التنمية الإنسانية" أو "التنمية البشرية" التي تتخذ من الرّفاه الاجتماعي «معيارا لها ليعبّر عن إشباع حاجات المواطنين الأساسية من سكن وغذاء وتعليم، ... فهي لا تقتصر على عنصر من عناصر الإنتاج، بل تشمل الإنسان والأرض معا...، وينطبق عليها القول العربي القديم الذي يجعل من مهمة الدولة "استصلاح العباد وعمارة البلاد" فالدولة هي التي تخطط للتنمية البشرية وتنفذها وترعاها».[1]

إنّ الدّفع بتيارّ التعددية إلى المواجهة (علما بأنّ تعدد الألسنة كان موجودا في المجتمعات منذ القدم ولم تخلقه التيارات أو الإيديولوجيات الحديثة، رغم أنّها تزعم اكتشاف أهميته حين رفعت شعار حمايته والدفاع عنه)، وإنما كان هنالك عامل إيديولوجي قويّ وهو المتمثل في ردّة الفعل المقابلة لتيار العولمة (الثقافية واللغوية الجارف)، فخوف الدول الأوروبية الكبرى من سيطرة الإنجليزية دفعها بلا شك إلى رفع شعار التعددية اللغوية إشفاقا على لغاتها وحماية لها من التراجع والانهيار، وليس خوفا على اللغات الضعيفة والصغيرة كما يشاع.[2]

ولا يخفى على أحد أنّ فرض الإنجليزية عن طريق العولمة اللغوية على العالم يمثل خطرا على اللغات الكبرى المركزية والوطنية، وخاصة في الدول التي يرتبط اسمها باسم لغتها الرّسمية، أمّا اللغات الصغيرة فالعولمة تضمن لها مقعدها ولا تستهدفها لأنها لا تنافسها، ومن بين اللغات المهددة العربية

[1]- نفسه، ص221.

[2]- عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم، ص66.

والفرنسية والإسبانية والألمانية ونحوها، حيث تتغير اللغات تحت مفعول بناها الداخلية واحتكاكها باللغات الأخرى والمواقف السياسية التي تعمل على التدخل السريع للحفاظ على لغة الهوية.

السياسات اللغوية: في الأوضاع الموسومة بالتعدد اللغوي قد تضطر الدول إلى ترقية لغتها إذا رأت أن هناك خطرا يهددها ويحدق بها، وهذا الذي يحدث حاليا لمعظم لغات العالم الكبرى، وخاصة العربية التي لابدّ من تكثيف الجهود للحفاظ عليها في هذا العصر الرّقمي المؤدّي إلى المجهول؛ لقد بات ضروريا الاحتكام إلى سياسة لغوية من قبل كلّ الغيورين على العربية في العالم العربي، وإذا كانت العولمة تشكل خطرا في بعض جوانبها؛ فلا ننكر جوانبها الأخرى الإيجابية المتمثلة في التواصل السريع بين كل الدول عبر الشبكات وكل المواقع الالكترونية فما مفهوم السياسة اللغوية؟

مفهوم السياسة اللغوية:

ظهر مصطلح السياسة اللغوية (Planification Linguistique) عام 1959 على يد عالم اللسانيات الاجتماعية إينار أوجن (Einar Hang) الذي كان يسعى إلى بناء هوية وطنية للنرويج بعد قرون من الهيمنة الدانماركية.[1]

إنّ المساءلة اللغوية ليست بالأمر الجديد، فقد تدخّل الإنسان منذ احتاج إلى التواصل مع غيره إلى كل ما يوسّع نطاق هذا التواصل الذي كان إشاريا في مراحله الأولى، فلم يجد غير اللغة التي تميّز الإنسان عن سائر المخلوقات؛

[1]- ينظر، لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة، محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1/2009، ص08.

ثم إنها أرقى وظائف الاتصال والتواصل الست التي حدّدها رومان جاكبسون في نظرية التواصل، وعلى هذا الأساس فقد حاول الناس وضع القوانين والإفصاح عن الاستعمال اللغوي الحسن أو التدخل في صورة اللغة، كما انتصرت السلطة السياسية دائما لهذه اللغة أو لتلك، مختارة تسيير الدولة بلغة بعينها، أو فرض لغة الأقلية على الجماعة، غير أن السياسة اللغوية من حيث هي تحديد الاختيارات الكبرى في مجال العلاقات بين اللغات والمجتمع، وتطبيقها، أي بما يدعى بالتهيئة أو التنشئة أو التخطيط اللغوي، هي مفاهيم حديثة قد لا تغطي الممارسات اللغوية القديمة إلا جزئيا.[1]

وبناء على حداثة المفاهيم، فالسياسة اللغوية في تعريف علي القاسمي هي «نشاط تضطلع به الدولة، وتنتج عنه خطة تصادق عليها مجالسها التشريعية، ويتم بموجبها ترتيب المشهد اللساني في البلاد، خاصة اختيار اللغة الرّسمية، وينصّ على السياسة اللغوية للدولة في دستورها أو قوانينها أو أنظمتها، وأحيانا لا توجد نصوص قانونية متعلقة بالسياسة اللغوية، فتستشف تلك اللّغة من الممارسات الفعلية».[2]

واعتمادا على الأهمية الكبرى للسياسة اللغوية أعاد إينار راوجين إلى موضوعها عام 1964 في الاجتماع الذي نظّمه"ويليام برايت" Wiliam (Bright) في جامعة UCLA الذي عدّ فيما بعد معلما لظهور علم

[1]- ينظر السياسات اللغوية، ص07.

[2]- السياسة اللغوية في البلدان العربية، علي القاسمي، (الإعلام نموذجا) www.manfata.com يوم 12 فيفري 2011، على الساعة 9:45.

الاجتماع اللغوي، ولقد حضر هذا الاجتماع كل من (برايت، أوجن، لبوف، تمبرز، هايمس، سماران، فجسون،...) وفي عام 1970 اجتمع الفريق نفسه بحضور "فيشمان(Fichman) فاكتملت القائمة التي مثّلت علم الاجتماع اللغوي في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث رقب "التهيئة اللغوية" إلى "جرن المعمودية" (Fronts baptissimaux)، فتزامن علم الاجتماع مع تحديد فيشمان للسياسة اللغوية بوصفها علما تطبيقيا،[1] في حين قدّم بيار إتيان لابورتان(Pierre la portein) السياسة اللغوية بوصفها الإطار القانوني والتهيئة اللغوية كمجموع الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة ما للغة أو عدّة لغات.[2]

وفي أصل التداول العربي تمثل السياسة اللغوية «المواقف الرّسمية التي تتخذها الحكومات تجاه استعمال اللغة ورعايتها، سواء كانت هذه المواقف مدعومة بالفعل كإقرار القوانين أم تمويل البرامج، أم كانت مدعومة بالخطب والقرارات المنمّقة على الورق».[3]

وانطلاقا من التعامل الرّسمي لأجهزة الدولة مع اللغة الوطنية الرّسمية واللغات الأجنبية داخل الكيان السياسي لابدّ من إنزال اللغة الوطنية، لغة الأمة المنزلة الأولى، كما تفعل معظم الدول العظمى التي ارتقت وتطوّرت لما حافظت على كيانها اللغوي، وإذا كانت السياسة اللغوية تطلق على مجموعة

---

[1]- ينظر، لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ص08-09.

[2]- المرجع نفسه، ص10-11.

[3]- المصطفى تاج، نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة، www.altasamuh.com يوم 12 فيفري 2011، على الساعة 01:45.

من الاختيارات الواعية، والتدابير المتعلقة بالعلاقات بين (اللغة/ اللغات) والحياة الاجتماعية؛ فإنّ التخطيط اللغوي هو التطبيق الفعلي لهذه السياسات حيث يمثل "القرار الذي يتخذه مجتمع ما لتحقيق أهداف وأغراض تتعلق باللغة التي يستخدمها ذلك المجتمع" لحماية اللغة القومية من التحديات المحدقة بها، من مثل تحديثها أو حمايتها من المنافسة اللغوية الأجنبية، ومواجهة التعدد اللغوي، أو طغيان العاميات على اللغة الفصحى الرّسمية لغة التعليم والإدارة والعلم والإبداع، حيث يتكفّل بالتخطيط نخبة متخصصة من صناع القرار، ولسانيين، وعلماء النفس، وأطباء، وعلماء الاجتماع وغيرهم.

وعلى هذا الأساس؛ فمصطلح التخطيط اللغوي، هو تلك المساعي والجهود المبذولة للتأثير على سلوك الآخرين، بما يتعلّق بالتحصيل اللغوي، وبنية اللغة، وتاريخ اللغة، وتحديد وظيفتها وقيمتها بين أبنائها وعالميا، ومن هنا فالعلاقة بين السياسة والتخطيط اللغويين فهي علاقة تبعية؛ قرارات السلطة تمثل (السياسة) والانتقال إلى العمل يمثل (التخطيط) ومن أحد أهم أهداف التخطيط كعلم هو إبراز دور اللغة في بناء الدول بعد مراحل الاستعمار والعولمة".[1]

اللغة والهوية:

ولأنّ اللغة تمثل هوية الشعوب، تقوى بقوة شعوبها وتضعف بضعفهم، ولأنّها كائن حي يحيا ويتطوّر، يضعف أو يقوى، ينتشر أو يتلاشى وينقرض، ولأنّها ألفاظ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي من الأوضاع البشرية

[1]- ينظر، سعد بن هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، (دراسة تطبيقية عن تعريف المصطلحات في السعودية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2002، ص70.

وأدب لغة أي أمّة هو ما أودع في شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصور أخيلتهم وطباعهم؛ من شأنه أن يهذب النفوس، ويثقف العقول، ويقوّم الألسنة؛ ولأنها وسيلة معرفة تاريخ الأمم الذي هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم، وسياستهم، وأدبهم، [1] ولأن اللغة تمثل موضوعا ثقافيا يعتمد على "الثقافة بالمعنى الذي يميز الإنسان عن غيره من الحيوانات"، ولأن إخراج المجتمع من لغته أو إخراج لغته منه، لتحلّ مكانها لغة أخرى، هو أشبه بالتهجير القسري من الوطن أو الحمى؛ لا يوجد مجتمع إلاّ ولديه لغة ودين، وربما كان تغيير اللغة أصعب من تغيير الدّين لأن الإنسان يسكن لغته.[2]

وإزاء ما يشكلّه وضع اللغة من أهمية وخطر يتهدد الدول والأمم والشعوب؛ رأى بعض علماء الاجتماع أنه ينبغي الاهتمام بكل ما يمت للغة بصلة، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق سياسة لغوية محكمة من قبل متخصصين وغيورين على لغتهم، ولقد «نشر فيشمان وفرجسون وداس قوبتا (Das Gupta) عام 1968 كتابا جماعيا للقضايا اللغوية في البلدان النامية، وخلال السنة الجامعية 1968-1969 اجتمع أربعة باحثين هم: جيو تير ندراس قوبتا (Jyotitnidrass Gupta) وجوشو فيشمان (Joshum Fishman) وبيورن جرنود(BJORD Jernaud) وجوان روبن (Joan Ruban) اجتمعوا في (Center East -Weast) بهاواي للنظر في

[1]- ينظر، السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، درا الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1999/1، ص243.

[2]- ينظر، مجلة النهضة، مقال، الفضل شلقات اللغو والدولة المفقودة (الإنسان يسكن لغته)، طباعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب ع9، خريف 2014، ص15.

طبيعة التخطيط اللغوي»،[1] وتبعا لأهمية السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي عاد علماء الاجتماع الأربعة السابق ذكرهم إلى موضوع القضايا اللغوية، ولكن هذه المرّة تمّ استدعاء اثني عشر شخصا (أنثروبولوجيون، لسانيون، علماء اجتماع، اقتصاديون، ...) حيث اشتغل كل هؤلاء في مجال السياسة اللغوية أو التخطيط اللغوي، وقد تمخض عن هذا الاجتماع كتاب عنوانه (Can language be planned ?) (هل يمكن تخطيط اللغة؟)

وعلى أساس أن اللغة هي رمز هوية الشعوب والأمم، فإن أمر الحفاظ عليها أو تدهورها هو أمر سياسي بالدرجة الأولى، وأما ظهور مصطلحي السياسة والتخطيط اللغويين فقد ظهرا بعد السنوات التي تلت مباشرة تصفية الاستعمار في العديد من البلدان الإفريقية والآسيوية، وموازاة مع ذلك ظهرت تأملات حول العلاقة بين اللغة والقومية (Lanaguage and Nationalisme) في كتابات ج. فيشمان والواقع اللغوي للمستعمرات القديمة (Linguistique et Colonialisme 1974) مع (لويس جان كالفي)، والملاحظ أن التشديد حصل على البلدان الحديثة التي استرجعت سيادتها وهي في طريقها إلى النمو، وقد أشرف الفرنسي روبير شودنسون (Robert Kodinson) على سلسلة من الكتب بعنوان (اللغات والتنمية)، وكأن السياسة اللغوية ولدت كإجابة لمشاكل البلدان السائرة في طريق النمو، أو الأقليات اللغوية، وكأن أوروبا لا يعنيها أمر السياسة اللغوية.

[1]- لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة محمد حتياتن، ص09.

2. اللغة والتنمية:

وانطلاقا من اللغات والتنمية؛ فلم يعد مصطلح التنمية يعني الاقتصاد وحده، أو يأخذ في النظر نمو الإنتاج في البلاد وزيادة الدّخل القومي، بل تطور هذا المفهوم ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية، لتكون التنمية شاملة بحيث يطلق عليها اسم "التنمية البشرية" أو "التنمية الإنسانية"، [1] ولقد «بينت المشاكل اللغوية بالكبيك والولايات المتحدة الناجمة عن الهجرة الإسبانية ثم في أوروبا، نتيجة بناء المجموعة الاقتصادية الأوروبية، بأن السياسة والتخطيط اللغويين ليسا مرتبطين بالتنمية فحسب، أو بأوضاع ما بعد الاستقلال، إن النص المؤسس (لأوجن) حول النرويج كان من شأنه أن يوحي بتلك العلاقات بين اللغة (اللغات) والحياة الاجتماعية، وهي في ذات الوقت مشاكل هويات وثقافة واقتصاد وتنمية، وهي مشاكل تطول جميع البلدان، وهكذا سيتم الوقوف على وجود سياسة لغوية للفرانكوفونية والأنجلوفونية إلخ. من وجهة النظر هذه، كان بروز أمم جديدة مؤشرا وأمارة على ذلك».[2]

اللغة والوعي الجديد:

أمام الوعي بالخطر الذي يتهدد اللغات بات من الضروري إعادة النظر في واقع اللغة العربية في العالم العربي، ومساءلة الذات عن هذا الواقع المخجل الذي أصبحت عليه لغة الضاد، العربية التي كانت لغة العلم والحضارة والثقافة؛ إننا نعلق دائما ما آلت إليه لغتنا الأم من تدهور على الغرب وعلى العولمة؛ وقد يكون هذا في بعض جوانبه صحيحا؛ ولكن إذا كنا على وعي

[1]- علي القاسمي، مقال، التعدد اللغوي والتنمية البشرية، مجلة اللسان العربي، ع71، ص221.

[2]- لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ص13-14.

[illegible] [1].

[illegible]

[illegible] [2]

استراتيجيات السياسة اللغوية في ازدهار اللغة العربية :

1. الاهتمام باللغة والشأن التربوي التعليمي:

[illegible]

---

[1] [illegible]

[2] [illegible]

□Õ□Ü İäß□Þĕc□ï □ç□ò□‰†½bÏ□[ï àîÜÈn□a□ðìi□Ûa□æd ’Ûa□ìç□ pbÌÜÛa□Ý×□Éj İÛbië
□bèn□‰b¾ë□bèîÜÇ□ÃbÐ§aë□òîiŠÈÛbi□õbÔ‰üa□ýÈÏ□ï Ìjä□bä×□a‡g□[éi□òî□äÈÛa□ï Ìjäí
□ò□ÌÜÛa□pbí†□ c□é□âîÜÈni□†□í† ¦a□õ “ äÛb□i□ò□ía†jÛa□æìØm□æc□k¯□[bèíë‡□´i
□ðÜàÈn□□½a□ò□îßìî□a□òÌÜÛa□æc□óÜÇ□énîÇìnië□[é□Ða□¿□bè□ŠÌÛ□bèmbîi…cë□òîiŠÈÛa
□ò□ÌÛ□b□èäg□Ý□i□LáÜÈÛa□òÌÛ□ï çüë□òíì□a□òÌÛ□ï ç□o□îÛ□Ê‰b ’Ûa□¿ë□oîjÛa□¿
□Lòäí†½a□ëc□LñŠ□þa□ìç□ð^Ûa□[ÁÔÏ□□Ì—Ûa□Éàn□a□¿□ l ‰f½a□õbšóë□Ý • aìnÛa
□k¯□bà×□LÊa†i/aë□òÏbÔrÛaë□ñ‰bšßaë□áÜÈÛa□òÌÛ□æìØm□æþ□óÓŠm□åÛ□bèäØÜë
□å□—□b□¸gë□Lb□än□íìç□ò□ÌÛ□ï □ç□o□îÛ□[òîjäuþa□pbÌÜÛa□ædi□éäç‡□¿□ƒ□Šä□æc
□ó□Ôjm□ß□èäØÛ□ Lò□îàîÜÈmë□ Lòí…b□—nÓa□ôŠ□cë□LòîÇbàn□ua□ □aŠËþ□bèi□´Èn□ã
□ó□ÜÇ□ð†□u□ï ç□□Ì Û□æþ□[bçbäjnã□ü□åØÛ□Lbèi□´Èn□ã□LbåÇ□òjíŠË□ò Ì Û□bà□a…
□□l aì□u□üë□åíŠ□□Ł□a□Þaû□□a^ç□_bã□c□åßD□Z “ íë‰…□…ìà ª□ŠÇb ’Ûa□□jÈm□†y
□bçŠÈ□’Û□□o□äØï□ð†□□u□å□×□Z□□pb□àÜØÛa□□o□ÛbÓ□b□ß□□□□ÌÛ□b□ã□c□L□ÌÛ□bã□c□LéÛ
□ □2N□Bì Û□åØ□í□æb□ã/bïÐÜ‘□Ý š ÐÛa□□jÈm□ty□óÜÇë□1LCa†□u

□å□ß□ò□□û½a□ê^ç□éÜr·□b¶□ Lòíì□aë□ò Ì ÜÛa□Þaû□Û□Ý□†ß□Þëc□ï ç□ò□‰†½bÏ
□æì□Øm□ò□□‰†½a□å□à Ï□Lé□níì ç□‰ë^u□ó□ÜÇ□ÅÏb□□a□æb□□ã/a□…b¯g□¿□òîà çc
□ò□Ïb×ë□b□í‰a…/a□Õ□ÏaŠ½a□b□èîÏ□b¶□òîÇbàn□uüa□ñbî§a□Õ Ïa ŠßÉî°µg□òÓý İãüa
□óÜÇ□´àöbÔÛa□òíì çë□Éàn□a□òíì ç□bèma‰bÈ‘ë□bèmbâýÇg□□ØÈm□□Ûa□pb□□û½a
□æc□ó□ÜÇ□ò□íì Ì ÜÛa□bíb□šÔÛbi□□´àn□è½aë□□´□□‰a†Ûa□åß□□r×□†×c□†Óë□ Lén□bî□
□Þì□—ÐÛa□å□ß□Õ□Ü İäí□L pb□Çbà¦aë□…aŠ□Ïþa□ò□íì ç□Þëþa□ï ö†□jÛa□ÝîØ□’nÛa

---

N122 ~ □Lò š èäÛa□òÜ©□L□Ì Û□bäc□L “ íë‰…□…ìà ª□M[1]

□ □N15 ~ □Lò š èäÛa□òÜ©□Lñ…ìÔÐ½a□òÛë†Ûaë□ò Ì ÜÛa□LÕÜ‘□Ý š ÐÛa□M[2]

[illegible][1]

[illegible]

[1] [illegible] 74-73

[illegible]

[illegible][2]

[illegible]

[illegible]

[illegible

2. الدعوة إلى الانفتاح على الآخر: إنّنا نعيش في عصر يحتم علينا معرفة أكبر عدد من اللغات، ولقد يسّرت وسائل الاتصال الحديثة كل صعب، وقربت كل بعيد، وأمام هذا الوضع، لا يجب أن نرتبك أو أن نفهم التعدد اللغوي فهما سطحيا خاطئا، أي بمعنى تجميع كمي لعدد من اللغات على حساب العمق المعرفي والمردودية التعليمية لمجرّد التظاهر والتباهي؛ بل يجب تقليص الدور الذي يجب أن تضطلع به اللغة أو اللغات الأجنبية، وتحديد الهدف من تعليمها واستعمالها، وهو التفتح على العالم والتواصل معه، والاستفادة منها في اكتساب أنواع الخبرة المحتاج إليها، والاستعانة بها في البحث العلمي والتبادل التجاري وعدم تجاوز هذه الحدود بالسيطرة أو الهيمنة أو الحلول محل لغة السيادة أو تهميشها كما هو واقع العربية الحالي.[1]

يشير واقع العربية الحالي؛ أن تعليم العلوم؛ كالطب والهندسة والفيزياء، وعلوم الاقتصاد ومعظمها تلقن باللغات الأجنبية؛ الفرنسية في دول المغرب العربي الكبير، والإنجليزية في دول المشرق العربي؛ حتى أصبح ينظر إلى من لا يجيد هاتين اللغتين في العالم العربي بأنه جاهل ومتخلّف، بل وقد يستهزأ منه في المطاعم والفنادق، وبعض المؤسسات الاقتصادية وكذلك في المستشفيات، وإزاء هذه السخرية؛ أصبح المواطن العربي يخجل بعربيته، ويسعى جاهدا لتعلّم اللغات الأجنبية، حتى يرفع من قيمته وقدره وسط أقرانه، ولعل هذا الشعور النفسي هو الذي حطّ من قيمة العربية، لغة الأمة، وشجع معظم الشباب خاصة على اكتساب اللغات الأجنبية.

[1]- ينظر، عبد العالي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم (عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية)، دار الكتب العلمية بيروت، ط2014/1، ص58.

إذن نحن أمام وضع خطير يتهدد العربية، والمشكل ليس في الانفتاح على الآخر، ولا في العولمة ولا في وسائل الاتصال الحديثة؛ بل المشكل فينا نحن العرب، وعلى حد التناص الذي وضعه عبد الله التطاوي، "من حكمة الشافعي المشهورة بإبدال (الزمان) باللسان":

نعيب لساننا والعيب فينا

وما للسساننا عيب سوانا

ولقد دافع عن فصحانا عبر التاريخ غير نفر وضعوا همهم في الذود عن العربية الفصيحة، وعن أهلها، ومن الطريف أنهم ليسوا عرباً خلصاً؛ فـ (سيبويه الفارسي) ألف كتاباً في النحو العربي ما سبقه إليه أحد ولا ألف بعده أحد، و(الجاحظ الفارسي) صاحب فضل في الدفاع عن العربية والعروبة بمألفه البيان والتبيين، و(عبد القاهر الجرجاني) صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وغيره من العلماء والمفكرين والمفسرين الذين يعرفون أن الثقافة هي أصل الانتماء ومحور الولاء، فدانوا للعربية بكل ما يملكون دون تعصب لمولد أو لنشأة أو لنزعة عرقية أو عنصرية، فملؤوا العالم بفصحانا، ودانوا لها بالولاء، وصاروا أساتذة من أهلها، وهنا أصبحت الثقافة العربية إنسانية بما تحمله الكلمة من دلالات؛ لم تعرف حواجز الأجناس ولا الأديان وإلا ما سادت بين أقاصي الأرض وأدانيها،[1] بالشكل الذي يشهد به تاريخ الأمم والحضارات.

فإذا غيرنا يذود عن لغتنا، بل إن هناك من يتنافسون لاكتسابها وإتقانها نطقاً وممارسة لعدة أغراض (تجارية، حباً في الإسلام، الحصول على وظيفة

[1]- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، ص42.

الترجمة أو الإعلام...)، فإنه من الواجب أن نحافظ على هذه اللغة وأن نستثمر في لغة الآخر بأخذ كل ما هو إيجابي وتسخيره للحفاظ على لغتنا العربية؛ يجب أن نحافظ على إرث الماضي، ونساير مقتضيات الحاضر، وأن نتعلم من الآخر كيف استطاع أن يحافظ على لغته، وكيف تمكّن من مسايرة الركب الحضاري، يجب أن نتساءل كذلك عن السبل التي تحفزّه على الابتكار والإبداع والإنتاج العلمي والمعرفي؛ فبالتشخيص المعرفي، والتحليل الدقيق للأوضاع، وبتتبع تاريخ التطوّر، نستطيع أن نعيد للعربية مجدها الذي ضيّعه أبناؤها لعدم استغلالهم لكل الفرص المتاحة للتطور، فكلما ظهر علم جديد، تجنبوه أو نظروا إليه نظرة الغازي، في حين كان يجب استثمار كل ظاهرة علمية جديدة في أوانها وفي مجالاتها، فنحن نظرنا إلى العولمة على أنها استعمار مقنع، ونظرنا إلى التكنولوجيا والشابكات على أنها استعمار وهيمنة للغة الإنجليزية، وبدل أن نتصرّف تصرفا إيجابيا لتقبل هذه التطورات التي هي في حقيقتها طبيعية وناتجة عن الفكر الإنساني الذي يسعى دائما، وربّما بوحي من الله عزّ وجلّ إلى تطوير سبل العيش لإدراك حقيقة يغفلها كثير من الناس وهي قوله تعالى: «**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**» فالعلم، بحر واسع؛ وشواطئه لا يمكن إدراك حدودها. وبدل التجاوب مع التطورات الحديثة انطوينا أو انشغلنا عن الدفاع عن لغتنا، وبدل أن نقف عند سفاسف الأمور، يجب أن نستثمر التعدد اللغوي في ترجمة إرثنا العربي إلى لغات الآخر؛ بل وإلى كل لغات العالم حتى يقرأنا الآخر الذي يملك اعتقادا خاطئا عن العرب والعربية؛ فتاريخنا الحافل بالإنجازات العلمية العظيمة في كل مجالات الحياة، بدءا من ثقافتنا الدينية إلى اللغوية إلى البلاغية والمعجمية فالنقدية والأدبية، بالإضافة إلى الطب (ابن سينا)، الرياضيات (الخوارزمي)، إلى علم الاجتماع

(ابن خلدون)، الفلسفة (ابن رشد)، التصوف (الحلاج، ابن عربي، رابعة العدوية)، إلى السياسة، وحكم الخلافة في عهدي عمر بن الخطاب عمر بن عبد العزيز، (رضي الله عنهما)، حيث عرف العرب الديمقراطية قبل أن يعرفها الغرب.

وعلى العموم؛ «تظل العملية التعليمية في حاجة ماسة إلى اصطناع الازدواجية المتوقعة بين مصادر الثقافة العربية ومصادر الثقافات الأجنبية، مما يحتم على الدارس ضرورة تعلّم إحدى اللغات الأجنبية -على الأقل- وإتقانها نطقا وكتابة، لتكون سندا له في الاطلاع على الثقافات الأجنبية، ومحاولة اختراق حواجز المكان واقتحام مجالات الفكر، ومناقشة فكر الآخر عن فهم ووعي من قبيل الإثراء لفكر الأمة ولغتها، وهو ما يتأكد من خلاله منطق الانتماء للثقافة الأم من جانب، وما قد يضيف إليها بما يثريها ويزيدها عمقا ونضوجا من جانب آخر».[1]

وبالإضافة إلى فهم ووعي الآخر تُوكل له مهمة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، ومن العربية إلى اللغات الأجنبية لتعريف الأجانب بحضارتنا العربية العريقة منذ ما قبل الإسلام إلى أزهى عصورها وخاصة في صدر العصر العباسي الأول.

وتظل الترجمة نافذة فكرية ومدخلا حضاريا نطل منه على فكر العالم من حولنا، أو يطل علينا ذلك الفكر من خلاله، بما يضمن لهويتنا العربية مزيدا من التواصل وعدم الانغلاق، كما يضمن لها مزيدا من الصقل والانفتاح على كل ثقافات الآخر ومناهج فكره ومواد إبداعه، فالترجمة ركن أساس

[1]- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، ص58.

يضمن للمكتبة العربية المزيد من النضج والاكتمال والثراء من خلال تزايد إيقاع التفاعل المعرفي والحوار العقلي وحتى الوجداني مع معطيات الثقافات المحيطة بنا.[1] على أن تكون هذه الترجمة تحت الرقابة الصارمة خاصة في مجال ترجمة القرآن الكريم والحديث الشريف حتى لا يقع هناك تقصير حول فهم النص القرآني، ولنا في ترجمة العرب القدامى ما يشجعنا على المطالبة بتدريس الترجمة في كل مراحل التدريس خاصة الثانوي والجامعي.

3. تفعيل دور المجامع العربية:

يقول عبد السلام المسدّي: «إنّ فكرة إنشاء مجامع اللغة العربية مرتبطة تاريخيا بالاحتماء من الغزو اللغوي، بدأت في سوريا عام 1919م يوم كانت اللغة التركية تحتكر فضاء فسيحا من التداول، ولاسيما في أجهزة الإدارة، والدواوين، وتأسس مجمع القاهرة عام 1932، ومجمع بغداد عام 1947م، ثم تتالى استحداثها بتسميات تختلف في الشكل، وقد تختلف من حيث المضمون، والغايات المعلنة: في عمان، وتونس، والخرطوم، وطرابلس، والجزائر والرباط، وكان في إنشاء بعضها قصص شديدة التشويق كما حصل للمجمع العلمي اللبناني وحتى لمجمع اللغة العربية الفلسطيني، وإذ قد خيف منذ البدايات أن يفضي التعدد إلى تشتت الجهود وازدياد التباين في ابتكار المصطلحات، فقد التأم في دمشق منذ عام 1956م مؤتمر المجامع الثلاثة القائمة يومئذ (السوري، والمصري، والعراقي) وأوصى ببعث اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية «وكان لزاما للتوصية أن تنضج على مهل فلم يتحقق إنجازها إلا في 1971، وكان في أثناء ذلك قد انبعثت مؤسسة أخرى هي

[1]- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، ص108.

مكتب تنسيق التعريب بالرباط (1961) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم».[1] وبعد هذه المجامع، أنشأت مجامع أخرى في السعودية عام 1999، والكويت 2009 بسعي حثيث من الصحافة الكويتية، ولكن هل قامت هذه المجامع بوظيفتها كما ينبغي؟

بناء على الجهل؛ ظنّ بعض أعضاء هذه المجامع أنّ اللغة العربية ليست في حاجة إلى حماية وهي في عقر دارها، وبعيدا عن كلّ الخطابات الإنشائية، وبكل تعابيرها الفصيحة فيما يتعلق باللغة العربية والدفاع عنها، لم تتقدم العربية قيد أنملة،[2] وعلى حدّ تعبير عبد السلام المسدّي: «إنّ حال اللغة العربية -على مدى عقود دولة الاستقلال- لم تكن في يوم أفضل مما كانت عليه في أمسه».[3]

وعلى أساس الوعي اللغوي الجديد؛ وتحول العالم إلى قرية، وتطور كل وسائل الاتصال الحديثة؛ أصبح ضروريا تفعيل دور مجامع اللغة العربية في كل أقطار العالم العربي، وذلك بالتنسيق وتوحيد الجهود والآراء؛ بعقد اجتماعات كل مرّة في دولة من دول العالم العربي، وبالتواصل اليومي عبر وسائل الاتصال الحديثة، والاقتداء بمناهج الغرب وكل السبل التي من شأنها تحبيب اللغة العربية أولا إلى أبنائها وخاصة الأطفال والشباب لأنهم هم مستقبل اللغة العربية، ثمّ نشرها على أوسع نطاق في العالم.

---

[1]- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص111.

[2]- ينظر، عبد الغني أبو العزم، مقال التخطيط اللغوي للارتقاء بالتنمية البشرية، مجلة النهضة، ع9، ص75.

[3]- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص112.

إننا نرى أنّ هذه المهمة تعدّ مسؤولية كبيرة، ولكنّها ستذلل بجهود كل صنّاع القرار، وكل المتخصصين من لسانيين وأنثروبولوجيين وعلماء اجتماع وعلماء النفس، وإعلاميين ومهندسين وحتى علماء الاقتصاد، لأننا في عهد يحتم علينا الاستثمار في اللغة، في لغتنا الأم لغة الأمة، وفي كل اللغات الأجنبية، خاصة الفرنسية والإنجليزية، وإذا كان ما قدمته المجامع والمؤسسات اللغوية العربية من إنجازات لا يستهان بقيمتها العلمية؛ إلاّ أنّها ظلت تشتغل في غياب تخطيط لغوي شمولي ومؤسس لمستقبل اللغة العربية، ومن منطلق أنّها تحتل حيّزا جغرافيا واسعا على مستوى متكلميها، باعتبار التخطيط اللغوي قاعدة للارتقاء باللغة نحو مجتمع المعرفة والتنمية البشرية والاقتصادية، شأنها شأن كل مخطط يراد تطبيقه.[1]

ويعدّ التخطيط اللغوي معيارا لكل التوجهات السياسية اللغوية لذلك فهو يدعو للمعاينة والتفصيل في واقع اللغة العربية في كل قطر من أقطار العالم العربي، وإذا كانت اللغة القومية توجد في قلب البنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، فلأنّها مرتبطة بما يخطط لها من توجهات إستراتيجية قائمة على دراسات ميدانية جغرافية مفصلة لواقع اللغة العربية، وإذا كان العالم كلّه يعتدّ بالتخطيط اللغوي من الأولويات، فلأنه يقود بالضرورة بمواصفاته العلمية إلى تحديد الرؤية المستقبلية.[2]

[1]- ينظر عبد الغني أبو العزم، التخطيط اللغوي للارتقاء بالتنمية البشرية، مجلة النهضة، ع09، ص75.

[2]- نفسه، ص8.

وعلى ضوء الرؤية المستقبلية لابدّ للمجامع اللغوية العربية وضع برامج موحدة واستراتيجيات محكمة لتوحيد التعليم في العالم العربي، حيث تكون البداية بتدريس كل ما له علاقة بالتراث والإرث الحضاري وتاريخ الحضارة العربية والإسلامية في كل مجالات الحياة، وكذا علاقة العربية بجاراتها من الأقوام والشعوب قبل وبعد الإسلام، وكيف أنها تأثرت وأثّرت دون تفتيت لغتها أو تشتيت شملها، فلابدّ لهذا الجيل والأجيال القادمة من معرفة تاريخهم المجيد ومن الاعتزاز بلغتهم العربية، وبعلماء العرب والعربية من فلاسفة، وأدباء، وشعراء، وعلماء اجتماع، وعلماء التفسير وأطباء وبالخلفاء وبحكام العرب والمسلمين الذين ازدهرت العربية في عصورهم.

وللعربية تاريخ ضارب «في جذور التاريخ وأعماق الزمان؛ وللعربية أعلامها الكبار الذين ملؤوا الدنيا فكرا وعلما في زحام ظلام أوروبا وقتامة تاريخها الوسيط؛ فكان جابر بن حيان في الكيمياء، وابن الهيثم في البصريات، والرازي في الطب، والخوارزمي في الرياضيات، والإدريسي في الجغرافيا، والطبري في التاريخ، وابن سينا موسوعة جامعة بين الفلسفة والطب والشعر والقانون والتاريخ والنقد، وكان ابن رشد والكندي والفارابي وغيرهم من أعلام ارتفعت قاماتهم وقامة ثقافتهم العربية بما لا يدانيها في أمة أخرى بين علم وفكر، ظلت مقوماته الطبيعية والعقلية ورحابته الإنسانية بمنأى عن التعصّب، فلم تمارس قهرا، ولم تنطلق من عنصرة ولا أحقاد».[1]

إن ما يفتقده هذا الجيل هو حبّهم للعربية وتهافتهم على اكتساب اللغات الأجنبية، لاعتقادهم أنّ العربية لا تقدّم شيئا لهم، فلم يعد لديهم ذلك الإيباء

[1]- عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، ص213.

العربي، ولا تلك الحميّة التي عهدناها وقرأنا عنها في تاريخ العرب والعربية، وهذا الوضع يستدعي تغييرا جذريا لمناهج التعليم كون أول ما يتلقاه هذا النشء هو التربية والتعليم.

4. التعريب:

لابدّ من التعريب في نظام التعليم والإدارة وفي ميدان البحث العلمي وقطاع الإنتاج والأعمال، من دون تعصب أو ادّعاء باكتفاء ذاتي لغوي، أو غناء عن اللغات العالمية، وما تحمله معها من معارف وثقافات، وما تختزنه من إمكانات معرفية لا مجال لإنكارها، ومن المبادئ التي يجب ترسيخها في أذهان النشء الجديد لأنه لا نهضة ولا تنمية لأمّة بغير لسانها ولا مكان في تجارب التاريخ لفرضيّات مزعومة.[1]

ومن فوائد التعريب زيادة عن كون ما يقرأه العرب في كل القطاعات مدونا بالعربية، تحصيل كميات هائلة من المفردات والمصطلحات المعرّبة، مما يعدّ ذخيرة لغوية منها ما يتمّ تداوله، ومنها ما يهمل لكنّه يوثق في المعاجم. والمطلوب من المجامع العربية وكذا صنّاع القرار: «التعريب الشامل للتعليم المدرسي والجامعي وإنشاء مجمع اللغة العربية القومي، وتوطين البحث العلمي المتقدّم في لغتنا القومية، وتحرير خطابنا القيادي بالعربية الفصيحة، وترتيب دور رسالي لسفارات الدول العربية بالخارج».[2]

---

[1]- ينظر، عبد الإله بلقزيز، مقال العربية منطلقات وأهداف، ط5، مجلة النهضة، ع2014/9.

[2]- حسن بشي، السياسة اللغوية العربية، منهج للتأصيل والتطوير وموالة العصر، كتاب الندوة الدولية حول التعدد اللساني واللغة الجاعة، ج2014/1، ص84.

وتجدر الإشارة إلى أنّ جهود المجامع العربية وكلّ الباحثين بل والمثقفون الملتزمون على جهة النهوض بأوضاع اللغة العربية من الداخل إحياءً وتطويرا وتغذية اصطلاحية، وعلى جبهة "التحسيس" بمركزية العامل اللغوي في مشروع الاستقلال الوطني والنهضة القومية والتقدم الاجتماعي والعلمي لن تنجح ونؤكد أنّها لن تنجح إذا لم يكن هناك جهد مماثل من قبل الدولة الوطنية لأنها هي صاحبة القرار والتنفيذ، فمنذ نيل الاستقلال السياسي ودول العالم العربي في تبعية إلى مستعمريها في معظم قطاعات الحياة الحساسة؛ الاقتصادية والإدارية، والاجتماعية، والعلمية، حيث خلقت هذه التبعية فجوة لا تزال في اتساع متنام أضرّ بوضع اللغة العربية في عقر دارها، حيث اتسعت مساحات نفوذ اللغات الأجنبية في قطاعات الإنتاج والعمل والإدارة، والخدمات العامة والتربية والتعليم والاتصال والإعلام والحياة العامة، بما في ذلك؛ مجال التخاطب اليومي والتبادل الاجتماعي واللغوي للقيم، حيث تزامن اتساع رقعة المساحة اللغات الأجنبية مع تضاؤل وضمور مساحة حضور اللغة العربية واشتغالها في المجالات والقطاعات المشار إليها، ويعود الاختلال في التوازن بين المساحتين إلى السياسات الرّسمية لأنظمة الحكم القائمة وللنخب الجديدة الحاكمة اليوم.[1]

وبناء على السياسات الرسمية لأنظمة الحكم في العالم العربي الموالية للغرب بذريعة أن التعريب لا يلائم متطلبات العصر تعليما واقتصادا وبأنه غير قادر على المنافسة العالمية، تولّد جيل من المتعلمين المنفصلين عن هذا العصر؛ حيث تحضر عندهم اللغة العربية حضورا باهتا أو شبه رمزي، وهذا

[1]- ينظر، عبد الإله بلقزيز، اللغة العربية منطلقات وأهداف، ص14.

الوضع سمح للغات الأجنبية بالتمادي والتغلغل في كل أنظمة الدول العربية، ولعلّ الذي زاد الطين بلّة هو مدخل التعليم الخاص خاصة في دول المشرق العربي بحجّة «التخفيض من أعباء التنمية الاجتماعية» بإشراك القطاع الخاص الذي صمم برامجه على فكرة «ربط التعليم بالتنمية» وتوسل اللغات الأجنبية أداة في ذلك التكوين في المقام الأول بذريعة اتصال التنمية في بلادنا العربية بمحيطها العالمي.[1] فتضاءل حضور العربية بحجة أنها ليست لغة العلم، وتراجعت مردودية التعليم الوطني لكل دولة عربية، وبدل التحصيل العلمي لخدمة الوطن والهوية العربية، بدأ الاستثمار في التعليم من أجل تحقيق الأرباح بين الجامعات المتوأمة أو الدولية.

وأمام سياسة التصفية والتبديد المنتهجة ضدّ اللغة العربية في عقر دارها، فنحن أمام جبهتين، جبهة البناء والتأهيل، وجبهة الدفاع والتأمين؛ الأولى تتحقق بالعلم والثقافة والبحث العلمي المنصرف إلى تنمية القدرة العلمية والاصطلاحية للغة العربية. وتبسيط قواعدها النحوية والصرفية، وتيسير طرق تلقينها واكتسابها للناشئة، ومراجعة برامجها في المدارس والجامعات، ورعاية البحث العلمي فيها والإنفاق الرّسمي عليه، ودعم أطرها المؤسسة العلمية مثل مجامع اللغة العربية. وتتحقق الجبهة الثانية بالنضال الثقافي والاجتماعي -المدني والسياسي- ضد كل من تخوّل له نفسه أن يدعو إلى العامية أو يمجد اللغات الأجنبية أو يحرض اللهجات الأخرى على أن تصبح هي كذلك لغة رسمية، فالنضال الأول بنائي وطويل الأمد، وجمهوره الأكاديميون والباحثون، والنضال الثاني دفاعي ينتمي إلى التمسّك بحقوق

[1]- ينظر، عبد الاله بلقزيز، اللغة العربية منطلقات وأهداف، ص52.

المواطنة، جمهوره كل المواطنين، وكما يحتاج الأول إلى أطر خاصة بـه، يحتـاج الثاني إلى أطره الشعبية المناسبة، فالعربية هي الكينونة، وهي الوطن.[1]

5. توجيه الإعلام لخدمة اللغة العربية الفصحى:

لا تنمـو التكنولوجيـات في فـراغ اجتمـاعي، إنهـا

لقد أحدثت التكنولوجيات الحديثة ثورة عارمة في كل قطاعات الحياة، ومن المستحيل عدم التفاعل معها، لأنها تفرض نفسها بشكل لا مفرّ منه؛ وإن كنا لا ننكر إيجابيتها التي لا تعدّ ولا تحصى، فإن العلم سلاح ذو حدين "كما يشاع"؛ وإذا كانت رياحها قد هبّت بأشكال جديدة من الاتصال والتواصل للناس عبر الحدود لتجمعهم وتوحّد مواقفهم وتسهّل تحركاتهم وثوراتهم؛ فإنها في الواقع قد أحدثت تشتتا للقارات والمناطق والأوطان إلى غير رجعة، حيث من سلبياتها أنها أعادت رسم خارطة العالم على طريقة ومزاج المهيمنين عليها، حيث حملت موجات التغيير إلى العالم في سنوات، وفي بضع أسابيع سلطت على بلدان العالم العربي حركات تمرّد وثورات تتفجر هنا وهناك.[1]

وإزاء سلبيات وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة وإيجابياتها وفي مقدمتها التلفزيون والصحافة المرئية والمقروءة، كان يجب الحذر من السلبيات واستثمار الإيجابيات، خاصة وأنّ الأشكال الإعلامية لا يخلو منها بيت أو منزل، فهي متاحة للجميع، ولو بشكل متفاوت إن مهمة الإعلاميين (صحافيين ومذيعين، ومنشطين، ومخرجين، وكاتبي سيناريو، وأصحاب الدعاية والإشهار) هم كذلك خدم لصاحبة الجلالة "اللغة العربية"، إنّ لهم دورا فعالا في غرس النطق وممارسة اللغة العربية الفصحى، الأمر ليس بالهين، ولكن شيئا فشيئا، وخاصة مع المسلسلات والأفلام؛ فمعظم النساء الماكثات في البيوت، والمتقاعدين يتابعون شاشات التلفاز والاطلاع على معظم، القنوات، ومتابعة الأخبار وكذلك خاصة من طرف الرجال، ومتابعة

[1]- ينظر، مي العبد الله، الاتصال ورياح التغيير، مجلة والتنمية، ع2011/2، ص05.

أخبار الرياضة من قبل الشباب، ومتابعة حصص الأدب من قبل الأكاديميين والمثقفين والمبدعين، بالإضافة إلى حصص الطبخ والجمال، والرسوم المتحركة (أطفال) وحصص طبية، وأخرى ترفيهية، هذه النشاطات والبرمجيات التي تقدم عادة بلغة الاتصال مبتذلة لا هي من العربية الفصحى، ولا هي من العاميات المحلية، بل هي مزيج من كل هذا بالإضافة إلى لغة المستعمر؛ إننا والحالة هذه، في حاجة ماسة إلى التوجيه من قبل الدولة ومن قبل ذات الفرد الذي يؤدي وظيفته، وهو على وعي بأنه بتأديته هذه يخدم لغته التي هي رمز هويته. ومن هذا المنطلق يجب أن يقدم للجمهور كل ما يبث باللغة العربية الفصحى، وخاصة تلك الإشهارات التي تأتي كفواصل في الأفلام والمسلسلات.

وأمام الحداثة الغربية عموما والعولمة المعاصرة خصوصا: «أصبح النظام السمعي البصري المتمثل في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية وشبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت هو المصدر الجديد الأقوى لإنتاج القيم والرموز وصناعتها، وكذلك لتشكيل الوعي والوجدان والذوق».[1] وعلى أساس هذا الوعي للدور العظيم للإعلاميين، فإنه من الواجب عليهم أن لا يتخلوا عن هذه المسؤولية التي تدخل ضمن مبادئ الذود عن لغة الأمة وإحيائها، وتطويرها؛ فليس المعلم وحده من يتحمل ويتكبد عناء هذه المسؤولية، بل إننا كلنا معنيون بهذه المسؤولية أفرادا وجماعات ودولا، تحت راية الأمة (العالم العربي). فالإعلامي مثل المعلم لأن دوره نقل الأخبار

[1]- عبد الكريم الدبيسي، وزهير ياسين الفاصل، دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، ص35.

بصدق، والإرشاد والتوجيه والتثقيف وخدمة كل الأهداف النبيلة للوطن وللمواطنين، وليس دوره الفرجة والتلهية وإزجاء الوقت.

يطول الحديث عن تشخيص واقع اللغة العربية المتدني حتى بين الأساتذة والطلاب، ناهيك عن المجتمع والجمهور العربي عبر كل الأقطار العربية وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الجهل بقيمة لغة الأمة، وبأنها لم يحتف بها في مجالها الأول الذي منه تنتقل العدوى إلى كل مجالات الحياة، وهو التعليم، فقد جعلت اللغة العربية دائما من حيث الاهتمام في مركز ثانوي، مع العلم «أن اللغة هي المعمار الخفي الذي يتشيد الفكر ويستقيم... إن العربية تلقي بتاريخها تحديا كبيرا أمام العلم الإنساني، وهذا التحدي يبتهج به العلماء الذين أخلصوا للعلم مهجتهم، ولكنه يغيظ سدنة التوظيف الأممي، ويستفز دعاة الثقافة الكونية؛ ولاسيما منذ بدأت المعرفة اللغوية المتقدمة على المستوى العالمي تكتشف ما في التراث العربي من مخزون هائل يتصل بآليات الوصف اللغوي، ويقف على الحقائق النحوية العجيبة، ويستلهم مكوّنات المنظومة الصورية الراقية التي انتهى إليها النحو العربي؛ من حيث هو إعراب، ومن حيث هو منطق قياسي، ومن حيث هو كذلك علم بأصول الظاهرة اللغوية الكلية...».[1]

لا ينكر إلا جاحد أنّ للعربية حضارة راقية؛ وإن أراد أن يستدل على ذلك فليعد إلى تراثها العظيم؛ إلا أننا لم نتشبث بهذا الإرث الحضاري الذي سعت وتسعى بعض الدول إلى أن تنسبه إلى رجالاتها وأعلامها؛ حيث إن كثيرا من العلوم العربية قد ترجمت ودرّست لأبناء الغرب على أنها من لدن

[1]- عبد السلام المسدي، الهوية العربية والأمن اللغوي، ص266.

علماء الغرب، في حين إنها من لدن العرب القدامى كالطب عند ابن سينا، وكذلك علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء، ولعلّ أن موقفنا هاهنا ليس هو المقارنة ولا لمن الأفضلية، أو من هو صاحب السبق، لأن العلم رحم بين أهله سواء اتفقوا أم اختلفوا؛ ولكننا نعتبره تذكيرا فقط، من أجل الاعتبار وزرع الحماسة في قلوب المتلقين العرب للغيرة على لغتهم والقيام بالذود عنها وحمايتها من كل ما قد يهدد استقرارها بين ذويها.

وختاما؛ فإنه مهما تعددت المقترحات والرؤى والبدائل للنهوض باللغة العربية؛ من الاهتمام بالتعليم في كل مراحله ومستوياته، وبتوجيه الإعلام لخدمة اللغة العربية، وبالترجمة أو بتعريب كل وافد، وبتعريب التعليم في كل التخصصات حتى تلك العلوم الدقيقة كالطب والفيزياء، والكيمياء، والهندسة، وغيرها؛ وبفرض اللغة العربية في الأقسام الأجنبية، التي بحلول نظام (ل م د) قد تخلت عن مقياس تدريس العربية كونها لا تضيف شيئا للطالب الذي هو بصدد تحضير شهادات عليا في اللغات الأجنبية، وعلى الرغم من كل مداخل الإصلاح، وإنشاء المجامع اللغوية العربية، وكذا المشاريع الفكرية المستقبلية في ربط كل الجامعات العربية ببعضها للنهوض باللغة العربية، وبدور الخارجيات العربية في نشر اللغة العربية؛ يبقى كل هذا مجرّد اقتراحات، أو حبرا على ورق، ما لم تتدخل الدولة بالإشراف على كل هذه المشاريع والمقترحات والمؤتمرات والنشاطات؛ تتدخل بتدعيمها المادّي والمعنوي، وبالمصادقة على تلك المشاريع المخطط لها عبر سياسة لغوية محكمة من قبل متخصصين في كل المجالات التي تمّت للغة العربية بصلة.

ونعتقد أننا أسهمنا ولو بالنزر القليل في توضيح صورة واقع العربية، بتشخيصه المعرفي لاقتراح بعض البدائل التي لو **فعّلت من قبل الدولة** وبحماسة الناشطين والفاعلين لأتت أكلها. وكما قال ديغول: «لقد صنعت لنا اللغة الفرنسية ما لم تصنعه الجنود» واللغة في صميم السياسة، وإن الصراع هو محور محرّك للسياسة لأن مكوّن أساسي في تاريخ البشر على حدّ تعبير عبد السلام المسدّي؛ فالمعركة اليوم هي معركة لغوية ومعرفية وثقافية، لأن اللغة واقعة في قلب الرّحى ضمن هذه الحرب الجديدة، حرب الاختراق الثقافي الذي تحتكم إليه إستراتيجية الاستهداف؛ لقد جرّب الإنسان كل أنواع الأسلحة كي يعيش دائما هو السيد؛ وبعد ما رأى أنها كلها قد دمّرت العالم وأباحت سفك دمه؛ انتهج سياسة أرقى وربّما أقل دموية؛ وهي حرب اللغات؛ حرب العلم والمعرفة، وقضية اللغة هي قضية الأمن القومي بكل مضامينه وارتداداته؛ ولأن من يتصدى للحرب ويخطط لها هم دائما الحكام والقادة باستشارة أصحاب الحكمة والرأي السديد، فإن إحياء لغة الأمة والحفاظ عليها والذود عنها هي مسؤولية الدولة أولا لأنها صاحبة القرار وصاحبة التنفيذ، وأما الفئة المثقفة أو المتخصصة فهم ذوو العقول المدبّرة، وأما الشعوب فإننا نعتقد أنها ستبارك هذا العمل الجليل الذي «هو الذود عن اللغة لحماية الهوية».

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. أحمد تركي، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساحي، بيروت.
2. أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة بيروت، د.ط، د.ت.
3. حسن بشي، السياسة اللغوية العربية، منهج للتأصيل والتطوير وموالة العصر، كتاب الندوة الدولية حول التعدد اللساني واللغة الجاعة، ج2014/1.
4. سعد بن هادي القحطاني، التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، (دراسة تطبيقية عن تعريف المصطلحات في السعودية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2002.
5. السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1999/1.
6. الصادق رابح، قراءة في الرهانات الثقافية والاجتماعية لتكنولوجيات السلسلة المدنية، مجلة الاتصال والتنمية،ع1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2010.
7. عبد السلام المسديّ، الهوية العربية والأمن اللغوي (دراسة وتوثيق)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط2014/1.
8. عبد العالي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأم (عن واقع اللغة العربية في بيتها الاجتماعية والثقافية)، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2014/1.
9. عبد الله التطاوي، اللغة والمتغير الثقافي، الواقع والمستقبل الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2005/1.
10. لويس جان كالفي، السياسات اللغوية، ترجمة، محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2009/1.

11. م.م لويس (اللغة والمجتمع) تر: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، طبعة 2003.

12. محمد عابد الجابري، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2 (ت).

13. محمود فوزي المناوي، العلم واللغة (متى يتكلم العلم العربية؟)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 2013.

14. مصطفى شميعة وموسى الشامي، اللغة العربية وسؤال الهوية، مطبعة ألغو برانت، فاس، المغرب، ط 2013.

15. منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دمشق، ط1987/1.

المجلات:

16. بيان اللسان من أجل اللغة العربية ، مجلة النهضة طباعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ع2014/09.

17. عبد الإله بلقزيز، مقال العربية منطلقات وأهداف، ط5، مجلة النهضة، ع2014/9.

18. عبد الغني أبو العزم، مقال التخطيط اللغوي للارتقاء بالتنمية البشرية، مجلة النهضة، ع9.

19. عبد الكريم الدبيسي وزهير ياسين الطاهات، مقال دور وسائل الاتصال الرقمي في تعزيز التنوع الثقافي، مجلة الاتصال والتنمية، دار النهضة، بيروت، العدد 2012/6.

20. علي القاسمي، التعدد اللغوي والتنمية البشرية، مجلة اللسان العربي ع/ 71، مطبعة مكتبة الأمينة، الرباط، المغرب، 2013.

21. الفضل شلقات اللغو والدولة المفقودة (الإنسان يسكن لغته)، مجلة النهضة، طباعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب ع9، خريف 2014.

22. محمد شوقس الزين، سؤال الثقافة من وجهة نظر فلسفية، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع2/ م43/ 2014.

23. محمود درويش، أنا لغتي، مجلة النهضة.

24. مي العبد الله، الاتصال ورياح التغيير، مجلة والتنمية، ع2011/2.

المواقع الإلكترونية:

25. السياسة اللغوية في البلدان العربية، علي القاسمي، (الإعلام نموذجا) www.manfata.com يوم 12 فيفري 2011، على الساعة 9:45.

26. المصطفى تاج، نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة، www.altasamuh.com يوم 12 فيفري 2011، على الساعة 01:45.

ظواهر التشكيل الصّوتي وأثرها في جماليّة اللّغة العربيّة

د. بن ضياف زهرة كريمة
كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة سعيدة)

تعد اللّغة العربية ظاهرة فكرية اجتماعية، ونظاما من الرموز الصّوتية الاصطلاحية التّي يكتسبها الفرد منا سماعا من جماعته عن طريق ما تتميز به – هذه اللّغة– من حسن جمالي إيقاعي وتراكيب موسيقية منطوقة في "سلسلة صوتية يتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً حتى تؤمن قدراً أعلى من السهولة في النطق، وحدّاً أوفر من الوضوح السمعي"[1]، عندها تأتي كلماتها متخيرة وجملها متوازنة متراصة، وتراكيبها منسجمة وأصواتها مع معانيها متفاعلة.

والدليل على ذلك "أنّ اللّغة لا تعيش على ألسن الناس عناصر صوتية مبعثرة بل كلاماً حياً، تتألف عناصره في كل لغة من اللغات وفق نواميسها الصّوتية الخاصة بها "فما ائتلف من العناصر الصّوتية أخِذَ، وما اختلف نُبِذ، والمأخوذ تتشكل منه نسج الألفاظ والمنبوذ يبقى أمشاجاً مقطعة غير مستعملة، كما تلقى نكاثة الخيوط غير الصالح للنّسج"[2]، لأنّ الأصوات اللّغوية تؤدي دوراً هاما في تشكيل الأداء الصّوتي للمتكلم مما يؤثر في عملية

---

[1] – فوزي الشايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص 15.

[2] – غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، دار طرابلس، دمشق، ط2، 2000، ص 156. نقلا عن: مهدي عناد قبها، التحليل الصّوتي للنص، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2013، ط1، ص 05.

التواصل بينه وبين المستمع الذّي يترقب "أداءً فصيحا سليما لهذه اللّغة، مما يحفظ لها رونقها في الأسماع ووقعها الساحر في الطباع ويفتح لها القلوب، فتعي ما تسمع، ثم تتأمل في أناةٍ وارتياح"[1] تلك التّشكيلات الصّوتية المعبرة عن حالة معينة، والممهدة للاستجابة والتقبل من دون هدر لحق السامع، خصوصا إذا كان مدركاً لجمال اللّغة العربية وسر سحرها الذّي يرجع جانب منه إلى أنّها لغة شاعرة متقدة بنغم موسيقي بعيد عن النطق الغير السليم الذّي قد يشوه جمال الأحاديث الصّوتية الدالة على معنى معين. "لأنّ استيفاء الألفاظ لحقها في الأداء قد يساعد المتلقي على فهم مضمون الكلام والانقياد إليه ما لم تكن هناك عوائق تحول دون أن يكون تأثيره في السامع أوفى واستجابته له أرجى"[2]،ومعنى ذلك أنه إذا أدرك المتكلم قواعد النطق الصحيح لأصواته اللغوية وحقق وأتقن قواعد التأليف فيما بينها، وعرض كيفية توزيعها في أدائه لكلماته وعباراته الدالة على موضوعه، استوفى المستمع له حقه من الكلام ولم يكن له عذر لعدم فهمه والرد عليه إلاّ لعوائق نفسية في ذاته أو عرضية أو بسبب خلل دلالي في الكلام الذّي سمعه.

ولقد تنبه علماء العرب قديما من لغويين وبلاغيين وشعراء وأدباء إلى القيمة الجمالية للوحدات الصّوتية في اللّغة العربية، وتعددت دراساتهم حولها، وقد تمثل هذا الانتباه فيما فطنوا إليه من معرفة لمفهوم ظواهر التشكيل الصوتي وما تحققه من تأثيرات جمالية وإيحائية على "الكلام العربي

[1] – محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، 2008، ط1، ص7 .

[2] – المرجع نفسه ، ص ص 07– 08.

من خلال تهذيبه وتشذيبه وتحسينه وتزيينه"[1] حتى يثير في أذهان متلقيه قبولاً وانتباها عجيباً وهو ما تؤكده لنا موسيقية اللّغة العربية وتشكيلاتها اللغوية التّي وجدت عند أصحاب الفطرة والموهبة الأولى -العرب القدامى- متناغمة منسجمة خاصة في الشّعر الدّي "اكتسب من أوزانه وقوافيه حلاوة إيقاعية وجمالية بارزة ساعدت في تذكره وترديده دون إرهاق للذاكرة، ولذا كان حفظه وتذكره أيسر وأهون من النثر لما في الشّعر من انسجام المقاطع وتواليها، بحيث تخضع لنظام خاص في هذا التوالي."[2]

وهو ما عبروا عنه بالدقة والإتقان والديباجة؛ لتحقيق البعد الجمالي في النص الشّعري الدّي يرتكز على براعة الشاعر (الباث) وقدرته في استخدام الألفاظ استخداماً حسناً ينسجم مع الأصوات اللّغوية والقواعد الفنية، إضافة إلى وضعه للتراكيب وضعاً خاصاً يمتاز بصفات معينة يستسيغها لإرضاء ذوق قارئه (المتلقي)، عن طريق مقدرته في البناء (التّشكيل) وإعادة البناء، فضلا عن قدرته على اللعب بالكلمات، وصولا إلى بناء صور شعرية بلغة عربية تزخر بينابيع جمالية.

هذا إلى جانب القرآن الكريم الذي يعدّ كتاب الله المعجز بفصاحته وبلاغته والذي يبلغ قمة التميّز في هذه الناحية وهو ما يفسر سر استهوائنا وانبهارنا بجمال وجلال لغته وبلاغة أصوات مبانيه وحلاوة أداء

---

[1] - جميل علوش، النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والإفرنج، مجلة عالم الفكر،الكويت، ع1، 2000، ص200، نقلا عن صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص15.

[2] - رجب عبد الجواد، موسيقى اللّغة، دار الآفاق العربية، ط2، القاهرة، ص 04.

معانيه،المسخرة لتحقيق الهداية، ويأتي تقرير ذلك من حقيقة مؤداها أنّ النص القرآني "يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل أنّه يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان بلغة الجمال والإعجاز الفني"[1] الذّي خشعت ولانتْ له أصلب أفئدة البشر،وهو ما جعل المظاهر الجمالية في النص القرآني جزءًا من تأثيراته لكونها متزامنة مع الإشارات التواصلية ذات القدرات الصّوتية التعبيرية والكلمات البيانية والصور الفنية التّي تعتمد على التجسيد والتخييل، كما لو كانت حية معيشة داخل نظام لغوي يقوم على غير مثال وينأى عن أي كلام لكونه "يعمل على إيقاظ الضمير وشحذ الشعور، ويدعو إلى انفتاح العقل والحواس على معطيات العالم الخارجي عساه يحمل الإنسان على التلذذ بنعم الهداية عن طريق وعيه بالعلامات الشاخصة فيه والمشيرة إلى عظمة خالقه"[2]،مما جعل لغتنا العربية أجمل اللغات صوتاً وأخفها وقعاً وأرشقها لفظاً وأقواها حرفاً وأطربها موسيقى ونغما.

والدليل على ذلك أنّ المنقب في موروثنا اللغوي العربي يلفى أنّ العرب قد اهتموا بلغتهم اهتماما بوّأهم مكانة متميزة بين محي لغاتهم، فعملوا على تنقية ألفاظها وتراكيبها من كل المجاميع الصّوتية العسيرة نطقاً والممقوتة سمعاً، عن طريق خلق طائفة من الظّواهر التّشكيلية وتحديد مناحيها التعبيرية الجمالية لضمان سلاسة لغتهم التّي "كانت ملَكَةً راسخة في نفوسهم وسليقة

[1] – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، د.ت، ص117، نقلا عن صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، ص16.

[2] – صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، ص 16.

طبيعية في أذهانهم، فاكتسبوها بالممارسة الطويلة جيلاً بعد جيل، فكانوا لا يوظفون في حياتهم إلاّ الألفاظ العربية التّي جاءت على أنماط لغتهم، ويراعون غاية الدقة في أقاويلهم ولا يخطئون في تصريف الكلمات ولا في ضبط أواخرها، لأنّها كانت تجري على ألسنتهم مُتزنة دون قاعدة أو قانون يراعونه ويعتمدون عليه"[1].

هذا وقد اعتمد العرب في نقل تراثهم على المشافهة والسماع، مما أكسب كلامهم انسجاما ورشاقة وانسيابا وصفاء وموسيقية جعلته أقل عبئا على الذاكرة السمعية وأيسر في إعادته وترديده، خاصة حينما نزل القرآن الكريم، الذّي "احتل مكانة فذة في تاريخ البشرية، والذّي لم يُعرَف كتابٌ قبله ولا يُرجى أنّ يُعرف بعده مثله في علو الشأنّ ورفعة المكانة والتأثير العميق في حياة ونفسية العرب، الذّين أولَعوا بفصاحة لغته لسهولتها ووضوحها وعذوبة ألفاظها وخلوِّها من الهنات، عندها ارتاحت قلوبهم إليها وودُّوا لو أنّ ألسنتهم انطبعت عليها وصاروا يتأثرون ويطربون بجمال بيانها (لغة القرآن) ويروِّضون ألسنتهم على أسلوبها ويتنافسون في الإجادة والإتقان فيما يكتبون وفيما يبدعون، عندها أذكى كتاب الله عقولهم وشحذ أذهانهم وهداهم إلى الطريق القويم وحثهم وشرح صدورهم لنشر الإسلام، فملكوا قلوب عديد من الأمم بمشاعرهم وأحاسيسهم وأخلاقهم التّي هي أخلاق القرآن"[2] المتميز بنظمه وجرسه وتأليفه والذّي أسر قلوب الباحثين في أسرار

[1] – محمد الصالح الصديق، العربية لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 70.

[2] – محمد الصالح الصديق ، العربية لغة العلم والحضارة، ص ص 66-68.

إعجاز أسلوبه، الذّي "ما إن يقف المرء على ترتيله حق ترتيل يجد فيه اتساقا وائتلافا يسترعي من سمعه ما تسترعيه الألحان الشجية في آذان سامعيها، فتتسرب معانيه إلى أعماق قلبه دون أنّ يعتريه -على كثرة ترداده له- ملالة ولا سأم"[1]، لكونه موردا عذبا تهوي إليه أفئدة الأدباء، ويحط الرحال عند خصب معانيه البلغاء، ولا غرو في "أنّه إعجاز إلهي على مر الزمان وكّر الأيام، ثراً دافقاً لا تنقضي عجائبه ولا ينفذ مداده مهما انصرفت إليه أقلامٌ وتضافرت إليه جهودٌ تستظهر أسرار لغته الفذة، وتستجلي جماله الفني الباهر الذّي يخاطب القلوب والعقول لينساب في النفس بسهولة ويسر في ثبات ويقين، وما ذلك إلاّ لأنّ القرآن الكريم قد اعتمد في عرض مفاهيمه الدينية وحقائقه التشريعية على لغة حافلة بقيم جمالية تجمع بين روعة التصوير ودقة التعبير وقوة التأثير، وجمال الإيقاع"[2]، وهو ما جعل العلماء المسلمين يُنصبون أنّفسهم لمهمة الحفاظ عليه من اللّحن، فاهتموا بظاهرة اللّغة باعتبارها عنصراً أساسيا لتحقيق التواصل وقدموا لها مجموعة من التعريفات من بين أدقها في الفكر اللّساني العربي ما جاء به ابن جني (392هـ) في كتابه "الخصائص" حيث قال: «أمّا حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [3] مدركا في ذلك طبيعتها الصّوتية الاجتماعية ووظيفتها الاتصالية.

---

[1] – عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة دار السعادة، د.ت، نقلا عن: محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصّوتية في القرآن الكريم، دار الرسالة للنشر والتوزيع والإعلان، الدقي، ط1، 1988، ص 35.

[2] – صالح ملا العزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، مقدمة، ص أ.

[3] – ابن جني، الخصائص، تح محمد النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1952 ، ج1، ص 33.

أمّا ابن خلدون فيعرّفها بقوله: «هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كل أمةٍ حسب اصطلاحاتهم»[1]. وهي بهذا المعنى عملية نطقية يقوم بها الإنسان قصد التعبير عن أغراضه وعن أفكاره لإفادة الآخر، والمسؤول عن هذه العملية النطقية هو اللّسان، « فاللّغة هي ملكة اللسان»[2] تنتجها أعضاء النطق الإنساني وفق شروط ومعايير تحددها كلّ جماعة لغوية، والدارس المتفحص للعلوم الإسلامية سيلاحظ أنّ الفكر اللساني العربي القديم، قد تناول اللّغة بالدرس والتحليل في مختلف جوانبها الصّوتية والصّرفية أو النّحوية والدّلالية، وهذا يعني أنّ هناك تداخلا وتكاملا بين هذه المستويات اللّغوية فيما يتعلق بدراستهم للغة العربية عموماً وعلم الأصوات خصوصاً؛ لتحصين وحماية القرآن الكريم من اللّحن والتأثيرات الخارجية نتيجة دخول الأمم الأجنبية تحت راية الإسلام آنذاك ومن ثم صار ضرورياً صيانة لغة الدّين، عن طريق ضبط نطقها وكتابتها كي يسهل تداولها وتناولها بالكتابة.

وعلى هذا الأساس، أدرك العرب القدامى أنّ الإهتمام بالأداء القرآني السليم أمر تعبدي، فضلا عن كونه أمرا لغويا، لأنّه يساعد في تعلّم اللغة العربية، عندها بينوا مخارج الأصوات اللّغوية وملامحها التمييزية وما يطرأ عليها في التركيب خاصة أثناء التلاوة القرآنية.

وما يؤكد ذلك ما قدّمه النحاة واللغويون العرب وأصحاب المعاجم وعلماء التجويد والإعجاز القرآني والبلاغيون وأصحاب الموسوعات الأدبية

[1] – ابن خلدون، المقدمة،دار القلم بيروت، لبنان، د.ت، ص 454.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والفلسفية في مؤلفاتهم، ،التي عالجوا فيها العديد من القضايا المتعلقة بالدرس الصوتي مختلطاً بغيره من البحوث بهدف تقديم خدمة للأجيال القادمة. وكان من أبرز من اهتم بأصوات اللّغة الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) صاحب معجم العين الذّي يعد أول معجم صوتي في العربية يمتاز بالتفرد لكونه أرسى فيه صاحبه "أسس علم الأصوات عند العرب"[1]، خاصة من خلال مقدمته التّي ضمت معلومات ذات قيمة علمية وتاريخية تتعلق بتحليل الأصوات اللّغوية ودراستها دراسة عربية خالصة، لم يسبقه إليها أحد سواه من العرب أم غير العرب.

أما بالنسبة لسيبويه (180هـ) فقد التزم هو الآخر في كتابه بطريقة وأفكار أستاذه وطوّرها بشكل اتسم بالشمول والدقة في تحليلاته وتقسيماته، لصفات الأصوات ومخارجها، هذا إلى جانب حديثه عن بعض الظواهر الصّوتية التّي تنم عن نباهته ووعيه العميق بأسباب حدوثها وأبعادها الصّوتية والجمالية " كظاهرة "الإدغام وكذا الإعلال والإمالة"[*].

---

[1] – زكي كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعارف الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 2011،ص95، حازم سليمان الحلي، الخليل رائد علم الصوت، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج2، مج68، 1993، ص ص 100-101.

[*] – يعد سيبويه من أهم النحات والباحثين القدامى ، الذين وجهوا عنايتهم إلى ما يؤديه الصوت اللغوي من وظائف جمالية في العملية النطقية و ما تحدثه التغيرات الصوتية من تغير على بنية الكلمة العربية وبناءً على هذا اهتم بظاهرة الإدغام التي تعد ظاهرة صوتية تعنى بالتأثيرات الصوتية بين الأصوات اللغوية ،والدليل على ذلك قوله :" الإدغام هو أن يلتقي صوتان من جنس واحد،فيسكن الأول منهما،ويدخل في الثاني فيصير صوتا واحدا مشددا ينبو عنه اللسان بنبوة واحدة ،أو يلتقي صوتان متقاربان في المخرج فيبدل الصوت الأول صوتا من جنس الأخر و يدغم فيه فيصيرا صوتا واحدا"بهدف تحقيق الإنسجام الصوتي في اللغة العربية، التي تبتعد كل البعد عن الثقل في النطق بتراكيبها، هذا الثقل=

أما ابن جني (392هـ) فقد أفرد للدراسة الصّوتية كتابا بعنوان 'سر صناعة الإعراب" أفرغ فيه جهدا كبيرا أضفى على البحوث الصّوتية لوناً خاصاً مما جعل منها دراسة لغوية مهمة، يجب على عالم اللّغة أن يضعها في الاعتبار. ومعظم الآراء التّي ساقها في كتابه نالت إعجاب المستشرقين وعلماء اللّغة المحدثين، لكونه درس الأصوات اللغوية دراسة علمية دقيقة جمع فيها بين الجانب النظري والجانب التطبيقي وليس ذلك بغريبٍ على رجلٍ هو أول من استعمل مصطلحاً لغوياً للدّلالة على هذا العلم ما زلنا نستعمله حتّى الآن وهو علم الأصوات الذّي ربط بينه وبين علم الموسيقى بقوله: "إنّ علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من

=الذي قد يحول دون تأدية المتكلم لرسالته اللغوية بمهارة واعية و دقة ملحوظة. ينظر سيبويه، الكتاب، شرح وتح: عبد السلام هارون، 1982، ج2،ص405، إبن جني الخصائص ،ج2 ص.141.

أما بالنسبة للإعلال ،فعلى الرغم من أن سيبويه قد استعمل مصطلح الإعلال كثيرا في كتابه إلا أنه لم يضع تعريفا محددا له، وكذا الحال بالنسبة إلى المبرد، ينظر : سيبويه، الكتاب، ج2،ص181، أبو العباس المبرد، المقتضب، ج1، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، دت، ص61.

ولعل أول من يقترب عنده تعريف الإعلال من معناه الإصطلاحي الواضح والمفهوم هو إبن يعيش الذي قال :" والعلة تغيير المعلول عما هو عليه وسميت هذه الحروف حروف العلة لكثرة تغيرها "، ينظر: موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، ج10، مكتبة المتنبي، القاهرة، دت، ص54، ولم يأخذ معنى هذا المصطلح بالإستقرار إلا عند رضي الدين الإستربادي وذلك في قوله :" هو تغيير حرف العلة بالقلب أو الحذف أو الإسكان والغرض من هذا التغيير التخفيف "، ينظر: رضي الدين الاستراباذي، شرح الشافية ابن الحاجب، ج3تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، مطبعة الحجازي، القاهرة،1358هـ، ص ص66-67.

أما بالنسبة للإمالة فقد عرفها العديد من الباحثين القدامى بقولهم أن اللسان في الإمالة يتجاذب فيه الصعود إلى الأعلى وذلك في حالة الألف،والنزول إلى الأسفل في حالة الياء والكسرة،فحاول الناطقون بهذه الطريقة أن يوحدوا النطق وذلك بجعل اللسان يستقر على أحدهما، فلجأوا إلى إمالة الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة "بغية تحقيق السهولة واليسر في أثناء النطق ببعض التراكيب اللغوية العربية. ينظر: موقف الدين بن يعيش، شرح المفصل، ص55.

صنعة الأصوات والنغم"[1] التّي تختلف أصداؤها وسماتها باختلاف درجة الاعتراض ومكانة في الجهاز النطقي الذّي شبهه ابن جني بالناي ووتر العود[2] عاقداً في ذلك مقارنة بين الجهاز النطقي وبين وتر العود. فضلا عن حديثه عن الأصوات اللّغوية وجهات تأتيها وائتلافها في التراكيب، وما تتعرض إليه من ظواهر صوتية كالإعلال والإدغام والمحاذاة والحذف لكونها مادة وعمدة التّشكيل اللغوي العربي، مشيرا في ذلك إلى أنّ علماء العربية لم يدرسوا اللّغة باعتبارها لغة مكتوبة، وإنما درسوها باعتبارها لغة منطوقة قائمة على الأصوات، وهو ما دفعهم للعناية بنظرية الفصاحة في السياق اللّغوي وإرجاعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج.

أما الفيلسوف العربي أبو نصر الفرابي فقد أولى هو الآخر الدرس الصّوتي كثيرا من الاهتمام وخاصة في كتابيه "إحصاء العلوم" الذّي استخدم فيه مصطلح "علم اللسان"[3] والموسيقى الكبير الذّي أفرد فيه عديدا من المباحث الصّوتية الخاصة بتحديد الفرق بين المصوت والصائت وكذا المقطع الصّوتي* .كذلك شارك أصحاب الموسوعات الأدبية في هذا الحقل وعلى

---

[1] – أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث، مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1954، ج1، ص 10.

[2] – ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص 09-10.

[3] – أبو نصر الفرابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، ص 02- 06. نقلا عن زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2011، ص 60.

* – المقطع في أبسط أشكاله وصوره هو "عبارة عن دفعة هوائية، تضم وحدة صوتية بسيطة لا يمكن تجزئتها إلى أقل منها، لبساطتها.كما أنه يعد مجال العمل الذي تشتغل عليه باقي الظواهر الفوق التشكيلية من نبر وتنغيم.=

رأسهم الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" الذّي تنبه فيه لأهمية الجانب الصّوتي في اللّغة، فعرف الصوت بقوله: هو آلة اللفظ والجوهر الذّي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظة ولا كلاماً موزونا ولا منشوراً إلا بظهور الصوت"[1]. موضحا في ذلك أنّ الأصوات اللغوية هي أساس عملية الكلام التّي تتم بوجود متكلم وسامع ورسالة معبرة عما يريد أن ينقله الباث المتكلم للمتلقي، هذا إلى جانب كلامه عن عيوب النطق سواء أكانت ناتجة عن "سرعة أم سبب عضوي أم لثغة أم لكنةٍ أجنبية"[2].

وقد تنبه علماء العرب في القديم من لغويين وبلاغيين وشعراء وأدباء إلى قيمة التّشكيل الصّوتي السليم من أي تنافر أو ثقل يحول دون نطقه بسهولة ويسر، لأنّ اللسان العربي قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره، والدّليل على ذلك "أنّ العرب كانوا يأبَوْن تأليفا خاصا من الكلمات لا يأباه غيرهم مثل إبائهم اجتماع وَاوَيْنِ أول الكلمة، والابتداء بالساكن، واجتماع حرفين ساكنين"[3]. ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من تحدث عما يسمى

=ينظر: إبراهيم نجا، التجويد و الأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972، ص27، نقلا عن محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، مليلية، الجزائر، ط2009 ، ص173.

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1968، ج1، ص 79.

[2] – المصدر نفسه، ج1، (ص 15- 38- 58- 70- 74). أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، 1978 ، ص ص 98- 100.

[3] – أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 118.

واهتم ابن سنان الخفاجي ت 466هـ هو الآخر بالحروف وبالناحية الصّوتية كمقدمة للحديث عن الفصاحة لأنّه يرى أنّ حاجة الناظر في علم الفصاحة والبلاغة لمعرفة الأصوات اللغوية وأوصافها أمرٌ ضروري، ولهذا وضع عدة شروط لفصاحة الكلمة ذكر منها أن "تتشكل اللفظة من حروف متباعدة المخارج، ومثل لذلك بكلمة " "ألم"، التّي حروفها غير متنافرة مبنية من أصوات متباعدة المخارج"[1]، مع أنّ هذا الشرط غير مستقر، فهو يخالف به الرماني الذّي ذهب إلى" أنّ التلاؤم يكون في التعديل بين الحروف لا في القرب ولا في مخرجها"[2]، ومعنى ذلك أن الفصاحة حسب رأيه تقوم على مدى التعديل بين الحروف، حتى تكون سهلة في الكلام ومقبولة وحسنة في الأسماع.

وقد اعتنى الجاحظ أيضا بجمال رصف الكلام العربي الفصيح الذّي يعتمد فيه أصحابه على حسن انسجام وائتلاف أصوات تراكيبه، فذكر أنّ هناك بعض الحروف لا يجوز تجاورها واقترانها مع بعضها وذلك في قوله: «وأما اقتران الحروف فإنّ الجيم لا تقارب الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الطاء ولا الذال ... وهذا باب كبير وقد يكتفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية

[1] – ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،تح عبد المتعالي الصعيدي، مطبعة علي الصبيح وأولاده، مصر، 1969 ص112.

و أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 97، تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى، ص 232.

[2] – الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ص ص87-89.

التّي إليها يجري» [1]. مدركا أنّ هندسة البناء اللّغوي السليم لا تتحقق إلا بصحته الداخلية والخارجية التّي تقوم على التّشكيل المتلائم لأصواته ومبانيه ومعانيه والطلاء (النبر والتنغيم)* الذّي يكسو جوانبه فيصقلها ويهذب حواشيه فيحيله ليجعل منه كلا متكاملا جاذبا الاهتمام للسامع واقعاً موقعه الصحيح الذّي يؤهله لأداء غرضه وإصابة أو مطابقة مقامه كما يقولون.وهو ما دفعه للقول أيضا "أنّ جماع البلاغة حسن المواقع، فإذا كانت الكلمة ليس

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 292، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 100.

* – يعد النبر ملمح من الملامح الصوتية الأدائية التي تكسو المنطوق كله وتكسبه خواصا تنبأ عن معناه، ويتم ذلك من خلال ارتباطه بالمقطع ارتباطا تلازميا، إذ لا يمكن أن ينفصل أحدهما عن الآخر وإن التصقا، تكامل عملهما الوظيفي، ذلك لأن النبر في معناه الاصطلاحي« هو نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره، ويتم ذلك بزيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين حيث يشتد تقلص عضلات القفص الصدري =والوحدة التي تنطق بمزيد من القوة تكون أكثر أسماعا من الوحدات الأخرى، مما يفيد في توضيح أثرها ومعناها لدى السامع (المتلقي)، وأكثر الوحدات اتصالا بزيادة القوة هي الحركة »، اعتبارا لكونها تشكل نواة المقطع الصوتي، ينظر: صلاح حسنين ، المدخل في علم الأصوات المقارن ، وعبد الغفار حامد هلال، أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1979 ، ص 57 ، أما بالنسبة للتنغيم فيعد ظاهرة صوتية أدائية تعمل على تلوين الكلام الإنساني بنغمات تتمثل في ارتفاعات و انخفاضات بحسب المقام المقول فيه ، وعلى هذا الأساس يعرفه عاطف مذكور في قوله : "إنّه تنوع في الصوت بين الارتفاع والانخفاض أثناء الكلام نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين فيتولد عن ذلك نغمة موسيقية، ولذلك يطلق على التنغيم أيضا موسيقى الكلام أو اللحن ، مشيرا إلى دور التنغيم في الكشف عن ظلال المعاني في الأداء الكلامي، ينظر: عاطف مذكور، علم اللغة بين القديم و الحديث، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1987 ، ص135.

موقعها إلى جنب أختها مرضيا موافقا، كان اللسان عند إنشاد الشّعر مئونه، وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم أنّه أفرغ إفراغاً وسبك سبكاً واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"[1]. لأنّ السلاسة الصّوتية في الكلام لا تتحقق إلا بالانسجام والسهولة النطقية لأصواته اللّغوية وعذوبة ألفاظه.

وهو ما جعل النقاد العرب قديما يهتمون بجماليات الأداء اللّفظي، وأثره في الإبداع الفني وبخاصة النّص الشّعري الذّي يستند الشاعر في تشكيله على رؤية تجاوزية وزاد لغوي وإيقاعي وتخييلي، يساعده على رفع الحجاب عن الجمال الكامن في الكون وليعيد رسمه في لوحة شعرية (النص) على غير ما يمكن أنّ يكون عليه في الواقع، «لأنّه لا يعبر عن الحياة ولكنه يخلق حياة معادلة للحياة وأكثر منها صدقا وجمالا»[2] بصرخات ذاتية ووجدانية ومغامرة يندفع بها إلى بحر اللّغة العربية التّي يحتاج فيه إلى مجاديف وآليات وطرائق حتى يتم رحله صوب ما يريد الإجابة عنه، بعد أن ينتقي من لآلئ هذا البحر ما يضمن له معالجة نصه معالجة صوتية متكاملة تحقق له التناغم الإيقاعي اللافت والانعكاس الإيحائي الدّلالي الواسع،لأنّ الكلام الإنساني عبارة عن سلاسل صوتية يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا.

وفي ختام دراستنا هذه لا يسعنا إلا أن نشيد بما تضمنته الكتب التراثية من جهود لغوية والتي كان من أهمها الدراسة الصوتية التي أولاها العرب

---

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص100.

[2] – صلاح عبد الصبور، حياتي في الشّعر، ص 52. نقلا عن عبد الله العشي، أسئلة شعرية- بحث في آليات الإبداع الشّعري، منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص 89.

القدامى اهتماما ملحوظا،وذلك "لأنهم كانوا يعلمون أن المحافظة على اللغة العربية هو محافظة على الدين الذي ارتضاه لهم ربهم وفيها وبها تتمثل وحدهم وتقوى روابط الأخوة الإسلامية والعربية بينهم، ولهذا أتوا في دراسة لغتهم بما لم تأت به أمة أخرى، من قبل أو من بعد، من حيث كثرة المحصول وغزارة المادة واتساع مناحي البحث وعمق النظر وشمول الدراسة فنظروا في أصواتها ووصفوها وصفا دقيقا ووضعوا القوانين التي تنظم علاقاتها مع بعضها البعض كما نظروا إلى أساليبها وموسيقى شعرها، وقواعد منثورها وأحوال مفرداتها، وثرواتها اللفظية بصورة تثير العجب وتستأهل التقدير[1]، لأنهم أدركوا أننا في استعمالنا الفعلي لهذه اللغة لا نتكلم بأصوات مفردة، وإنما كلمات وجمل وفقرات، "وليس كل صوت صالح لأنّ يجاور أي صوت في التّشكيل الكلامي، لأنّ مخرجه وصفاته هما اللذان يحددان وروده في موقع معين أو عدم وروده؛ نتيجة تأثره بغيره من الأصوات السابقة عليه أو اللاحقة له، ولهذا حرصت اللّغة العربية على نسج بنائها اللّغوي من أصوات متباعدة من حيث المخارج إلى الحد الذّي لا يسبب إجهادا لأعضاء النطق؛ وليتمكن المرء من نطق تراكيبها بسهولة ويسر دون أن يتعثر لسانه في نطقها"[2] معتمدة في ذلك على ظّواهر تشكيلية كظاهرة التجانس التي تضفي عليها جمالية خاصة، وكذا ظواهر أدائية كالنبر والتنغيم التّي يستخدمها المتكلم لإبراز مقاصده اللّغوية.

[1] – كمال بشر، فن الكلام، دار المعارف مصر ط2/ 1971، ص 51.

2 – فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص 15.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم نجا، التجويد و الأصوات، مطبعة السعادة، القاهرة، 1972.

2. ابن جني، الخصائص، تح محمد النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952 ، ج1.

3. ابن خلدون، المقدمة،دار القلم بيروت، لبنان، د.ت.

4. ابن دريد، جمهرة اللّغة، مكتبة المثنى، بغداد، د ت، ج1.

5. ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح عبد المتعالي الصعيدي، مطبعة علي الصبيح وأولاده، مصر، 1969 .

6. أبو العباس المبرد، المقتضب، ج1، تح: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، دت.

7. أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث، مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1954، ج1.

8. أبو نصر الفرابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، ص 02- 06. نقلا عن زين كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2011.

9. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، 1978.

10. تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت والمعنى، دار الدجلة، الأردن، ط1، 2011.

11. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ط 1968، ج1.

12. جميل علوش، النظرية الجمالية في الشعر بين العرب والإفرنج، مجلة عالم الفكر،الكويت، ع1، 2000.

13. حازم سليمان الحلي، الخليل رائد علم الصوت، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج2، مج68، 1993.

14. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج3.

15. الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، 2011.

16. رجب عبد الجواد، موسيقى اللّغة، دار الآفاق العربية، ط2، القاهرة.

17. رضي الدين الاسترابادي، شرح الشافية ابن الحاجب، ج3تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، مطبعة الحجازي، القاهرة،1358ه.

18. الرماني أبو الحسن علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول السّلام،دار المعارف، القاهرة، د ت.

19. زكي كامل الخويسكي، الأصوات اللغوية، دار المعارف الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، 2011.

20. سيبويه، الكتاب، شرح وتح: عبد السلام هارون، 1982، ج2.

21. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، د.ت.

22. صالح ملا عزيز، جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2010.

23. صلاح حسنين ، المدخل في علم الأصوات المقارن ، وعبد الغفار حامد هلال، أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1979 .

24. عاطف مذكور، علم اللغة بين القديم و الحديث، مديرية الكتب و المطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1987.

25. عبد الله العشي، أسئلة شعرية- بحث في آليات الإبداع الشّعري، منشورات الاختلاف، ط1، 2009.

26. عبد الله دراز، النبأ العظيم، مطبعة دار السعادة، د.ت.

27. غازي مختار طليمات، في علم اللّغة، دار طرابلس، دمشق، ط2، 2000.

28. فوزي الشايب، أثر القوانين الصّوتية في بناء الكلمة العربية، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

29. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، دار الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004.

30. كمال بشر، فن الكلام، دار المعارف مصر ط2/ 1971.

31. محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصّوتية في القرآن الكريم، دار الرسالة للنشر والتوزيع والإعلان، الدقي، ط1، 1988.

32. محمد الصالح الصديق، العربية لغة العلم والحضارة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.

33. محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، 2008، ط1.

34. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع، مليلية، الجزائر، ط2009 .

35. مهدي عناد قبها، التحليل الصّوتي للنص، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2013، ط1.

36. موقف الدين بن يعيش، شرح المفصل، ج10، مكتبة المتنبي، القاهرة، دت.

وظيفة اللغة في نقد الرواية الاجتماعية

د. حفيظة مخلوف
قسم اللغة العربية وآدابها
ـ جامعة سعيدة

النزوع الواقعي نموذجا:

"النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية" لـ:" واسيني الأعرج" سلط فيه الضوء على الإنتاج الواقعي النقدي في الأعمال الأدبية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، ففي هذا الكتاب نجده يركز على الواقعية بشكل عام، ويتتبع جذورها في أوربا، ولذلك أراد أن يجلي ذلك الغموض الذي كان يكتنف الواقعية في الجزائر والعالم العربي و كيف أنها واكبت الحقب التاريخية. " فقد ظل هؤلاء الكتاب على اختلاف اتجاهاتهم يعكسون صورة حية لتناقضات المجتمع الاستعماري، فأصبحت الرواية الواقعية على أيديهم ذات مفهوم جمالي متقدم"[1]

إن مظاهر اللغة وطروحاتها الجمالية و الفكرية مستوحاة من واقع تاريخي موضوع ونجده كذلك يحدد الفروقات بين لغة الواقعية النقدية ولغة الواقعية الاشتراكية في آن واحد.

---

[1]) واسيني الأعرج: النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية. دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 01 ، 1985 ص :29.

استهل الباحث دراسته برواية (الحريق) لـ: نـور الـدين بوجـدرة الـتي رأى أنها تخفي جذورا واقعية من خلال طرحها لمسائل لغوية تتعلق بمعجـم الثورة الجزائرية فالرواية كتبت سنـة (1957)، وأخـرى تتعلـق بالحركـة الوطنية وسعيها نحو اجتثاث البرجوازية الكولونيالية ورأى أن الرواية تتسم بالبساطة إلى حد السطحية، فالكاتب لم يهتم بمقومات الفن الحديثة وإنما اهتم بالسرد والمضمون، ذلك أن:

"الرواية في بنائها الخارجي بسـيطة إلى حـد التسـطح، لم تعتمـد الأسـاليب الغربية المعقدة، بقدر ما استفادت من السرد، فغابت تقنيات الرواية الجديـدة ومارس الموضوع الروائي حضوره بقوة"[1]

واستنادا إلى اعتبارها أول رواية كتبت والحـرب في أوجهـا فـلا يمكـن أن تخلو من بعض العيوب وقد حاولت استئصال قـوى العـدو بطريقـة أخـرى وينعت كاتبها بأنه يفتقر إلى الدقـة في التعامـل مـع الواقـع والظـواهر. "وقـد يطرح الكاتب ذلك كله ضمن غطاءات شـعارية مبـالغ فيهـا بعـض الشـيء لافتقاره إلى الرؤية العلمية في التعامـل مع الوقائـع والظـواهر"[2]. أيُ وقـائع يقصد الباحث؟ هل تلك المتعلقة بالحب الذي جمع بـين الشخصـيتين زهـور وعلاوة؟ أم تلك المتصـلة بـالثورة فلـم يـتقن رسـم معالمهـا بشكـل جيـد والكاتـب "نـور الـدين بوجـدرة" في هـذا العمـل يؤلـف بـين مسـتويين مـن الإيديولوجية في آن واحد.

الأيديولوجية الاجتماعية (الحـب كنزعـة إنسـانية مشـروعة) والسياسـية (النضال الثوري القاسـي) الصـراع بـين الحـب والواجـب بشـتى أشـكاله،

---

[1]) المرجع السابق، ص: 37.

[2]) نفسه، ص42-43.

ويرجع فشل الكاتب وسقوطه في الذاتية إلى فشل الواقعية الانتقادية بدورها في تحليل ملابسات الحياة، فهل أدباؤنا لم يفلحوا إطلاقا في تجسيد الواقعية الانتقادية في أعمالهم الأدبية؟ صحيح أنها لا توازي فهم الغرب لها بحكم اختلاف الظروف التي عاشتها كل واحدة إلا أن المبادئ الأساسية تمخّضت وتبلورت على الأرضية العربية. " ففشل الكاتب في مهمته ليس إلا النتيجة الحتمية لقصور الواقعية الانتقادية بدورها في إدراك جوهر الحياة "[1].

وبعدها يوازن الباحث بين كتابات نور الدين بوجدرة و الطاهر وطار ليحكم بتفوق هذا الأخير على مستوى المضمون والشكل الذي حققه النضج الفني والتجربة الكتابية المريرة إلى جانب درجة الوعي التاريخي لبلوغ الغاية الفنية الجمالية التي تختلف من كاتب لآخر وهذه بالذات خاصية فيشر"FECHER" إذ إنه " يعتبر الفن صيغة من صيغ العمل في الدرجة الأولى، وبهذا الاعتبار فحسب قد يتضمن شكلا من أشكال المعرفة "[2]، التي تتوصل إليها بعد قراءة الإنتاج الأدبي لنكشف حيثيات الواقع وأهم الخاصيات الفنية التي تميز كل عمل من حيث لغته ووظائفها داخله.

انتقل الكاتب بعد رواية "الحريق" إلى رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة التي تصور حياة الفلاحين البؤساء وصغار الملاكين الذين يعيشون تحت وطأة الإقطاع .

يلخص الباحث الرواية إذ لا نجد تقويما مستقلا كما جرى مع سابقتها عدا ما كان يتخلل التلخيص كرؤية في كون "ابن هدوقة "استطاع امتلاك الأدوات

---

[1]) واسيني، الأعرج: النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية ، ص: 47.

[2]) فضل، صلاح: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكاتب 1978 ص 106.

الفنية الصحيحة في خلق واقع قصصي في نسق محكم " فقد استطاع ابن هدوقة بقدرة فنية مقبولة إلى حد كبير أن يتوصل إلى إيصال ما كان يطمح إليه من خلال أدوات أسهمت في كشف البعد الحقيقي لهذه الرواية "[1].

فالكاتب من أبرز الأسماء الجزائرية، التي لها وزنها في الخطاب النقدي ومهما تباينت وتشعبت مصادر معرفتنا إلا أنها تلتقي في السعي نحو إشباع القارئ ثقافيا وجماليا ومضامينها تحقق الوظيفة السامية للأدب بـ: " تحقيق انسجام الرؤية لدى القارئ وإشباعه جماليا "[2]. ليستنتج أن هذه الأدوات تسهم في جماليات العلاقة بين الشكل و المضمون، على مدى ارتباط الكاتب بواقعه الاجتماعي " ومثل هذه الأدوات الفنية تسهم في تأكيد الصلة الدياليكتيكية القائمة بين الشكل والمضمون وتعمل على تأصيل تجربة الكاتب الإبداعية بارتباطه بواقعه حتى الصعيد الجمالي"[3]، فالأديب أهم منتج للإيديولوجيا بحكم صلته الوطيدة بالبيئة المحلية ويعد أحسن ممثل لها لأنه وحده القادر على إعطائها معنى وجمالا برغم التحوّلات والمستجدات التي تطرأ على المجتمع :

"....ورغم أن الممارسة الأدبية والكتابة هي ممارسة فردية فردانية، تعكس إبداعية وحساسية الكاتب وأصالة طريقته لعكس العالم ومعرفته وتحسينه جماليا فإن الأدب في النهاية محصلة نشاط اجتماعي معقد "[4].

---

[1]) واسيني، الأعرج : النزوع الواقعي ص: 67.

2) بلحسن،عمار: الأدب و الأيديولوجيا – المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984- ص 135.

3) واسيني، الأعرج: النزوع الواقعي ، ص 68.

4) بلحسن،عمار: الأدب و الإيديولوجية ص 123-124.

والإنسان داخل مجتمعه يشكل العالم الرئيسي لإبداع الأديب مهما تعقدت قصصه وتعددت، والأدباء يبذلون جهودا كبيرة في تطوير الفن الروائي الجزائري بما يحمله من حقول معرفية عبر حقب زمنية مختلفة.

أما السقوط في المثالية وعدم استيعاب النظرية السياسية فقد كانا أهم ميزات رواية "مرزاق بقطاش" (طيور في الظهيرة) بالنسبة له، فبرغم رؤيته النقدية الاجتماعية الواقعية فإنه رسم للبطل - مثلا- مواقف مثالية يعجز عنها أحيانا عقله الصغير كالوسط الذي يعيشه، المفعم بالآلام والأجواء الفقيرة، الذي يمثله هو وأصدقاؤه، والثراء والرخاء الذي تعيشه العائلات الأجنبية على حساب قوت الفقراء اليومي، وجرأة "مراد" البطل المتناهية في السعي وراء معرفة أسرار الثورة والتقاط بعض المشاهد التي تقتحم عالم الطفولة فيه سواء في الغابة أم في البحر، و صراحته حين يصرخ بأعلى صوته في وجه معلمته بأنه لا يحب الفرنسية فهي في نظره لغة المستعمر ويتلقى بعدها صفعة شديدة

" وضمن قانون تطورها الخاص يمكنها أن تحمل معنى ثوريا كما يمكنها أن تحمل معنى رجعيا مثلما كان الحال باللغة الفرنسية في الجزائر، وهذا ليس موقفا ضد اللغة كلغة بقدر ما هو ضد الإيديولوجية الرأسمالية التي زرعت بين كلمات وتراكيب هذه اللغة "[1].

فالاستعمار لم تقتصر نواياه وبشاعته على فئة معينة من فئات المجتمع. وإنما شملت الكل بمن فيهم الأطفال الأبرياء وعوض أن يصور الكاتب "بقطاش هول المعركة و مجابهة الثوار للعدو، أو يسمعنا طلقات الرصاص، أو دوي الرشاشات، حول أبصارنا إلى عالم آخر، ربما لا نوليه اهتماما واعتقادنا

[1]) واسيني، الأعرج: النزوع الواقعي ، ص: 78.

بوجود انشغالات أهم، وهو عالم الطفولة التي تحمل هي الأخرى أسرارا وقد انعكست آثار الاستعمار ماديا ومعنويا، وإن لم يركز الكاتب على الظلم في حقهم ماديا، فإنه اختار الجوانب النفسية التي لها مكانتها .

فالطفل له الحق في اللعب، في الحرية، في الصداقة، في الحب... وأن يبعد عن تفكيره كل المعاني التي تسبب له التناقض أو تهز عالمه الصغير الهادئ، والكاتب بهذا المزج يوفق في رسم صورة للثورة بطريقة أخرى تخرج عن المألوف لاستجابة النظرية الثورية بشكل كبير خرج عن روتين الاستيعاب فينبهنا ويولي أهمية قصوى للأطفال وهذا ما قصده الباحث -حسب تصورنا- عندما اختار عنوانا فرعيا لقصة "بقطاش" قبل مناقشتها حيث أطلق عليها "جرأة اقتحام الزمن الصعب".

انتقل الكاتب بعدها إلى رواية "على الدرب" لحاجي محمد صادق فوصفها بالصريحة لدرجة السطحية إذ تعكس المشاكل التي خلّفها الاستعمار على المجتمع الجزائري وهي"صريحة لدرجة التسطح، تتكون من عدة لوحات متجانسة إلى حد ما، تصب كلها في هدف واحد"[1].

ثم يعقد مشابهة بينها وبين رواية"الزلزال" للطاهر وطار فمسيرة البطل "مسعود" في رواية الدرب توازي مسيرة "بولرواح" كلاهما يتجهان نحو مكان غير محدد في شوارع مدينة قسنطينة وما يمكن أن نلحظه أن الأدباء الجزائريين عالجوا بشكل أو بآخر حوادث واقعهم الجزائري وأضحت لمساتهم على كل قالب من قوالب الفن، ينتقدون واقعهم ويعملون جاهدين من أجل إصلاحه بطريقة إنسانية شاملة ، وما يميز الرواية الواقعية عن غيرها هو "صياغتها لتجربة عامة مستمدة من الواقع الموضوعي، مما يفترض في رأي

[1]) المرجع السابق ص : 86 .

النقـاد تـوفر الروائـي علـى خلفيـة فكريـة تمكنـه مـن اسـتيعاب التجربـة الاجتماعيةوتمثل الواقع في شموليته"[1].

إذ صور الكاتب "حـاجي محمـد صـادق" في روايتـه لوحـات مختلفـة نتعـرف في إحداها على حياة مسعود فقدانه لزوجته وابنه إبان الحرب التحريرية وبحثه الدائب عن العمل لكسب قوته، فحنينه إلى الزوجة والابن ثـم يصـور علاقتـه بأصـدقاء جدد في العمل بالمسـلخ وسـكنه معهـم بالحمـام بسـب اسـتفحال أزمـة السـكن، واختيار الرواية في الأساس بحث في علل المجتمع ومـا يتعلـق بواقـع الشخصـيات خاصة الجهاز الرأسمالي الذي شغل الضعفاء بالعمل المضني والإذلال، فيعـودون بلا روح كما كان الحال مع شخصية "الساسي" "ومع ذلك فقـد ذهـب إلى فرنسـا مرغما، وعاد مرغما، لكنه عاد بلا روح، منح روحه إلى باريس"[2].

ويكشف الباحث أيضا ما كان للرواية من تفاصـيل عـن البيروقراطيـة والمظاهر غير الطبيعية التي تسود مجتمعنا إلا أنه يرى أن العمل الروائي سقط في متاهات التناقض والسطحية باعتبار الروايـة فنـا تحتـاج إلى عمـق النظـرة ونضج الفكرة أو المنهج "...وقد توفق مع شيء مـن الجهـد إلى قصـة قصـيرة ناجحة تصور لحظة من لحظات انتصارات الثورة وكفاحها أما العمل الكـبير كالرواية أو المسرحية فيحتاج إلى زمـن طويـل حتـى ينضـج في نفـس كاتبـه وتستوي تجربته كائنا فنيا حيا له كل مقومـات البقـاء"[3]. وذلـك لعـدم إلمـام

---

[1]) أوزرويل ،فاطمة الزهراء: مفاهيم نقد الرواية بالمغرب ، ص: 117- 118.

[2]) الصادق، حاجي محمد: على الدرب، مجلة آمال، وزارة الثقافة و الإعـلام ، الجزائـر ، العـدد 40، 1977 ص : 140.

[3]) دواره، فؤاد :في الرواية المصرية ، ص 37/ 38،نقلا عن واسـيني الأعرج:النـزوع الـواقعي الإنتقادي في الرواية الجزائرية ص: 88 .

الكاتب بالأسباب المفضية إلى الآلام والأحزان وعدم التركيز على خلفيات المشاكل وإن حاول إيجاد البدائل الحقيقية لمثل هذه المظاهر التي ينعدم فيها الشرط الإنساني.

إن اتجاه الكاتب الماركسي جعله ينقُد الجوانب الموازية للاتجاه كالتفاوت الطبقي الحاصل في المجتمع وآثاره على الفرد وأسرته أو محيطه العام، فالآثار لا تحد بالظواهر الاجتماعية فحسب، بل أيضا النفسية، آملا في التغيير والسير قدما نحو الأمام و يرى الباحث أن هذه الفكرة داخل العمل اتخذت مسارا آخر، وكيف أن النجاح منوط بنجاح الثورة الاجتماعية "وعليه إن الثورات الثلاث كفيلة بمسح القبيلة، لأن الشعب عندما يفهم ويعي ويعمل ويسكن، سينسى القبلية، والرشوة"[1] فإن حلت المشاكل الاجتماعية المادية للمواطن تحل المشاكل الطبقية التي يعاني منها.

ويعود الباحث من جديد إلى مسألة التناقض التي شملت الشخصيات نتيجة تداخل أدوارها حتى في الأخطاء و مدى عجز الكاتب عن الفعل الإبداعي الذي يحقق الجمالية الفنية."...حين يجبر على التعامل مع خلفيات هذه المشاكل، وبالتالي انعكاسها على نفسيات شخوصه المحوريين، يقف عاجزا عن أي فعل إبداعي حقيقي فيسقط نتيجة ذلك في مزالق فكرية وفنية"[2].

وما فتئ الباحث يؤكد على ضرورة امتلاك التقنيات والمهارات الجيدة التي تحقق جمالية وجودة العمل الروائي أما "الطموح" لـ:"محمد عرعار العالي"

---

[1]) الصادق، حاجي محمد : على الدرب منشورات مجلة آمال ،ص:73نقلا عن واسيني الأعرج: النزوع الواقعي الانتقادي ، ص:91 .

[2]) واسيني، الأعرج: النزوع الواقعي الانتقادي، ص 92.

فقد استقلت هي الأخرى بعنوان فرعي اختاره الباحث: "انهيار الفهم القاصر للبرجوازية الصغيرة" فهو يصفها بالغرابة وكثافة الشخصيات اعتمد صاحبها تقنية "الفلاش باك" والارتداد الذاتي. وبداية التقويم هذا مطابقة لما جاء في كتاب "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" تطابقا تاما: "الرواية غريبة إلى حد ما، وتحتوي على حشد من الشخصيات والأحداث، وسنحاول أن نجمع هذه الخيوط المتشابكة ونركز على أهم ما ورد فيها وهناك إشارة تفرض نفسها بثقل(...) وهي أن أكثر من نصف الرواية بني على تقنية "الفلاش باك"الارتداد الذاتي"[1] ثم نجد تلخيصا عاما لأحداث الرواية.

فالباحث - بحكم توجهه الإيديولوجي- يركز دائما على المضمون باعتباره يمس الجوانب الواقعية والشخصية البرجوازية الصغيرة المتمثلة في خلفية الذي يعيش حياة مليئة بالنكسات المتوالية، وتنتهي جملة التناقضات بنهاية حياته."إن البرجوازية الصغيرة حبيسة خلفياتها الاجتماعية والنفسية فلا تتحول جذريا إلا إذا انتحرت يعني أن تفقد مصالحها وتذبذباتها حتى يمكنها أن تنضم بسهولة إلى قوى العدالة الاجتماعية"[2]. والتفاؤل والتشاؤم قطبان متجاذبان عند خليفة الشخصية الأساسية في العمل الأدبي وفعلا إن ما يميزها هو الانفراد والوحدة دون التفاعل المنسجم مع باقي الشخصيات "والفرد لا يمكنه أن يحقق شيئا إلا إذا حافظ على العلاقة الجدلية المتينة – الفرد والجماعة ــ ويظل همه همهم والعكس صحيح"[3].

---

[1]) واسيني، الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.(بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية) المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر 1986 ص 430-431.

[2])واسيني، الأعرج: النزوع الواقعي ، ص 104.

[3]) نفسه، ص 110.

وهذه الخصوصية جعلت البطل رغم ثقافته يقع في متاهات تبعد عن العقلانية، رغم محاولات أستاذه سليمان الذي يئس من تحويل خلفية من السلبية إلى الإيجابية.

لجأ الكاتب إلى الاهتمام أكثر ببطله والمبالغة في بعض الطروحات التي اكتست بالتقديس كما رأى الباحث."... والموقف الرجعي الذي لا يتوانى عن التصنيف للبديل الرأسمالي، فبدل أن ينجر البطل لتصورات الكاتب، التي طرحها عبر روايته، نجد العكس هو الذي يحدث، فالكاتب يخضع لأنموذجه المبدع"[1]. والكاتب يحمل رؤية سلبية لكل ما هو جماعي.

وعن رواية "قبل الزلزال" لـ بوجادي علاوة فهو يرى أن لغة الرواية فيها غائبة ولكننا لا نجد مبررا لهذا الغياب؟ لأنه لم يُقَوم العمل من الناحية الفنية ليفسر سبب العنوان الفرعي.

الرواية ليست مثل غيرها من الروايات السابقة، ولو على الصعيد الشكلي التركيبي بمعنى آخر فهي لا تخضع للتعريفات التقليدية للرواية، لها بناؤها الخاص إلى حد ما."[2]

فأما بالنسبة لمضمون الرواية فهو مألوف إذ نشهد فيه آثار التفاوت الطبقي بين الطبقة البرجوازية الإقطاعية "استطاع الكاتب أن يطور مسار عمله الإبداعي فقد قفز بحركة التاريخ خطوات تحويلية إلى الأعلى ، وتوصل إلى أن يجعل من شخصية مصطفى على محدودية وعيه نسبيا. كيانا حقيقيا نابضا يرتقي إلى درجة المواجهة الواقعية"[3]. ضد شخصية بلقاسم البرجوازي خصوصا عندما كان عاملا أجيرا

[1]) واسيني، الأعرج: اتجاهات الرواية ، ص 438.
[2]) واسيني، الأعرج : النزوع الواقعي ص 122 .
[3]) نفسه ، ص : 125 .

□énäia□ o Üà Ç□†Ó ë□Lõb ' í□bà×□bèî Ï□ÒŠ – nÛa□éÛ□Õ° □□Ûa□é×ý ßc□åß□aõŒu□□ – îÛ□éí†Û □‰b□în□a□µg□óÈ□□m□ ï è Ï□éÓ† • □åß□áËŠÛbi□b□□éjy□œ Ï‰□óÜÇ□ôŠ□þa□ ï ç□ñ□ □ □Éî İ n□□c□ü□†Ó□ë c□Bòí‹a ì u□Ûa□bèßýy c□æë†□¯□áç†y ë□áç□Lbèn Ôj□□åß□áç□åß □ÝÈÐí□æc□Éîİn□í□''bèjÜx''□ ï Øí…□æc□ì Û□a□r×□áÜ¤□ o ãc□LòíŠ¡□Ù Èß□áÜØmc□æc□óny □Lòy ì à□□LòîÛbÈnß□Lbènôj□□òäîç‰□ ï è Ï H1 B NN†î×dm□ÝØi□Ùäç□ o îã İn□a□ o äØÛ□Ù Ürß □Ý□Óc□ì □è Ï□ □ ì □à Üß□õ ï ' □¿□ k §a□a^ç□†î□£□¿□Ý ' Ï□ð^Ûa□óÐ İ – ß□ □ØÇ□óÜÇ □ÝØ□ ' i□Lœj□Ôûa□ ï Ô Üí□æc□ k mbØÛa□Þëb° ë Bk ÜØÛa□åß□óny□òàîÔ□Ýócë□Lbèäß□bäd ' □ ´ □y□ò□îÈÓaë□Š□r×c□bÔ Ï…ë□Lâbß ÿÛ□bÈ Ï…□éníaë‰□ ï İ È î Ù□ p a^Ûbi□òÔÜ§a□ê^ç□óÜÇ□Êaë □‰bà È n□□ü a□É□ß□ò□ İ jmŠ½a□ò□í‹a ì u□Ûa□ê^□ç□ p b□×Šy□É□jnní□æc□ l Š□ó□å□Ç□Þëb□° □ □N H2 I B E‰bm

□Ñ□îÐ , nÛa□ò□Ûëb ª ë□LÁÜ□□nÛaë□…a†jn□ü a□ñ‰ì İ □□µg□éîjänÛa□ k mbØÛa□Þëb° □ò□è u□åß□É à n□aë□ò è u□åß□…ŠÐÛa□óÜÇ□òî□ÐäÛaë□òî Çb à nüa□ê‰bqeë□ém†y□åß □□î□□a ë B s □ybjÛa□bè Èjní□□Ûa□ôî vè ä½a□¿□bÏý n□a□ □ à Üä□ü□bääh İ□éîÜÇë□N ôŠ□c □âb□Ç□ÝØ□ ' i□òîÈÓa ì Ûa□óÜÇ□Œ×Ší□‡g□òîi…þa□Þb à Çþa□óÜÇ□éà Øy□õbäqc□B ŠÇþa □Ù□Û‡□ ï □Ü¯□æc□…a‰c□Ù Û^□Û□Lb□i‰ëc□¿□bç‰ë^□u□É□jníë□L l b□nØÛa□ò□ß†Ôß□¿ □æc□üg□L ï □iŠ Ì Ûa□□b□È Ûaë□Š□öaŒ¦a□¿□ò□îÈÓa ì Ûa□ Ñ□änØí□æb□×□ð^□Ûa□ □ ì □à Ì Ûa □ôŠ□□c□æë…□b□ßbØyc□Ýà□ ' m□æc□b□èäØ¹□ü□Lýßb□Øn ß□ý□×□bèÐ□ • ì i□ò□a‰†Ûa □ï□□×‰b½a□ð†□Ôäûa□ □ ì ßb□Ôûa□ò□Ì Ûë□êŠ□Ø Ïë□†□Óbäûa□êb□£aë□âõa ì □ní□bß□ k □y □ □Zbç‹Šic□ p aŒî¶□ o Ìj İ • a

□ □

□ □N□131□Z□ ~ L□é□Ða□H[1]

□ □N133□Z□ ~ □Lé□Ða□H[2]

N□ÐÛa□ k ãb ¦ a□ÞbÐËg□ë□æ ì à š ¼a□óÜÇ□Œî×□Ûa□ M1

N†□öb□Ûa□ ï □bî□Ûa□ l b i , ÜÛ□ □ bØÈäa□ò□a‰†Ûa□ M2

□É□ß□òÜ□ – Ðäß□ë†□jmë□ p bçb£üa□ k □y□òî…þa□Þbà Çþa□ Ñ îä – m□µg□Ýî½a□ M3

Nò Ü□a†nß□bèäc

□ò□íúŠÛa□B□b□èäßë□òôj□□½a□âbØyþaë□òîäîÔîÛbi□ ï y ì í□ p bz Ü i – ½a□Þbà È n□a□ M4

B□aNNNòîÈuŠÛa□Lòîß†ÔnÛa□LôîÔj i Ûa□Lð‰ì rÛa□ ï Çì Ûa□Lòîà ÜÈÛa

Ná îà È nÛa□¿□Á Ô□í□éäþ□òÓ†Ûa□µg□ŠÔnÐí□bß□bjÛbË□ Ñ îä – nÛ□a M5

□Ném b Çþäó□ Ñ Ûb±□åß□óÜÇ□bî□bó□bà Øy□†óbäÛa□ð†jǐ□ M6

□ l b□ i ¨a□ÚŠ□m□ô†□ß□ðc□µg□‰ì×^□½a□ l b□nØÛa□bä□™ŠÇ□Þý□□åß□å‡jní□□

□□ò□í†Ôä Ûa□ p üëb□a□bèäßë□òîi…þa□ò×Š§a□óÜÇ□émbà – i□ ï u ì Û ì í†í/aO ï □bî□Ûa

□□□□□□□□□□Š□èÄm□æc□µg□LÝ□îÜÔi□bç†□Èi□b□ßë□ ï □™b½a□æŠ□ÔÛa□å□ß□ p bîäîÈj□□Ûa□ñ□□ï□¿

□å ß□ñ…bÐn□ý Û□ ï È□Ûaë□ñŠ • bÈ½a□òí†Ôä Ûa□ □ ‰a†½bi□Úb Øn yüa□‰...a ì i□MbÔyü□–

□ □Nòîì ì Üÿaë□òíŠØÐÛa□bè maŒväß

أثر القراءة في تعليم العربية

د . بلحيارة خضرة
جامعة سعيدة

تعتبر القراءة استيعابًا لكل ما يكتب و تراه عين الإنسان و هي المعرفة المفهومة ، تبدأ من العملية البسيطة الشكلية التي تتعلق بالتعرف على الحروف والكلمات أو النطق بهذه الحروف والكلمات، و تعني أيضا مراجعة ما يكتب عن طريق الإسماع فتتم بالصوت أو متابعة الرسم الخطي بالفهم .

وفي عمليتها المعقدة ، تبدأ بالإدراك والتذكر ، والاستنتاج والربط والتحليل والمناقشة، وفيها يشارك القارئ في مضمون القراءة .، وتختلف أنواعها باختلاف الغرض منها ، وحسب احتياجات الأشخاص .

1 القراءة / تعلم اللغة عند الطفل :

يتعلم الطفل اللغة بطرق مختلفة فهو يستوعب ويمتص كل كلمة يتم إدراجها في أي برنامج تعليمي ، وقراءة القصص من بين الوسائل الناجعة التي تؤثر في كيفية متابعته لها وفهمه لأحداثها و استيعابها. ، وقد تعلق بذهن الطفل بعض الجمل أو الحوارات التي أثرت في عاطفته و نفسيته " واللغة عبارة عن قائمة من الكلمات أو الانتاجات الصوتية (أو الخطية) كل كلمة فيها تطابق شيئا ما، ولهذا يرى مارتيني أن اللغة " ليست نسخة من الحقيقة " [1]

[1] اندريه مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة ، سعيدي الزبير ، دار الأفاق ، الجزائر 1999 ، ص16

فهي مواضعات على المسميات قد تختلف من لغة إلى أخرى وان تشابهت في الحروف .

2 الوسيلة اللغوية :

وهي اللغة [1] في هذا الموضع ، حيث يرى علماء النفس بأنها : "الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها ، والتي يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا بواسطة تأليف كلمات و وضعها في ترتيب خاص [2].

وهذه الوسيلة يجب أن تكون واضحة ودقيقة حتى يتمكن المعلم من التأثير في المتعلم و دفعه إلى الاستجابة لتلبية الأثر الذي يتركه في نفسه وإدماجه في العملية التعليمية .

إن المرحلة الابتدائية تمنح للمتعلم تربية قاعدية فهي توفر له تعلم اللغة العربية ، بحيث يتحكم في القدرة على القراءة الميسرة والتعبير والتواصل مع غيره ، مشافهة و تحريرًا بما يناسب الوضع والمستوى ، وتمكنه كلغة التعلم من تلقي المعارف والاستيعاب ، والتجاوب مع المحيط .

وقد يلجا المعلم إلى وسيلة القراءة لتعليم العربية في نطقها الصحيح عن طريق السماع كوسيلة فنية لتسهيل الحفظ والنطق و تصحيح الخطأ عن

---

[1] يرى علي احمد مذكور أن للغة اربعة فنون هي : الاستماع – القراءة – الكلام أو التحدث – الكتابة . ، انظر تدريس فنون اللغة العربية علي احمد مذكور، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1988، ص46

[2] عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية (أصولها النفسية وطرق تدريسها) ، ج1 ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة دت ص 15

طريق القراءة الجهورية، فتتسع مدارك المتعلم بحسن نطقه للغة المسموعة أو المقروءة ، وذلك بحسب مستوى التلميذ في طوره الابتدائي.

أما ما يخص المستويات الأكثر استيعابا ، والتي نقصد بها المستوى الاكمالي والثانوي فيسهل على المعلم في طرائق تعليمه العربية سواء من الناحية القواعدية أم التعبيرية أم غيرها أن يكلف المتعلم بحفظ الشواهد اللغوية ويقوم المعلم بشرحها و توضيحها. وقد يكون التكليف يخص النصوص التراثية الشعرية أو النثرية (مقاطع نصية) ،والتي تولد الملكة اللغوية للمتعلم .

فقراءة النصوص الجيدة و تحليلها ، والتي لم تشبها ألفاظ معربة أو خضعت للتهجين اللغوي ، كالألفاظ المعصرنة ، تصنع اللغة الفصيحة السليمة للملتقى تماما كما عمل اللغويون القدماء جاهدين إلى تدوين العربية من الأصول لا من الفروع ،من اجل تحصين اللغة من التلف أو الدخيل .

وما نرومه في هذا أن تكون البداية صحيحة ، فالطرائق تختلف حسب ما تمليه البرامج التعليمية

و حسب ما يراه المعلم مناسبا للمادة و لمستوى استيعاب التلميذ و فهمه للمعلومة .

إن القراءة كشكل تعليمي تكمن في تشغيل كافة قدرات المتعلم و قيمه الوجدانية والسلوكية بإدماجه في عملية النص التعليمية فيشارك في إنتاج المعنى بالصوت ، والتفاعل والمشاركة ، فيصبح المتعلم وسيلة لمعرفة اللغة .، فاللغة العربية قدرة ذهنية تتكون لدى الفرد من مجموعة المعارف اللغوية وهي المعاني والمفردات والأصوات والتراكيب والصيغ و يصبح النص المقروء أداة للتواصل اللغوي تمكن من الأنماط والأساليب الأدبية ،"بل أن

الغاية المنشودة ، هي أن يبلغ المتعلم درجة عليا في مجال استيعاب المعرفة و فهمها و استعمالها "[1] .

إن القراءة مهارة تفسيرية ، ويعتمد استيعاب المقروء على كم المعلومات التي يتمكن القارئ من استخلاصها من النص و الاستنتاجات وعلاقات النص بنصوص أخرى ، و إرشادات الكفاءة للقراءة لمفهوم القارئ للنص المكتوب ترتكز على وصف المهام التي يقوم بها القارئ في تفسير النص ، وإدراك المعلومة فيصف ما يستطيع فهمه مما يقرا

القراءة / تحصيل العربية :

لقد تحدث ابن خلدون عن تحصيل العربية عن طريق قراءة النصوص الجيدة، قراءة النصوص الأدبية القديمة مما نسج على نمطها في العصور المختلفة ، مع حفظ الكثير منها سواء كان من الشعر أم النثر

وعلى قائمة جميع هذه النصوص طبعا القران الكريم ، يقول بن خلدون في مقدمته : "ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم ، الجاري على أساليبهم من القران والحديث ، وكلام السلف و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و إشعارهم ، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم و المنثور ، منزلة من عاش بينهم ولقن العبارة منهم "[2].

---

[1] مناهج السنة الثانية من التعليم الابتدائية (مناهج اللغة العربية) ، وزارة التربية الوطنية ، ديسمبر 2003 ، ص10

[2] عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت لبنان ، ط5 ، 1984 ص487

وفي هذا النص يشير العلامة انه لا شيء أجدى وانفع لمن يريد تعلم لغة ما من الاستماع إليها و قراءة تراثها و حفظ جيد نصوصها ،وإذا كان التحصيل اللغوي لا يتأتى بالسماع بشكل جيد في حياتنا المعاصرة فجل ما نسمعه عامي أو فصيح ملحون أو مليء بالخطأ أو ضعيف المضمون ،فلا تزال وسيلة القراءة الخطية والسمعية أو المقروءة من أنجع الوسائل للمتعلمين لنطقها بالشكل الصحيح ، فتتكون الحافظة اللغوية عن طريق الاستذكار و الاستنتاج أو الحفظ الخطي للكلمات (ونقصد به النص)، فيصلح نطق العربية في هذا المقام ، وتأتي دروس القواعد فتنظم هذا الكيان اللغوي .

4 القراءة / الكتابة:

و مما يدعو إلى التفكير أن تكون الكلمة العظيمة التي بدا بها الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم هي : "اقرأ" حين كان العرب لا يعرفون القراءة و لا الكتابة ، ويقصد هنا (القراءة المسموعة) التي ترسخ في الذهن فيتلقاها و تتطور لتصبح قراءة خطية فيما بعد بالممارسة و التعلم .

يقول تعالى في سورة العلق : "إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [1] وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وان من كرمه تعالى إن علم الإنسان ما لم يعلم ، فشرفه و كرمه بالعلم وهو العلم الذي امتاز به أبو البرية ادم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الأذهان ، وتارة يكون في

[1] الآيات: 1 – 2 – 3 – 4 – 5 – من سورة العلق

اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي و رسمي ،والرسمي يستلزمهما من غير عكس ،وفي الأثر : قيدوا العلم بالكتابة [1] .

فمخاطبة الوحي للنبي (ص) بكلمة " اقرأ " ،و ما هو بقارئ أمر رباني يجعل من القراءة منهج حياة امة الإسلام ، وهي وسيلة التعلم كما ذكرنا أنفا .،أما ما يخص الآية 31 من سورة البقرة " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" ، فالتعليم هنا للمسميات كلها ، قال بن عباس : علمه ، اسم كل شيء ثم عرضهم على الملائكة أي عرض المسميات على الملائكة ، بالسؤال عنها لتعجيزهم والحاصل إن الله تعالى اظهر فضل ادم عليه السلام للملائكة بتعليمه ما لم تعلمه الملائكة، و خصه بالمعرفة التامة دونهم من معرفة الأسماء و الأشياء و الأجناس و اللغات ، ولهذا اعترفوا بالعجز و القصور ، قالوا : **" سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "** [2] ، وفي هذا المقام شرف ادم على الملائكة ليكون خليفة في الأرض ، فاخبرهم الله تعالى عن ذلك عن طريق العرض [3] .

لا يمكن إنكار فضل الاستماع بعده المدخل الطبيعي لتعلم اللغة و الطريق الصحيح لاكتساب اللغة فهما و إنتاجا ،كذلك لا يمكن إنكار فضل الكتابة التي فتحت لمجال القراءة بوابة لتعلم اللغة و معرفة أسرارها و مداركها، فالصورة الخطية للكلمات تذهلنا كغرض مستمر ثابت لكونها أكثر قدرة من الصوت على تشكيل وحدة اللغة عبر الزمن كما يوضح دوسوسير ، فيتسم

---

[1] انظر أبو الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القريشي ، تفسير القران العظيم ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، لبروت ط1 ، 1419 ه ص 597

[2] سورة البقرة ، الآية 32

[3] انظر تفسير الآيات ، عن ابن عباس وعن مجاهد ، وعن بن جرير ، انظر تفسير ابن كثير

التواصل التوارثي بالانطباعات السمعية ،" ولكن الانطباعات البصرية أكثر ديمومة ، ودقة من الأولى ، الأمر الذي يجعل الصورة الخطية تفضي إلى أن تفرض نفسها على حساب الصوت "[1].

وحين نزل القران الكريم ، "كان يكتبه كتبة الوحي على مواد مختلفة كالقحاف وسعف النخل و غيرها ، كما كان يحفظه الصحابة في صدورهم حتى إذا انتشرت الدولة الإسلامية و شملت أقطارًا غير عربية ،اسلم أهلها بعد الفتح و تعلموا العربية "[2] ،وبدا اللحن يفشو على ألسنتهم فدعا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكتب القران الكريم في كتاب واحد ، وجمع المصحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كما هو معروف.

وبعد انتشار الكتابة في الأمصار الإسلامية ، انتشرت القراءة ابتداء من قراءة سورة القران الكريم و نصوص الحديث الشريف إلى قراءة العلوم الشرعية ،ثم قراءة مجال التخصص الدنيوي للارتقاء بقدرات الإنسان و إمكاناته . فالقراءة لها أهميتها في حياة المسلمين من اجل الحفاظ على لغة الضاد وتعليمها للأجيال القادمة .

[1] انظر . ا . د ، عبد الجليل مرتاض ، مفاهيم لسانية دي سوسيريه ج . تلمسان . دار الغرب للنشر والتوزيع ، 2005 . ص11

[2] د . حاتم صالح الضامن ، فقه اللغة ، دار الأفاق العربية ، ط1 ، القاهرة ، 2007 ص22

مصادر و مراجع الورقة :

- القران الكريم
- ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، الطبعة 1 بيروت ، 1419ه
- ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 5 ، 1984
- اندريه مارتيني ، مبادئ في اللسانيات العامة ، تر سعيدي الزبير ، الأفاق ، الجزائر 1999
- حاتم صالح الضامن ، فقه اللغة ، دار الأفاق العربية ، ط1 ، القاهرة ، 2007
- عبد العزيز عبد المجيد ، اللغة العربية (أصولها النفسية وطرق تدريسها) ، ج1 ، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة ، دت
- عبد الجليل مرتاض ، مفاهيم اللسانية دي سوسيرية ، ج تلمسان ، دار الغرب للنشر والتوزيع ،2005
- مناهج السنة الثانية من التعليم الابتدائية (مناهج اللغة العربية) ، وزارة التربية الوطنية ، ديسمبر2003

مقترحات للنهوض باللغة العربية داخل الجزائر وعدم التفريط في اللغة الأمازيغية

طالب دكتوراه عوينان محمد

جامعة الدكتور مولاي الطاهر

سعيدة الجزائر.

ملخص البحث:

اللغة هي عنوان أي أمّة،واللسان النّاطق بهويتها،والمعبّر عن خصوصياتها الفكرية والمعرفية،واللغة العربية في الجزائر تشكل مع الأمازيغية الهوية الجزائرية العربية الأمازيغية الإسلامية،وإنّ التفريط في إحدى اللغتين هو تفريط في أحد أهم مقومات الأمّة،ثمّ إنّ ازدهار اللغة ازدهار للحياة العقلية،وتقدّم في مضمار العلوم والفنون والآداب،وإنّ قوة اللغة قوة للأمة الناطقة بها.غير أنّ المتأمل لواقع اللغة العربية وسط الجزائريين عموما والمتعلمين خصوصا في مراحل التعليم المختلفة يلاحظ تراجعا وفتورا واضحا،ممّا يستدعي دراسة جادّة للأسباب التي تقف وراء هذا التراجع والفتور،واقتراح الحلول النّاجعة من أجل الارتقاء باللغة العربية وخاصة في الوسط التعليمي،لذلك جاء هذا البحث كمحاولة لتحسين مستوى تعليم اللغة العربية في الجزائر وذلك من خلال مقترحات ثلاثة:

المقترح الأول:ويتمثل في المقاربة النصية ،وهي مقاربة بيداغوجية تجاوزت مستوى الجملة لتهتم بالنّص وكيفية تشكّله وبنائه،فهي تنظر إلى مستويات اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) نظرة شاملة بعيدا عن النظرة التجزيئية التي قامت عليها المقاربات السابقة،والمتأمّل لنقاط الضعف لدى

طلاب العربية وخاصة في الجزائر يلاحظ ذلك الضعف والقدرة المحدودة في إنتاج النّصوص الشفهية والكتابية،ولعلّ الحل الأنجح يكمن في اعتماد المقاربة النصية في تعليم اللغة العربية،حتى تساعد المتعلّم على فهم النّصوص وإدراك كيفية بنائها وتشكّلها من ثمّ إنتاجها شفهيا وكتابيا.

المقترح الثاني: المقاربة أو النظرية الخليلية الحديثة،والتي أرسى دعائمها اللساني الجزائري الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح،حاول من خلالها أن يعيد قراءة النحو العربي القديم بمعطيات وإجراءات لسانية معاصرة بغية صياغة نظرية لغوية معاصرة نابعة من خصائص اللغة العربية الأصيلة، ومطعمة بمفاهيم لغوية حديثة،ممّا يجعلها النظرية الأنسب للاستثمار في المجال التعليمي للغة العربية من أجل النهوض بها،وجعلها مواكبة لتغيرات العصر قريبة من انشغالات المتعلّمين واهتماماتهم اليومية.

والمقترح الثالث :هو دور وسائل الإعلام في النهوض باللغة العربية في الجزائر فوسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة يمكن أن تقوم بدور كبير في الارتقاء باللغة العربية والنهوض بها عبر برامج علمية تعليمية هادفة تتماشى مع روح العصر،ويتفاعل معها المتعلّم تفاعلا إيجابيا مثمرا.

كما أنّ اللغة الأمازيغية هي الأخرى ينبغي أن تحظى بالعناية والرعاية، لذلك سنقف في هذا البحث على مدى اهتمام الدولة الجزائرية بها،ثمّ أهم المقترحات من أجل إزالة العقبات التي تواجه تعليمها وتعلّمها في المدرسة الجزائرية.

مقدمة

إنّ الحالة التي وصل إليها التعليم في أغلب دول الوطن العربي-ومن ضمنها الجزائر- من حيث الضعف وقلة الجودة ومحدودية الأثر،تنعكس سلبا على حالة اللغتين العربية والأمازيغية اليوم،وعلى موقف المجتمع الجزائري إزاءهما.فهناك تلازم مطرد بين الحالتين الإثنتين،حالة التعليم العام في جميع مراحله ومستوياته وحالة اللغة في شتّى المواقع،وهو تلازم ينسحب على المجتمع االذي يتأثر سلبا بالحالتين كلتيهما.

وليس في الإمكان تقوية اللغة والنهوض بها وتطويرها على المستويين النحوي والوظيفي ما لم تتضافر الجهود لتطوير المنظومة التعليمية وفق نسق متكامل للارتقاء بالتعليم من جهة،ولتعزيز الانتماء اللغوي لدى الأجيال الناشئة من جهة ثانية،وفي كلتا الحالتين يحتاج الأمر إلى إرادة قوية وعزم شديد وحبّ للغة الضاد واللغة الأمازيغية،واستعداد للرفع من مكانتهما،وإنزالهما المنزلة التي تستحقانها.

لذلك استقرّ اختياري على موضوع " اقتراحات للنهوض باللغة العربية داخل الجزائر وعدم التفريط في اللغة الأمازيغية" إيمانا منّي بأنّ اللغتين العربية والأمازيغية مكونان أساسيان من مكونات الشخصية الوطنية ينبغي الحفاظ عليهما والعمل على النهوض والارتقاء بهما.

وعليه فقد قدمت في هذا المقال مقترحات عسى أن تساهم في سدّ بعض الثغرات والهنات التي يعاني منها تعليم اللغة العربية واللغة الأمازيغية في الجزائر،ففيما يتعلق باللغة العربية قدمت ثلاث مقترحات: أولها المقاربة النّصية،ثانيا المقاربة الخليلية،وثالثها دور وسائل الإعلام في النهوض باللغة العربية في الجزائر.أمّا الأمازيغية فقدمت مقترحا ناقشت فيه دور الدولة

الجزائرية في المحافظة على الأمازيغية وكذا بعض المقترحات التي قدمها بعض الباحثين واللسانين من أجل الارتقاء بتعليمها في المدرسة الجزائرية والمحافظة عليها وتطويرها.

وقد اعتمدت في ذلك على منهج وصفي تحليلي اقتضته طبيعة الموضوع الذي تطلّب توصيفا لواقع اللغتين العربية والأمازيغية في الجزائر وتحليلا لوضعهما التعليمي في المدارس الجزائرية.

المقاربة النصية:

المقاربة النصية تعد من منظور بيداغوجي مقاربة تعنى بدراسة بنية النص ونظامه،حيث يتوجه الاهتمام في هذه المقاربة إلى النّص بدل الجملة،وذلك بعد ملاحظة نقائص وعيوب على المستويين الشفهي والكتابي للمتعلم في إطار التعامل التقليدي مع النص،أين كان الاهتمام منصبا على الجملة،وكان البعد النّصي مهملا،وقد نتج عن ذلك أنّ المتعلم صار بإمكانه تكوين جمل سليمة،غير أنّه في المقابل لا يستطيع إنتاج نصّ طويل – نسبيا- منسجم سواء على المستوى الشفهي أم الكتابي.

ومصطلح المقاربة في اللغة "يعني الدّنو والاقتراب مع السّداد وملامسة الحقّ،فيقال قارب فلان فلانا إذا دناه،كما يقال:قارب الشّيء إذا صدق وترك الغلوّ..."[1]

[1] المنجد في اللغة والأعلام،ط 42،لبنان.بيروت،دار المشرق،2007،مادة قرب ص:617.

والمقاربة في الاصطلاح البيداغوجي "هي مجموع التصورات والمبادئ والاستراتيجيات التي يتم من خلالها تصور منهاج دراسي وتخطيطه وتقييمه."[1]

أمّا النّص "فهو عبارة عن بنية دلالية ينتهجها فرد واحد أو جماعة ضمن بنية لغوية مترابطة منسجمة،تؤلف نسيجا من الكلمات والتراكيب والعناصر المكونة لنظام اللغة.وهو معرفة تمّ إنجازها ضمن ثقافة ما،ذلك أنّ المعرفة تتلخّص في النّص، وكل معرفة لها نصوصها."[2] والنص بهذا المفهوم يعتبر موضوع علم اللغة النّصي.

أمّا من المنظور البيداغوجي فالنّص"وحدة تعليمية تمثّل محورا تلتقي فيه المعارف اللغوية المتعلّقة بالنحو والصرف والعروض والبلاغة،وعلوم أخرى كعلم النّفس وعلم الاجتماع والتاريخ،بالأضافة إلى المعطيات المعرفية المتميزة التي صارت تقدّمها علو م اللسان في دراسة النّصوص وما في ذلك من فائدة جليّة تعود بالنّفع على العملية التعليمية" [3]

وبما أنّ النّص نمط لفعل تواصلي يعتمد على اللغة، وأهم ما تعنى به الدراسة وفق منظور اللسانيات النّصية هو التّكفّل بالسياق وتفاعل عناصر النّص،بناء على أنّ الصّفة التي يتجلّى بها النّص هي التّرابط والتّماسك،وإذا كان الانسجام شرطا أساسيا في النّص فهذا يعني أنّ العناصر اللسانية تكوّن

[1] اللجنة الوطنية للمناهج،الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثانية من التعليم المتوسط،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية،الجزائر:2003،ص:10

[2] بشير إبرير،تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق،ط1،عالم الكتب الحديث،الأردن.عمان:2009،ص:19

[3] المرجع نفسه:ص:129.

مركباتــه،لأنّ الانســجام ينشــأ داخــل الــنّص فيكــون انســجاما دلاليــا وتركيبيا،وخارجه فيكون انسجاما تداوليا.[1]

والمقاربة النّصية في تعليم اللغة تعني "مجموع طرائق التّعامل مع النّص وتحليله بيداغوجيا لأجل أغراض تعليمية"[2]

فالمقاربة النّصية في تعليمية اللغات تنطلق من النّص باعتباره محورا لجميع التعلّمات والنشاطات من نحو وصرف وبلاغة...إلخ

واعتُمدت المقاربة النصية في تعليميـة اللغـات ضـمن مـا اصـطلح عليـه بالتّدريس بالكفاءات،فالتعليم بواسطة النّص هو مـن ضـمن البيـداغوجيات المعتمدة في تحقيق الكفـاءة،وتتلخّص هـذه البيـداغوجيا في كـون الـنّص هـو المنطلق لإنجاز جميع الأنشطة المقرّرة والإطار العام لإكساب المتعلّمين مختلـف المهارات اللغوية،ويتمّ ذلـك بـالنّظر إلى الـنّص علـى أنّـه مسـتويات مختلفـة لا تتجـزّأ تمكّـن المـتعلّم مـن إنتـاج اللغـة حسـب المواقـف والأنشـطة التّعليمية...وينبغي أن تكون هذه الأنشـطة لخدمـة نشـاط عـام هـو النّشـاط اللغوي،ولا يكون تعلّمها غاية في حدّ ذاتها."[3]

---

[1] ينظر:رشيدة آيت عبد السلام، تعليمية البلاغة العربية على ضوء علوم اللسان الحديثة،رسالة دكتوراه جامعة الجزائر:2008،ص: 340

[2] عبد الكريم غريب،المنهل التربوي – معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية- ط1،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاؤ:2006،ص:92.

[3] أ.ليلى شريفي،المقاربة النصية في كتاب اللغة العربية للسنة الثالثة من التعليم المتوسط، جامعة مولود معمري.تيزي وزو،ص:44.

فالمقاربة النّصية تنظر إلى النّص باعتباره البنية الكبرى التي تظهر فيها بوضوح كل المستويات اللغوية (صوتية،صرفية،نحوية،دلالية،أسلوبية)،كما تنعكس فيه مختلف المؤثرات السياقية (المقامية،الثقافية،الاجتماعية)،وبهذا يصبح النّص بؤرة العملية التعلّمية بكل أبعادها.

وعليه فهذه المقاربة تهتم بدراسة تتجاوز مستوى الجملة إلى مستوى بنية النّص ونظامه ومن ثمّ الاهتمام بظاهرتي الاتساق والانسجام ودورهما في إنشاء نصّ أو خطاب محكم متوافق المعنى والمبنى.

وبالتّالي فهي مقاربة كفيلة بأن تنهض بمستوى اللغة العربية في الجزائر شريطة أن يرافقها تكوين بيداغوجي ومعرفي لمعلمي اللغة العربية فيما يتعلّق بمفاهيم هذه المقاربة،وكذا كيفية تجسيدها وتطبيقها في واقع العملية التعليمية التّعلمية وهذا حتّى لا تبقى رهينة التنظير.

المقاربة الخليلية:

سميتها المقاربة الخليلية نسبة إلى النظرية الخليلية الحديثة لعبد الرحمن الحاج صالح،والذي عمل فيها على ترسيخ النحو الأصيل من خلال قراءة التراث النحوي العربي والتّعمق فيه،مستنيرا في ذلك بما توصّل إليه البحث اللساني الحديث،ومن هنا فإنّ النّظرية الخليلية الحديثة هي نظرية لسانية معاصرة تدعو إلى ضرورة الرّجوع إلى التّراث العلمي اللغوي الأصيل،والنّظر فيما تركه العلماء الأوائل المبدعون،وتفهّم ما قالوه من الحقائق العلمية لفهم أسرا ر فقه اللغة العربية،وإجراء مقاربة نزيهة بين نظرية النّحاة العرب الأولين والنّظريات اللسانية الحديثة التي ظهرت في الغرب(بدءا من بنوية سوسير إلى النظرية

التوليدية التحويلية لتشومسكي)،مع تحيين الوقائع النّحوية وفق التّطورات الجبّارة التي تعرفها التّقنيات المعاصرة."[1]

والنظرية الخليلية الحديثة بجمعها بين عنصري الأصالة والمعاصرة يمكن أن تسهم إلى حدّ كبير في ترقية تعليم اللغة العربية في العالم العربي عموما والجزائر خصوصا،وذلك عبر مراحل التعليم المختلفة وهذا باستعمالها وتوسيع مساحة انتشارها وجعلها لغة التّواصل الفعلي.

ففي سياق بحث أتباع هذه النّظرية عن أنجع الحلول لتدريس اللغة العربية على أسس علمية قام بتشخيص أهم المشكلات التي تواجه تعليم العربية رغبة في إيجاد الحلول المناسبة لها،ومن أهم هذه المشكلات:

1- وجود مستوى واحد من التعبير لكل الفئات:

إنّ أسلوب التّعبير الذي يعلّم للأطفال في المدارس لا يخرج عمّا يطلق عليه التّعبير التّرتيلي أو الإجلالي،وهو واحد من مستويي التّعبير الموجود في كلّ اللغات[2]،فالمستوى الأول هو مستوى الاسترسال والعفوية في التعبير،ويحصل هذا في مواضع الأنس والاسترخاء،وهي مواضع لا يستخدم فيها النّاطق بالعربية إلّا العامية،ولا يُعتنى بهذا المستوى في تعليم العربية بمدارسنا رغم أهميته التّواصلية في المجتمع،أمّا الثّاني فهو مستوى التّعبير التّرتيلي الذي يستعمل في حالات خاصّة،ومناسبات معيّنة،فحرمة المقام تقتضي من المتكلّم العناية الشّديدة بما يتلفّظه من كلمات وما يصوغه من عبارات،وهو المستوى الذي تغيب فيه عن المتكلّم عفوية التّحدث

[1] صالح بلعيد،اللغة العربية العلمية،دط،دار هومه،بوزريعة.الجزائر:2003،ص:106.

[2] ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح،اللغة العربية بين المشافهة والتحرير،منشورات المجمع الجزائري للغة العربية،الجزائر:2007،ص:70.

والاسترسال فيه،وهي حال يطلق عليه انقباض المتكلم[1]،والملاحظ حقيقة أنّ هذا المستوى هو المهيمن في مدارسنا،ومن هنا فإنّ هيمنة أحادية التّعبير في أطوار التعليم المختلفة هو ما جعل الفصحى تركن إلى زاوية الأدب والكتابة وابتعادها عن الميادين النّابضة بالحياة ألا وهي التّخاطب اليومي.[2] وبعد الفصحى عن التّخاطب اليومي تسبّب في إحلال العاميات مكانها ممّا أدّى إلى تعطّل الطّاقات التّعبيرية للعربية،فلم تعد الأداة الفاعلة في التّعبير عن الكثير من المفاهيم الحديثة وحاجات التّواصل اليومي[3] فأضحت الفصحى مهمّشة بعد أن احتلّت اللغات الأجنبية واللهجات العامّية مكانها.

ونظرا للدور الكبير والحيّز الواسع الذي تحتلّه العامّيات العربية في التّواصل اليومي فقد بدا في النظرية الخليلية الحديثة ضرورة مراعاة هذا الدّور عند وضع البرامج وصياغة الأهداف التّعليمية، والتّركيز عل العلاقة بين العامّيات والفصحى،إذ على واضعي البرامج ألّا ينظروا إل العاميات نظرة سلبية فيعاملوها معاملة عدائية ويحاربونها بالإقصاء والمنع لكي يحتفظوا بما هو إيجابي فيها،وهي تلك المفردات والتراكيب والصيغ والدّلالات ذات الاستعمال المشترك ،وأن يطّلعوا إل ما تحدثه العاميات من تراكيب خاطئة عل ألسنة التلاميذ وكتاباتهم،وما تشكّله من صعوبات في التّعبير بالفصحى

[1] المرجع نفسه،ص:70.

[2] ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح،الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية،منشور في كتابه:بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1،منشورات المجمع الجزائري للغة العربية،الجزائر:2007،ص:161.

[3] أ.د.الشريف بوشحدان،النظرية الخليلية الحديثة وسبل ترقة تعليم اللغة العربيةفيما قبل الجامعة،مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب،عدد31،سبتمبر:2012،جامعة باجي مختار.عنابة،ص:108.

فيضعوا خطّة تعالج هـذه المشـكلة معالجـة احتواء.وهنـا ينبغـي أن يسـتعين واضعو المناهج بآراء علماء اللسان الذين برهنوا على أنّ الكثير من الألفـاظ والأساليب المستعملة في التّخاطب اليومي عربية فصيحة في الأصل.[1]

2- غزارة في المادّة الإفرادية مقابل خصاصة في مفرداتها:

ترى النّظرية الخليلية" أنّ المادّة اللغوية المقدّمة للطفل لا تستجيب لحاجاتـه التّبليغية،خصوصا إذا تعلّق الأمر بالتعبير عن الكثير من المفاهيم المسـتخدمة كأسماء الملابس وأجزائهـا والمرافـق وغيرهـا "[2]،فهـي مـدلولات غريبـة عـن الطّفل،ويشير د.عبد الرحمن الحاج صالح إلى هذه الحقيقة بقولـه:"إنّ اطّلاعنـا على الحصيلة من المفردات التي تقدم للطفل في المدارس الابتدائية أظهر لنا – معشر اللسانين في المغرب العربي– عيوبا ونقائص في هذه الحصـيلة لا يكـاد يتصورها المربّي،فمن حيث الكمّ يُقدّم للطفـل غالبـا كمّيـة كـبيرة جـدّا مـن العناصـر اللغويـة الـتي لا يـتمكن بحـال مـن الأحـوال أن يـأتي عليهـا جميعا.ولذلك تصيبه ما نسـمّيه بالتّخمـة اللغوية،وقـد يكـون ذلـك سـببا في توقف آليات الاستيعاب الذّهني الأمتثالي،وهذا ما نلا حظه في تنوع المفردات في النّص الواحد مع وجود صعوبات أخرى تخصّ غرابة التّركيب..."[3]

وترى معادلة الغزارة والخصاصة أنّ نسبة كبيرة من المتعلّمين في مراحـل التّعليم المختلفة قد أصيبوا بما اصطلح عليه بمرض اللفظية حيث تجدهم على

---

[1] ينظر: أ.د.الشريف بوشحدان،المرجع السابق،ص:108

[2] ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح ،أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية،مجلة اللسانيات،العدد:04،الجزائر،ص:46.

[3] المرجع نفسه: ص:46

العمـــوم "يـــردّدون ألفاظـــا يجهلـــون معانيهـــا أو لا يعرفونهـــا بمـــدلولاتها المحدّدة بدقّة"[1]

لذلك بات لزاما على القائمين على الشؤون المعجمية واللسانية في العالم العربي اختيار الألفاظ المواكبة للتّغيرات الاجتماعية والاقتصادية للأفراد والمجتمـــعات حتّى يفيد منها المتعلّمون في الفهم والتّواصل العلمي.

3ـ عدم الإحاطة بكيفيات تأدية اللغة العربية:

قد يكون المتعلم عارفا بالقواعد النّحوية وله دراية واسعة بالألفاظ غير أنّه لا يستطيع أن يحوّل ذلك إلى أقـوال تتّسـم بالعفويـة في التّعـبير وخفّـة علـى السّامع مع الحفاظ على قيمتها الدّلالية.والحقيقة أنّ إكساب اللغة العربيـة في مدارسنا لا يتعدّى هذا النّوع من التّلقين الذي يقتضي التّركيز على المعارف النّظرية والسّلامة اللغوية مع جمال التّعبير.ويرى أتباع النّظرية الخليلية الحديثة أنّ الاقتصار على تحقيق هذه العناصر يخلّ بحقيقـة الاسـتعمال الفعلـي للغـة العربية بكل ما يتطلّبه التّعبير العفوي من خفّة واقتصاد في الجهد والوقت[2]

وعليه فإنّ تغيير الوضع التّعليمي متوقّـف علـى تغـيير النّظـرة إلى طبيعـة اللغةالعربيـة ذاتهـا،ومن ثـمّ إلى وظيفتهـا في التّواصـل بـاختلاف أغـراض المتكلّمين وتنوّع أساليبهم في التّعبير.والمعلّمون بالدّرجة الأولى هـم المعنيـون بتغيير النّظرة إلى اللغة ومن ثمّ إلى الوضع التّعليمي،ويكون ذلك بـالعودة إلى مفهوم التّخاطب اليومي وتصحيح نظرتهم إلى اللغة في ضوء حقيقتـه حيـث تتصف اللغة بالخفّة والاقتصاد الواسع في التّعبير،ذلك أنّ تدريسـهم للعربيـة

[1] د.أحمـد معتوق،ظـاهرة اللفظيـة أسبابها،نتائجها،وسـائل علاجها،مجلـة الملـك سـعود المجلـد الخامس،الرياض:1993،ص:504.

[2] ينظر: دبد الرحمن الحاج صالح:اللغة العربية بين المشافهة والتحرير،المرجع السابق،ص:68.

في غياب هذه الحقيقة يجعلهم يحكمون على الكثير من هذه المفردات والتّراكيب الفصيحة التي يختفي فيها الإعراب والحركات غير الموقوف عليها،واختزال الحروف بفعل المشاكلة والتّقريب بالخطأ[1]،رغم أنّ الأداء القرآني في ذاته قائم على الخفّة .وعليه فإنّ مسألة تجاوز التّعقيد والتّخفيف بحسب النظرية الخليلية يقتضي إعادة النّظر في المادّة اللغوية التي تلقن في المدارس للمتعلّمين والبحث عن الطرق النّاجعة في اكتساب اللغة العربية وإكسابها وكذا كيفية امتلاك متعلمي اللغة لملكة لغوية تواصلية.

ويمكن أن نقول في الأخير إنّ النظرية الخليلية الحديثة بمنهجها المقترح هي الأنسب للدراسة العلمية للغة العربية مقارنة بالمناهج الغربية التي قامت على خصائص صوتية وصرفية وتركيبية خاصة باللغات الأوربية.

دور وسائل الإعلام في النهوض باللغة العربية:

لا يستطيع أحد أن ينكر الأثر البالغ لوسائل الإعلام على الفرد والمجتمع "ففي وسع وسائل الإعلام أن تنهض بالشّعوب في مجال التّعليم من أدنى الدّرجات إلى أرفعها،وأنّها بمداخلتها للحياة في كلّ بيت وفي كل ساعة قادرةعلى أن تحقّق أبعاد مجالات التّقدّم والتّنامي"[2]،ولا يمكن فهم دور البيئة التعليمية في دعم تعليم اللغة العربية إلاّ إذا فهمنا التّحولات الجذرية في الوضع الإعلامي،واستخدامات الوسائل الإعلامية لدى الجيل الجديد،فقد" أشارت الدراسات الميدانية التي أشرفت عليها لجنة تحديث اللغة

[1] عبد الرحمن الحاج صالح،علم تدريس اللغات والبحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي،بحث منشور في كتابه:بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج1

[2] د.جابر قميحة،أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية،رقم الكتاب:105،دار الكتب، alkotob.com.www

العربية(بالإمارات العربية المتحدة) إلى أنّ الشبكات الاجتماعية غدت أكثر الأنشطة اليومية التي يستخدمها الطّلاب للأطلالة على العالم الخارجي"[1]،ولنا أن نتساءل ما العطاء الجديد الذي قدّمته وسائل الإعلام للغة العربية وما قيمة هذا العطاء ومردوداته ونتائجه؟

لقد قدمت وسائل الإعلام(التلفزيون،الإذاعة،المجلات والصحف) لغة جديدة "وقد اصطلح الإعلاميون والباحثون على تسميتها باللغة الإعلامية،وهي اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام،وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثّقافة والصناعة والتّجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والإنسانية ،والفنون والآداب"[2]،وذلك لأن محتوى المادة الإعلامية في توصيفها لقضايا المجتمع تستقي عناصرها من شتّى العلوم والفنون.

ولا شكّ أن النفوذ الهائل لوسائل الإعلام ساهم بشكل كبير في إزالة كثير من الفوارق العاتية بين اللهجات المحلّية،وخلق لغة مشتركة بين أصحابها وهذا على مستوى الجزائر والدول العربية عموما،ويمكن أن نوجز أبعاد هذه اللغة الإعلامية في الصّفات والخصائص التاليتة:

_ المباشرية
_ السهولة والوضوح
_ التّخفف من الأثقال اللغوية والخيالية.[3]

---

[1] دورالإعلام في دعم تعليم اللغة العربية وتعلمها،العربية لغة حياة،تقرير لجنة تحديث اللغة العربية،الموقع الألكتروني:العربية لغة حياة- الإمارات arabicforlife.ae

[2] أثر وسائل الإعلام القروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية ،ص:86

[3] المرجع نفسه،ص:86.

غير أنّه للصحافة ووسائل الإعلام دور كبير كذلك في تردّي وتراجع اللغة العربية في الجزائر والعالم العربي عموما، وذلك بانحرافها عن الأصول والقواعد وخاصّة في لغة القنوات الفضائية التي تبث من الدول العربية (بخلاف القنوات الفضائية التي تبث باللغة العربية من عواصم غربية)والمحطات التلفزيونية الأرضية،والإذاعات،وتأتي الجرائد والمجلات والمنشورات المختلفة من كتب وغيرها في آخر القائمة لسبب يعود إلى عزوف العرب -عموما- عن القراءة قياسا على ما هو الوضع في مناطق أخرى من العالم...فإنّ جل البرامج والمواد الإعلامية التي تُبث من الفضائيات العربية لا يلتزم فيها باللغة العربية وتأتي البرامج الحوارية التي تغطّي مساحة واسعة من ساعات البث في مقدمة الأسباب التي تفسد اللغة العربية وتسيء أليها إساءة بالغة،فتحرم الأجيال الناشئة من تلقي لغة عربية سليمة من أفواه المتحدّثين في هذه البرامج الحوارية التي تشكّل في مجملها أزمة في الإعلام المرئي،كما تقوم المسلسلات الدرامية بدور في تمييع اللغة العربية والإساءة إليها[1]، لاسيما في السنوات الأخيرة أين استشرت ظاهرة دبلجة الأعمال الدرامية والمسلسلات وحتى الأفلام الكارتونية بلهجات عربية متنوعة(مغاربية ومصرية ولبنانية وخليجية...) على خلاف ما كان عليه الأمر من قبل حينما كانت تترجم تلك الأعمال باللغة العربية الفصحى.

ويستغرب الباحث عبد العزيز بن عثمان التويجري من أنّ الفضائيات الأجنبية التي تُبث من عواصم غربية وتُوجه للعالم العربي تحترم اللغة العربية بشكل واضح،سواء في نشرات الأخبار،أم في البرامج السياسية الحوارية

[1] ينظر:عبد العزيز بن عثمان التويجري،حاضر اللغة العربية،مطبعة الإيسيسكو،الرباط المملكة المغربية،ص:16

أم في المواد الثقافية والبرامج الوثائقية والتاريخية،ويورد الباحث من جملة هذه الفضائيات الغربية التي تخاطب المشاهد العربي قنوات(الي بي سي العربية)،(فرنس 24 العربية)،والقناة التركية العربية،وقناة الحرّة الأمريكية،والقناة الروسية العربية،فهذه القنوات الفضائية -حسب الباحث- يحرص القائمون عليها أشدّ الحرص على سلامة اللغة العربية لدى المذيعين والمذيعات على نحو يكاد أن ينعدم لدى الفضائيات والقنوات الأرضية العربية إلّا فيما ندر.[1]

ويمكن حصر أهم هذه التّأثيرات السلبية على اللغة العربية وخاصة من لغة الإعلانات فيما يلي:

_ التّرويج للعاميات باتّخاذها أسلوبا أمثل للأداء الإعلاني.

_ التّرويج للغات الأجنبية عندما تكون الإعلانات بلغات أجنبية،أولغة عربية مطعمة بكلمات أجنبية، وكل ذلك يكون-طبعا- على حساب اللغة العربية.

_ التّرويج للأخطاء اللغوية التي تجري على ألسنة شخصيات الإعلان،إذاما اعتمد الإعلان على التّمثيل والحوار.

_ الترويج لعادات نطقية سيّئة،كترقيق ما حقه التّفخيم أو العكس،ونطق الدّال زايا والصاد والثاء سينا،والغين قافا،والقاف ألفا....إلخ

_ إفساد الذّوق الأدبي واللغوي،وذلك بتعمّد استعمال قوالب غالطة أو غريبة في الإعلان[2]

[1] المرجع نفسه:ص:17.

[2] أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية،ص:99

وتظهر الدراسات أنّ الجيل الجديد في أغلبه لم تعد تستهويه فكرة الجلوس أمام التّلفاز لساعات من أجل مشاهدة فيلم أو مسلسل أو حتى الأخبار،ممّا يعني أنّ على مؤسسات البثّ التلفزيوني أن تعيد النّظر فيما تنتجه للأجيال الجديدة لاستقطابهم من خلال تقديم محتوى شائق وذي معنى لهم يتماشى مع عالمهم المعاصر.وعلى صانعي السياسات والقادة التربويين والمعلّمين أن يفهموا هذه البيئة الجديدة،ويستثمروا وسائلها وأدواتها في تعليم اللغة العربية باستغلال شبكات التواصل الاجتماعي،وضرورة "تدريب معلمي اللغة العربية وتمكينهم من الوصول إلى فهم المشهد الإعلامي الجديد والتّمكن من استخدامه...ولعلّ الخطر الحقيقي يكمن في تباين معرفة التلاميذ بالإعلام الجديد والتقنيات الحديثة مقارنة بمعلميهم ممّا يوجد فجوة بين الطرفين.وهذا التّدريب يجب أن يتجاوز مجرّد التّعرف إلى طرائق استخدام الأجهزة إلى تدريبهم على تصميم أنشطة ومصادر تعلّم جديدة تدعم صفّ اللغة العربية،كإنشاء شرائط بصرية من خلال موقع اليوتويوب أو أية منابر أخرى مثل مواقع التواصل الاجتماعي خصوصا الفيسبوك،حيث تشير الأرقام حاليا إلى أنّ أكثر من ثلث الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سن الثامنة والثانية عشرة لديهم عضوية الفيسبوك،ويستخدمونه لساعات في التحدث مع زملائهم،أو تصفح صفحات الآخرين بما فيها من صور وتعليقات وألعاب،وتبادل الرّسائل النّصية القصيرة مع الآخرين عبره.[1]

وعليه فقد أصبح من الضروري أن نجعل من المنابر الإعلامية المتنوعة،ووسائل التواصل الحديثة من فيسبوك وتويتر وغيرها من شبكات التواصل الاجتماعي وسيلة يصل من خلالها المعلّم إلى طلّابه ليشكّل معهم

[1] دور الإعلام في تعليم اللغة العربية وتعلمها،ص:86.

مجتمعا تعلّميا يعملون من خلاله على تبادل الآراء وحلّ المشكلات التعلمية عامة واللغوية خاصة واقتراح المصادر التعلمية، وكل ما من شأنه أن يرتقي بمستوى اللغة العربية وينهض بها في الجزائر وغيرها من الأقطار العربية.

المحافظة على اللغة الأمازيغية وتطويرها:

يوجد في الجزائر شبه إجماع على ضرورة المحافظة على اللغة الأمازيغية "باعتبارها لغة كل الجزائريين،ولا يحق لأحد الاستحواذ على التراث المشترك،فاللغة المازيغية تراثنا المشترك"[127]،ونظرا لكون الأمازيغية جزءا مهمّا من هويتنا الوطنية فقد "حرصت الحكومة الجزائرية ممثلة في وزارة التربية والتعليم على تعميم اللغة الأمازيغية،وأصدر قرار بشأن ذلك سنة(2003) يقضي بتعليمها تعليما يمكن من خلاله أن يرتبط الفرد الجزائري بلغته وتاريخه وعقيدته،وقد انطلق المشرّع الجزائري في ذلك من غايات التعليم التي أفرزتها فلسفتا التربية والتعليم،والمتمثلة في الأهداف العامة المرجوة من تعليم اللغة الأمازيغية،ويمكن أن نوجزها في النقاط الآتية:

ـ ترسيخ العقيدة الإسلامية،وتعزيز القيم الإنسانية من خلال محتوى النّصوص الأدبية والمعلوماتية.

ـ الاعتزاز باللغة العربية والمازيغية والإيمان بتميزهما،وبخصائصهما التي تكفل لهما الاستقرار والقدرة على استيعاب المستجدات ومواجهة التّحديات

[1] أ.د.صالح بلعيد،المازيغية في خطر،منشورات مخبر الممارسات اللغويةفي الجزائر،جامعة مولود معمري ،تيزي وزو كلية الآداب واللغات:2011،ص:27

_ تعزيز الإيمان بالتراث العظيم الـذي اسـتوعبته اللغـة المازيغيـة، وبيـان الصلة العميقة التي لا تنفصم بين الإسلام وبين العربية والمازيغية.

_ تعزيز الرّوابط بين أبناء الوطن،وتمتين هـذه الـروابط بيـنهم وإخـوانهم في الدين واللغة الجامعة والثقافة داخل الوطن وخارجه.

_ التّفاعل الصادق الواعي مع قضايا الأمّة ومشكلاتها من خلال وسـائل اللغة العربية أو المازيغية في التّعبير والتواصل.

استيعاب المعارف اللغوية والأدبية، وإبراز ما وصلت إليـه هـذه المعـارف من تنظيم ودقة وعمق على أيدي اللغويين والأدباء والمفكرين بحـق في اللغـة المازيغية.[1]

واجبنا نحو تعليم الأمازيغية:

ينبغي أن نشير في البداية أنه لا يُعدّ تعليم المازيغية تعليما يرجى منه مجاراة العالم المتقدم تكنولوجيا بقدر ما هو ضرورة المسـاعدة علـى إعـداد الإنسـان وتهذيبه، وما من نظام اجتماعي أو سياسي إلاّ وهـو حـريص علـى تـدعيم قواعده بجعل النّـاس يتمسّـكون قلبـا وقالبـا بمبادئه،وأفكاره،وآمالـه وآلامـه المشتركة،ويؤمنون بالمعتقدات المقدسة التي تربط أبناء الأمة جمعاء. [2]

غير أنّ هناك إشكالا يواجه تعلـيم الأمازيغيـة في الجزائـر ألا وهـو تعـدّد لهجاتهـا،فهي تتشـكل مـن خمـس لهجـات محليـة هـي: الشـاوية والقبائليـة والشلحية والمزابية والتارقية،وبالتالي ما هي اللهجة التي سيتم تعليمها؟

---

[1] ينظر: أ.حسينة وهلة،المازيغية في الجزائر بين الفعل التربوي والبعـث السياسـي،أعمال الملتقـى الوطني حول التخطيط اللغوي،ديسمبر2012،ج2،ص:312.

[2] المازيغية في خطر،ص:185.

يرى الدكتور عثمان سعدي أنّه ينبغي أن يراعى كلّ هذا التّعـدّد اللـهجي في تدريس الأمازيغية،يقول:"من هنا أرى في البداية أنّ كلّ مازيغية تـدرّس في مناطقها الجغرافية،وسوف يلعـب التّعلـيم والاسـتعمال والإعـلام أدوارا في تحقيق اللغـة المتداولـة في كـل المنـاطق،ودون توجيـه وتحريـف وتلـيين. أمّـا التّوحيد اللغوي فلن يأتي أبدا،ولا يأتي لأنّه ليس مـن السّـهولة أن تتنـازل لهجة عن فنونها لصالح لهجةأخرى من فصيلتها،وليس سهلا تنميط لهجة مـا على حساب أخرى،ومن هذه الزاوية رفضت بعض المناطق المازيغية تدريس المازيغية بأنها تـدريس لمازيغيـة معينـة.ولحل هـذه المعضـلة نـترك للتـدريس والاستعمال وللإعلام فرض اللغة النّمطية التي قد تكون ذات يوم ."[1]

وللدّولة الجزائرية جهود واضحة في سبيل إيجاد نوع من التّوافق بين تلك اللهجات حيث"بذلت جهدا جهيدا في التّوفيق بين اللهجات المازيغية على مستوى الصحافة المسموعة،أمسى العربي يشاهد ويسمع نشرة الأخبار القبائلية والشاوية والميزابية..."[2]

ودائما في إطار البحث عن التوافق بين اللهجات الأمازيغية فإنّ المحافظة السامية للأمازيغية- التي تعد حاليا أعلى هيئة تختص بتنمية "تمازيغت" في شمال إفريقيا- شرعت حسب الدكتور أزيري بوجمعة في جمع مادّة إعداد قاموس الجامع أو الموحد،وأفاد بشأن منهجية إنجاز القاموس بأنّه "سيكون على شاكلة لسان العرب أو لاروس للغتين العربية والفرنسية" وأضاف بأنه

[1] المرجع نفسه،ص:61.

[2] المازيغية في الجزائر بين الفعل التربوي والبعث السياسي،ص:314.

ستوضع فيه كل الكلمات مهما كان مصدرها،ليصبح بمثابة خزينة للغة الأمازيغية،وأكّد أزيري أنّ القاموس لن يعرف اختراع كلمات جديدة بل سيشجع المفردات الموجودة،ويعرضها بالشرح والتعريف،موضّحا في ذات الوقت أنّه سيستخدم كنواة تستخرج منها قواميس التدريس وغيرها من مجالات استخدام اللغة الأمازيغية. [1]

كما أنّ هناك مشكلة أخرى تواجه تعليم الأمازيغية في الجزائر وتطورها ألا وهي مشكلة الخط الذي تكتب به،حيث تتأرجح كتابتها بين خط "التيفيناغ" والحرف العربي والحرف اللاتيني.

ومن الباحثين الذين كان لهم موقف بارز من هذه الإشكالية الباحث الدكتور صالح بلعيد،فبخصوص الحروف التي ينبغي أن تكتب بها اللغة المازيغية يرى أنّ الاحتكام إلى الحق التاريخي يستدعي موضوعيا أن تكتب اللغة البربرية بحروف"التيفيناغ" الأصلية،وإذا تعذّر ذلك جرّاء أسباب علمية توجد خارج نطاق القدرة البشرية فإنّ الاحتكام إلى الحقّ الحضاري يستدعي موضوعيا -أيضا- كتابة الأمازيغية بالحروف العربية أسوة بالمعمول به في كازخستان قبل العهد السوفييتي، وفي باكستان وإيران وأفغانستان،لأنّ صوتيات اللغة العربية توفّر عاملين مهمّين أولهما الكفاءة الصوتية التي

[1] موقع:هافينغتون بوست عربي،وائل حمزة،الجزائر،2016 04 02

بموجبها يتحقق حفظ وتطوير الأمازيغية والحيلولة دون موتها،وثانيها يسقط الحاجز النفسي عند بعض المعربين المتطرفين.[1]

كما يؤكد المؤرّخ والباحث زهير إحدادن بأنّ الأنسب للغة الأمازيغية هو أن تكتب بالحرف العربي لعدّة أسباب قال بأنّها موضوعية،تأتي الاعتبارات التاريخية في مقدمتها،وهي التي توضح بأنّ الأمازيغية كتبت بالخط العربي، حيث يمكن حسبه التّأسيس على هذه التجربة والاستفادة منها.

وعلى العموم فإنّ جل الأكاديميين والمختصين في اللسانيات ومن أبرزهم الدكتور عثمان سدي والدكتور صالح بلعيد والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وغيرهم يجمعون على أنّ الأنسب لكتابة الأمازيغية بعد خطها الأصلي "التيفيناغ" هو الخط العربي،لأنه هو الأقدر على استيعابها والمحافظة عليها ودفعها نحو التطور والارتقاء.

[1] أزراج عمر،مقال: اللغة الامازيغية أمنا التاريخية والعربية أمنا الحضارية،صحيفة العرب، العدد:6729،2013، ص:14

خاتمة:

ونخلص في نهاية هذا المقال إلى أنّ اللغة العربية في الجزائر تعاني تردّيا وتراجعا ملحوظا،ممّا يستدعي إيجاد الحلول النّاجعة، والتي من شأنها أن تنهض بمستوى هذه اللغة خاصة في المدارس،ومن هذه الحلول والمقترحات:

_ المقاربة النّصية التي تعنى بنظام النّص وكيفية بنائه وتشكله،وهو ما يفتقر إليه -حقيقة- الكثير من المتعلمين اليوم على المستويين الشفهي والكتابي،وهي مقاربة بإمكانها أن ترتقي بلغة المتعلّمين إذاما أُحسن استثمارها في العملية الديداكتيكية.

_ إضافة إلى المقاربة الخليلية أو النظرية الخليلية التي عكفت على قراءة التراث النحوي الأصيل ،وتطعيمه بإجراءات وآراء لسانية معاصرة من أجل صياغة نظرية لسانية معاصرة يمكن استثمارها في تجويد وتحسين تعليم اللغة العربية وتقريبها من النّاشئة.

_ كما أنّ وسائل الإعلام بأنواعها،وشبكات التواصل الاجتماعي بأشكالها يمكن أن تساهم بشكل كبير في الارتقاء باللغة العربية في الجزائر إن أحسن استعمالها في تقديم مشاريع علمية تعليمية جادّة،وعرض لغة عربية صرفة خالصة من شوائب اللهجات العامّية واللغات الأجنبية.

_ أمّا اللغة الأمازيغية فهي مكون أساسي من مكونات الهوية الوطنية الجزائرية،تعكف الدولة الجزائرية على الارتقاء بها،ولكنها مازالت في حاجة جهود الباحثين واللسانيين المخلصين من أجل تطويرها تصنيفا وكتابة وتعليما بعيدا عن أي اعتبارات سياسية أو عرقية.

الاستعمالات اللّغوية في الوسط السوسيولساني الجزائري
أسئلة و ملاحظات

د. بنيني عبد الكريم
قسم اللّغة العربية/ كلّية الآداب و اللّغات
جامعة الدكتور الطاهر مولاي- سعيدة/ الجزائر

تمهيد

إنّ إشكالية الاستعمالات اللّغوية في الجزائر مسألة بسيطة في عمقها معقّدة في ظاهرها نظرا لأنّها عولجت، في كثير من الأحيان من قبل غير العارفين بالبعد العلمي للمسألة. و نظرا لهذا، باتت إشكالية معقّدة تقام لها الندوات و تنظّم لمعالجتها الملتقيات.

و ترتبط هذه المسألة، في كثير من أبعادها، بالتراكمات الّتي خلّفها الاحتلال الفرنسي، فبعد الاستقلال مباشرة واجهت الجزائر مشاكل عديدة ومنظومة تعليمية أجنبية بعيدة كل البعد عن واقعها من حيث الغايات و المبادئ و المضامين .وهكذا نصبت أوّل لجنة وطنية لإصلاح التعليم في 15- 09 - 1962 ونشر تقريرها في نهاية سنة 1964 . وكان من أهم التوصيات الّتي وردت في وثائق هذه اللجنة ما يلي :

- مضاعفة الساعات المخصصة للّغة العربية في كل المراحل التعليمية وذلك بإعادة النظر في لغة التدريس

– بناء المدارس في كل ربوع الجزائر تعميما للتعليم وديمقراطيته ومن هنا برزت الأهداف الأساسية الثلاثة: التعريب – ديمقراطية التعليم – الاختيار العلمي والفني.

وتمثّل الهدف في :

-استعادة الأصالة والمحافظة على الشخصية الإسلامية العربية؛

-نشر التعليم على نطاق واسع بين كل الجزائريين؛

-الالتحاق بركب الدول المتقدمة في ميدان التكنولوجيا خاصة.

وتمتاز هذه المرحلة أيضا بتنصيب اللجنة العليا لإصلاح التعليم سنة:1963/ 1964 والّتي أعادت النظر في مناهج التدريس الموروثة واستبدالها بأخرى وعلى إثر ذلك أنشئ المعهد التربوي الوطني لتأليف الكتب في التعليم الابتدائي :فتح المدارس لكل طفل بلغ سن التمدرس مما كرس ديمقراطية التعليم ومجانيته ، ومدته ست سنوات كاملة. [1]

و لم يبدأ تعريب التعليم إلّا سنة 1967 بعد صراع كبير بين دعاة التعريب والمتمسكين باللّغة الفرنسية كلغة استعمال أولى في الإدارة ومختلف مصالح الدولة ، لذلك استغلّت أوساط سياسية معارضة الظرف لشنّ حملات التشكيك في قدرة اللغة العربية على استيعاب مفردات العلوم الحديثة وبرزت بشكل جـلي بعض المظاهر الاجتماعية الساخرة من الدارسين باللغة العربية وبدا أن المجتمع الجزائري قد انقسم فعلا في أحد أهم مقومات

[1] ينظـر الموقـع الآتـي: : http://www.ejtemay.com/showthread.php?t=18434 24/03/2011

شخصيته، وهي اللّغة. و صار من الضروري أن تؤسّس المدرسة الجزائرية لمشروع يستجيب للاحتياجات الفعلية لأجيال ما بعد الاحتلال و كان من المعلوم أنّ اللّغة العربية هي المفتاح الأوّل الّذي يجب أن يملكه التلميذ لدخول مختلف مجالات التعلّم .فهي مادّة تعليم وإيصال التعلّمات .و ينبغي على التلميذ عند خروجه من المدرسة القاعدية الأساسية أن يكون قادرا على التعبير بها. و تضطلع المرحلة الابتدائية بمنح تربية قاعدية لجميع المتعلمين بأن توّفر لهم:

-تعّلم اللّغة العربية، بحيث يتحكّمون في القدرة على القراءة الميسرة والتعبير والتواصل مع غيرهم مشافهة وتحريرا، بما يناسب الوضع والمستوى، لغرض إشباع حاجاتهم الفردية المدرسية منها والمجتمعية، وبحيث تكون عاملا من عوامل شخصيتهم الوطنية ؛ فتزودهم بأداة للعمل والتبادل، وتمكنهم، كلغة للتعّلم، من تلّقي المعارف واستيعاب مختلف المواد وتتيح لهم التكيف والتجاوب مع محيطهم[1].

وندرك ذلك جيدا في الكلمة التي قالها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (رئيس المجمع الجزائري للغة العربية السابق، المتوفّى في مارس 2017):"تحمل اللغة أفكارا ونظرات إلى هذا العالم تخص من ينطق بها، ومجموعها يكوّن هويتهم ... إلا أن الهوية بدون تميّز في الإبداع قد يجعلها تنغلق على نفسها وتتقوقع ..."[2]

[1] ينظر: منهاج السنة الثانية من التعليم الابتدائي جوان 2011 ص ص1-7

3-ينظر الموقع الآتي:

http://www5.mediu.edu.my/postgraduate/magazine/ar/2011-06-15-10-16-11/2011-06-1510-19-50/62-2011-06-16-01-35-06

ثنائية اللغة و الهويّة

يبدو، من خلال الكثير من الكتابات، أنّ فكرة وحدة الأمّة العربية حاضرة في أذهان و أقلام عدد كبير من الباحثين و المؤلّفين. و يظهر، أيضا، أنّ فكرة ارتباط وحدة هذه الأمّة بوحدة اللّغة راسخة بقوّة في عقول هؤلاء. و نحن نتساءل، من موقع الباحث و المحلّل، عن قيمة الفكرتين المطروحتين أعلاه، بالنظر إلى تاريخ اللّغة العربية، حاضرها و مستقبلها: هل وحدة الأمّة العربية مطلب مشروع؟ و ما طبيعة هذا المطلب؟ هل هو مطلب سياسي أم مشروع ديني أم مجرّد فكرة تراود أحلام العرب في مراحل هزائمهم؟

و ما معنى المطالبة بوحدة اللّغة بالنسبة للعرب؟ هل وحدة اللّغة مظهر صحّي أم دليل على وجود سلطة قهرية تفرض النموذج الواحد؟ و هل القاعدة، عبر التاريخ، وحدة اللّغة أم تعدّد اللّغات؟ ثم، هل كانت العربية نفسها عند المجتمعات العربية، عبر التاريخ؟ كيف السبيل إلى تحقيق هذه الوحدة في وضع يتّسم بعدم التجانس فكريا و سياسيا؟

يصف عبدالقادر الفاسي الفهري[1] دعاة استعمال العامّية(من أمثال فرانك سلامة في لبنان و من قبله أستاذه سلامة موسى في مصر) بأتباع الفكر الاستعماري، و هو الوصف الّذي نقرأه في الكثير من الكتابات الدّاعية إلى إحياء استعمال العربية الفصحى و إقصاء استعمال العامّيات. و نحن نتساءل، في هذا السياق، عن الدوافع الحقيقية الّتي جعلت بعض الباحثين يقفون موقفا مؤيّدا لاستعمال العامّيات، و هم، في نظرنا، صنفان: صنف

[1] ينظر : السياسة اللّغوية العربية و البيئة و البقاء، إعداد: د. محمد مرزوق؛ د. نادية العمري؛ د. عبد الجواد السقاط، ص. 24، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع، 2016

يؤسّس نظريته انطلاقا من رؤى إيديولوجية و صنف آخر ينطلق من فرضيات بحثية يسعى للتحقّق منها، انطلاقًا من المساءلة عبر البحث و التحرّي.

و يبدو، لنا، أنّ الباحث الأكاديمي عبدالقادر الفاسي الفهري استطاع أن يتملّص من الوقوف في جبهة واحدة في مواجهة جبهة أخرى، إذ إنّه ينتصر للعربية الفصحى و يدعو لإحياء استعمالها و يعاتب، في نفس الوقت، من سمّاهم بالتقليدانيين الّذين يسيئون إلى العربية و هم واهمون أنّهم يحسنون صنعا، " فإصلاح نظام اللّغة العربية و أساليب تعلّمها، و معجمها و نحوها، و ضرورة تلقيحها بالعامّيات، و نقلها إلى لغة تواصل طيّعة جذّابة، إلخ، كلّها أمور مطروحة بإلحاح على أيّ مخطط للنهوض باللّغة العربية، و إشاعتها، و لن ينفعها في هذا التقليدانيون المتحجّرون، الّذين يمضون وقتهم في تصحيح أخطاء المتكلّمين الإعرابية، في حين أنّ الإعراب يمكن الاستغناء عنه."[1]

موقع العربية الفصحى في الأوساط السوسيولسانية العربية

يشير الدكتور عبدالإله سليم، في قراءته لكتاب"السياسة اللغوية في البلاد العربية" للدكتور عبدالقادر الفاسي الفهري، إلى فكرة تبني تصوّر تماسكي للثقافة يقوم على " المرونة و التلاقح و القبول" وهي مقولة تعزّز فكرة التعايش السلمي بين اللّغات، لاسيما في البلدان الّتي اعتبرت ملتقى للثقافات و الحضارات شأن بلدان المغرب العربي.

[1] ينظر : المرجع نفسه، ص. 26

و يتناول الدكتور فكرة الديمقراطية اللغوية مشيرا إلى إجماع جماهيري حول تعميم استعمال العربية الفصحى. فهل أنجزت بحوث تحقّقت من صحّة هذه المقولة؟ و لنفرض أنّ بحوثا في هذا الموضوع قد أنجزت و توصّل أصحابها إلى نتائج تشير إلى ذلك الإجماع، فهل ينبغي لنا، نحن الباحثين، أن نعتمد هذه النتائج كمقولات علمية ننطلق منها لفحص الفرضيات؟ أم ينبغي أن تحلّل لفحص قيمتها العلمية؟ ثمّ، ألا ينبغي أن ننظر في مستوى الوعي المعرفي بمسألة السياسة اللغوية و التخطيط اللغوي عند جمهور النّاس؟[1]

و في هذا السياق، يقول ابن حزم في مسألة دينامية اللّغة:" يسقط أكثرها و يبطل بسقوط أهلها، و دخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم و اختلاطهم بغيرهم، فإنّما يقيّد لغة الأمّة و علومها و أخبارها قوّة دولتها و نشاط أهلها. و أمّا من تفلت دولتهم و غلب عليهم عدوّهم و اشتغلوا بالخوف و الحاجة و الذلّ و خدمة أعدائهم فمضمون منهم موت الخواطر، و ربّما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم و نسيان أنسابهم و أخبارهم. و هذا موجود بالمشاهد و معلوم بالعقل ضرورة"[2]

إنّ افتراض صحّة هذا الطرح يجعلنا نذهب إلى استنتاج مهمّ يحيل إلى أنّ لغة القرآن ليست لغة عربية واحدة، بل هي تمازج من اللغات العربية مع الحضور الغالب لعربية قريش. إضافة إلى هذا، فإنّ العربية لم تكن نموذجا واحدا موحّدا، بل إنّ لغة قريش، الّتي يعتبرها الباحثون اللّغة الّتي نزل بها القرآن الكريم، كانت تأخذ من لغات القبائل الأخرى:" كانت قريش مع

[1] ينظر : المرجع نفسه، ص. 38

[2] ابن حزم. د ت. الإحكام في أصول الأحكام، ط1. القاهرة: د ت، ج1، ص 31

فصاحتها و حسن لغاتها و رقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيّروا من كلامهم و أشعارهم أحسن لغاتهم و أصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيّروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم و سلائقهم الّتي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[1] و يؤكّد هذا ثعلب في قوله" كانت العرب تحضر الموسم في كلّ عام، و تحجّ البيت في الجاهلية، و قريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب"[2]

و قد نخلص، نتيجة تحليل واع للمقولات السابقة إلى فكرة تحيل إلى أنّ العربية الفصيحة تمثّل مرحلة من مراحل تطوّر العربية بما أنّ لغة قريش كانت لهجة من بين اللهجات العربية فلمّا تُخُيّرت من اللهجات الأخرى و استعملت في التبادلات التجارية و الطقوس التعبّدية صارت لغة مركزية ثمّ لغة العرب جميعا[3].

و رغم ذلك فإنّ الكثير من الكتب و المقالات الّتي تعالج مسألة توزّع اللّغات في الأوساط السوسيولسانية المتعدّدة اللّغات تذكّر بخطورة استعمال التمازج اللّغوي في الشارع و المدرسة و تنبّه إلى غياب العربية الفصحى في الاستعمالات اليومية و المؤسّساتية، و كأنّ هناك قانونا طبيعيا يفرض على المواطن العربي استعمال العربية الفصحى في كلّ تعاملاته!

---

[1] ابن فارس، أحمد. 1977. الصاحبي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها. تحقيق: أحمد الصقر. دمشق، ص. 33-34

[2] ثعلب، أبو العبّاس.1984. كتاب الفصيح. تحقيق عاطف مذكور. القاهرة: دار المعارف، ص. 278

[3] ينظر: الحمزاوي، رشاد.2004، المعجمية، تونس: مركز النشر الجامعي، ص. 232

و نتيجة لذلك، فأنا أعتقد أنّ إشكالية اللغة في الأوساط السوسيولسانية في البلدان العربية تتعلّق في الأساس بمشكلة على مستوى الذهنيات، إذ تتعالى الأصوات في المحافل الأكاديمية و الدبلوماسية مذكّرة بالخطر الّذي يتهدّد العربية الفصحى نتيجة الحضور القويّ للعامّيات المحلّية و اللغات الأجنبية. بينما تقضي طبيعة الحياة البشرية أن يتعايش الإنسان مع الاختلاف بدل الائتلاف، و لا يسع هذا الإنسان إلاّ أن يقبل وجوده في نظام شامل يرسم مسار هذه الطبيعة.

الاستعمالات اللغوية في الوسط السوسيولساني الجزائري

نظرا للوضعية المعقّدة المشار إليها أعلاه، فإنّنا نطرح التساؤلات الآتية: هل يعاني المواطن العربي فعلا من مشاكل تتعلّق بملكته اللغوية؟ أين الضرر في استعمال العامّيات في التواصل الاجتماعي إذا كانت هذه العامّيات تلبّي الاحتياجات التواصلية الفعلية للمتكلّمين بها؟ أين الضرر لو أنّ جماعة ما اختارت أن تستعين بمزيج من اللّغات في التواصل بين أفرادها؟ أين الضرر في استعمال العربية الفصحى في الأوساط التعليمية و الإدارية إذا تمكّنت هذه اللّغة من تحقيق الغايات البيداغوجية و المؤسّساتية المقصودة في إطار المخطّطات السياسية للبلاد؟ أين الضرر في الاستعانة بلغة أجنبية أو أكثر إذا كان الهدف تحقيق حاجة اقتصادية أو تربوية؟

أليس هذا الطرح هو الضامن لما يسمّى بالعدالة اللّغوية؟

و في هذا السياق، يثير الباحث عبد القادر الفاسي الفهري فكرة العدالة اللّغوية في الكثير من كتاباته مستعملا، في ذلك، مصطلح العدالة اللّسانية المقابل ل Justice linguistique باللّغة الفرنسية. غير أنّه، أثناء معالجته لهذا

المبدإ، يركّز على وجوب التعامل مع العربية الفصحى بشكل خاصّ باعتبارها لغة تتحقّق من خلالها الهويّة العربية، مؤكّدا، في نفس الوقت، أنّ الشعوب العربية تنظر إلى هذه اللّغة على أنّها لغة الوحدة و الفكر و التواصل. ثمّ، ينتقل من حين إلى آخر إلى التذكير بوجوب التعامل مع المازيغية تعاملا خاصًّا باعتبارها لغة أصيلة في مساحة كبيرة من جغرافيا الوطن العربي.

إنّ هذا الطرح يجعلنا نطرح الكثير من الملاحظات و التساؤلات:

يفترض الباحث أنّ سياسة لغوية قويّة قد تتمكّن من ضمان عدالة لغوية، غير أنّ الإجراءات التطبيقية لتحقيق هذه السياسة تبقى غير واضحة.

فهل تحقيق العدالة اللّغوية يفترض، مثلا، تقسيم البلد الواحد إلى رقع لغوية تتوزّع عبر مساحات جغرافية؟

ثمّ، هل من سبيل لتحقيق عدالة لغوية في وسط لغوي غير متجانس، شأن البلدان المغربية مثلا؟

كيف ينبغي أن نتصوّر عدالة لغوية في الجزائر، مثلا؟ هل سيتحقّق ذلك، مثلا، بتعميم استعمال المازيغية في أوساط المتكلّمين بها، و تعميم استعمال العربية الفصحى في ما سواها؟

ألن يؤدّي مثل هذا الإجراء إلى تقسيم البلاد إلى رقع لغوية متباينة قد تحوّلها إلى رقع سياسية و اجتماعية متناحرة؟

أليست فكرة العدالة اللّغوية مطلب مثالي خارج عن الإرادة البشرية؟

أين الاستعمالات اللّغوية اليومية الممثّلة بالعاميّات العربية في مشروع العدالة اللّغوية؟

ما الحاجة إلى سياسة لغوية تحدّد أشكال الاستعمالات اللغوية في قطاعات الدولة إذا علمنا بأنّ الفضاءات اللّغوية خاضعة للتطوّر و التحوّل؟ أ لا يمكن أن تهدّد السياسات اللّغوية مسار التقدّم عندما تتقيّد برؤية لغوية معيّنة؟

ماذا لو أنّنا تركنا الوضغية اللّغوية دون أن نتصرّف فيها من خلال وضع سياسة لغوية قد تعطّل خطواتنا نحو الأمام؟ ما هو السيناريو الّذي يمكن تصوّره لو أنّ الدولة لم تتدّخل في تغيير الفضاء اللّغوي بوساطة سياسة لغوية ما؟

ما هي الغايات الحقيقية المراد بلوغها بالدعوة إلى تعميم استعمال العربية الفصحى؟

هل هذا التعميم مطلب جماهيري فعلا؟

كيف ينبغي التعامل مع اللّغات الحاضرة في الاستعمالات اليومية و المؤسّساتية؟ هل ينبغي إقصاؤها كاملة أم انتقاء بعضها؟

هل الدعوة إلى تعميم استعمال العربية الفصحى نابعة عن مشروع ديني أم اجتماعي أم سياسي؟ أم هي مجرّد فكرة يتعلّق بها بعض المثقّفين و غير المثقّفين من أجل إثبات الوجود و التعلّق بالأمل الجميل؟

إنّنا نتصوّر أنّ التخطيط اللّغوي يكون فعّالا إذا تعامل صانعوه مع فكرة الوضعيات بدلا من فكرة القواعد و القوانين، فقد تتشكّل سياسة لغوية ناجحة بناء على أفكار و رؤى غير مغلقة تحتمل التغيير مع تغيّر الوضعية.

و بالتالي، فنحن نرى أنّه ينبغي أن يُنظر إلى اللّغة على أنّها وسيلة و ليست هي الغاية، و تفكير بهذا الشكل قد يؤهّلنا إلى أن ننظر إلى إشكالية الوضع اللّغوي في البلدان العربية بموضوعية و عقلانية.

ثمّ إنّ مناقشة إشكالية الاستعمالات اللغوية في البلدان العربية مسألة غارقة في الكثير من الشبهات. و مردّ ذلك، في اعتقادي، إلى رؤى تفتقد الفحص و التأمّل، قائمة على افتقاد الماضي و الحنين إليه.

لذلك، فإنّنا نرى أنّ مسالة التخطيط اللّغوي لا تمثّل حالة استعجالية، نظرا لثراء الأوساط السوسيولسانية في البلدان العربية بفعل التعايش بين مجموعة من التنوّعات و المستويات و الأرصدة اللّغوية القادرة على تحقيق الاحتياجات الفعلية للمواطن العربي في الشؤون العلمية و التربوية و الاجتماعية...إلخ

نظرا لهذا التصوّر، فإنّنا نعتقد أنّ المشروع الاستعجالي المتعلّق بشأن اللّغة العربية ينبغي أن يقام على أساس رؤية دينية قد تستجيب لرغبة المسلمين(العرب منهم و غير العرب) المتمثّلة في التمكّن من التعبّد بوساطة اللّغة العربية الفصحى. و إنّ السعي لتحقيق هذا المشروع قد يسهم، بقوّة، في إحياء استعمال العربية الفصحى و الفصيحة في أبعاد جغرافية واسعة، ما يجعلها لغة مطلوبة من قبل الأفراد و المؤسّسات. و نحن نعتقد أنّ رؤية

تعليمية مؤسّسة و موجّهة للناطقين بالعربية و لغير الناطقين بها قد تكون من السبل الكفيلة بتحقيق ذلك المشروع.

ثمّ إنّ رؤية واعية و مسؤولة لمسألة الاستعمالات اللّغوية في الأوساط المتعدّدة اللّغات قد تسهم في ضمان تحقيق الوظيفتين الأساسيتين اللتين تتحقّقان بضمان تعميم استعمال لغة الهويّة و المتعلّقتان بالمحافظة على الكرامة و في تحقيق الاستقلالية.

و تحيلنا هذه الفكرة إلى مشهد تاريخي يعتزّ به الجزائريون رغم مرور عقود من الزمن على حدوثه، و هو المشهد الّذي يصوّر اعتلاء الرّئيس الجزائري الأسبق المرحوم هواري بومدين لمنصّة مجلس الأمم المتّحدة متحدّثا بلغة عربية فصيحة و سليمة. و هو حدث يعبّر، أيضا، عن استقلالية في التعامل مع الآخر من خلال استعمال لغة الهويّة و الانتماء في موقف دبلوماسي يقضي بالتعبير عن الانتماء القومي في زمن التكتّلات القومية. و بالرّغم من ذلك، فإنّ نفس الرّئيس(أي الرّئيس هواري بومدين) لم يكن يتردّد في تنويع استعمالاته اللّغوية في مقامات أخرى، إذ إنّه كان يلقي خطاباته بالعربية الفصحى و أحيانا بالعامّية و بالفرنسية أحيانا أخرى.

خلاصة

لقد اعتُبر التعدّد اللّغوي، عند بعض الباحثين، عائقا أمام تحصيل اللّغة الأمّ كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقاً للتعليم وللتطور التربوي والاقتصادي والتماسك القومي.

و ذهب بعضهم إلى أنّ التعدّد اللّغوي قد يؤثّر سلبا في نفسية المتكلّمين فيجعلهم يعيشون في عالمين متقابلين: عالم المثال وعالم الحقيقة يمثل الأول منهما اللغة العربية الفصحى والثاني تمثله العامية. و ها هو أنيس الخوري فريحة أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت في كتابه في اللغة العربية وبعض مشكلاتها والذي صدر عام 1966يعتبر الازدواجية اللّغوية المشكلة الأولى من خمس مشكلات رئيسية تعاني منها اللغة العربية،

"فانتقال العربي من لغة سلسة مرنة غير معربة، من لغة لا تحتاج إلى عناء أو بذل جهود إلى لغة غريبة عن حياته اليومية صعبة معقدة معربة تخضع لقوالب معينة،أمر يعوق الفكر." أما آثارها في التربية فأنها تتطلب زمنا أطول للانتقال من العامية إلى الفصحى وهو انتقال من لغة إلى لغة أخرى مغايرة لها..."[1]

و مع ذلك فإنّنا ننظر إلى المسألة بشكل آخر. فالتعدّد اللّغوي ميزة و ليس نقيصة، و المتكلّم المتمكّن من فهم و نطق لغات كثيرة سيكون قادرا على أن ينظر إلى العالم من زوايا عديدة و بالتالي فسوف يكون وعيه لهذا العالم أكثر عمقا. ثمّ، إنّ للعربية خصوصية قد لا نجدها في اللّغات الأخرى، إذ إنّها حفظت في صدور أصحابها و حفظت كتابة منذ أن جُمع القرآن الكريم

[1] ينظر الموقع الآتي : ازدواجية اللغة: طبيعتها ومشكلاتها في سياق التعليم، 12/01/2017 http://www.startimes.com/?t=3644537

و كتب. فالقرآن الكريم هو الكتاب الديني الوحيد الذي احتفظ بلغته الأصلية وحفظها على قيد الحياة وسيحفظها على امتداد الأزمان.

و نظرا لهذا، أعتقد أنّه علينا، نحن الباحثين و الأكاديميين، أن نعالج مسألة الاستعمالات اللّغوية في الجزائر بمرونة و سلاسة من أجل أن لا يتعطّل مسارنا بنقاشات عقيمة تزيد في عمق الخلاف بدلا من التقدّم خطوات إلى الأمام. ومن ثمّة، فإنّنا نتصوّر الفضاء السوسيولساني في الجزائر ممثّلا بالشكل التالي:

- تعميم استعمال العربية الفصحى في التعاملات الاقتصادية و الدبلوماسية و التربوية؛

- النظر إلى الاستعمالات اللّغوية اليومية و الممثّلة بالعامّيات الجزائرية نظرة غير إقصائية، بحيث تمثّل هذه اللّغات، اللّغات الأمّ بالنسبة للجزائريين و لهذا ينبغي استثمارها في بناء العمليات التعليمية- التعلّمية، باعتبارها، أيضا، اللّغات الممثِّلة للتمثّلات الأولى الّتي تمّ، انطلاقا منها، بناء المكتسبات المعرفية و المهارية الأولى.

اللغة بين ممارسة التعلمات وتثبيت الهوية

د .بن يمينة بن يمينة
أستاذ بجامعة سعيدة

تقديم :

تهدف هذه الدراسة إلى طرح إشكالية ماهية اللغة بين ممارسة التعلمات وتثبيت الهوية في حدود اشتغالها على مستوى الممارسة التعليمية التكاملية في ضوء تصميم تكويني له معايير دقيقة وعلمية و قواعد موضوعية تراعي نظام الأدوات المنهجية المستخدمة التي تتناسب مع وضعية أو مواقف ما ، مرتبطة بمضامين مادة معينة بل تشارك في تنظيمها مواد مختلفة مثل اللغة العربية التي أصبحت تدرس بها جميع المواد التي هي تعبير عن الهوية وعن منطلق الشخصية الموجهة.

انطلاقا من ماهية مفهوم ممارسة التعلمات وتثبيت الهوية وعلاقته بالواقع والهدف و إستراتيجية عناصر الاتصال لمقومات بناء الشخصية وهو تصور شامل لمعالم بنية المنهاج بتعريفه كوحدة مستقلة و مدونة كلامية معرفية تظهر فيه ثنائية التوازن بين حقيقة اللغة و التأليف .، واللغة و التوظيف بالعقد الثالث الذي هو المتلقي أو المتعلم , فهي حلقة مثلث تجمع بين جميع الفضاءات و تشكلها , لتحقيق الأهداف التي سطرت من أجلها لتقود إلى تكوين شخصية قوية تتحلي بالصدق والأمانة والشجاعة والثقة بالنفس و متشبعة بالقيم الإنسانية مع مراعاة , ما ينطبق إلى حد بعيد مع المفاهيم الفلسفية للأمة المرتبطة بالسياقات المعرفية التالية:

-استقراء خصائص اللغة والامتثال لأحوال استعمالها قصد الاستجابة لحاجات المتعلم .

-نماذج توجيهية وتهدف إلى تحديد ما يجب من إجراءات توجيهية للتوصل إلى منتجات تعليمية محددة في ظل شروط تعليمية معينة .

- نماذج إجرائية تهدف إلى الاستجابة لقواعد ينبغي مراعاتها مع الانشغال بأبعادها الوظيفية والدلالية لبنية اللغة العربية وماهية فنونها الكتابية تراعي جميع المتغيرات

- ترسيخ الركائز الأساسية قصد تعزيز ارتباط المتعلمين بالمفاهيم السائدة في محتوى البرنامج واعتبار هذه القيم مصدرًا للنشاط التعليمي الذي يشكل جزءا من شخصيتهم انطلاقا من معايير علمية و قواعد موضوعية

-نظام الأدوات المنهجية المستخدمة والمرتبطة بمضامين مادة اللغة العربية التي تسهم في التأسيس لمنهج مستدمج لكل معايير التصميم الجيد.

معيار مصطلح التصميم اللغوي :

مصطلح التصميم هو استراتيجية عامة أو أسلوب تحليلي يؤخذ كأساس عند دراسة و تحليل الظواهر العلمية و المعرفية و الإنسانية و السياسية أو الإعلامية أو الاجتماعية، وغالبا ما يستخدم في تحديد نقاط التركيز في الدراسة و في كيفية معالجة الموضوعات أو الاقتراب منها و تحديد وحدات التحليل بشكل مباشر أو غير مباشر في اختيارنا للمفاهيم و حتى في النتائج و الاستنتاجات التي يسعى الباحثون في التوصل إليها كبناء المناهج المختلفة.وفق الأهداف .

انطلاقا من إستراتيجية عناصر الاتصال و شركائه و هو تصور شامل لمعالم بنية النص بتعريفه كوحدة مستقلة , فهو مدونة كلامية معرفية تظهر فيه ثنائية التوازن بين حقيقة اللغة و التأليف واللغة و التوظيف بالعقد الثالث الذي هو المتلقي أو المتعلم , فهي حلقة مثلث تجمع بين جميع الفضاءات و تشكلها , لتحقيق الأهداف التي سطرت من أجلها مما يؤكد لنا بأنّ اللغة هي قضية وجود, وقاعدة كيان, ودعامة لنظام تكويني ممنهج .

فالتصميم الممنهج في تعليم اللغة العربية ، هو الطريق الواضح، الّذي لا يتيه سالكُه، بل يصلُ إلى غايته من ورائه مباشرةً .

ليشمل إضافة إلى ذلك الشروط التي يجب توافرها في عملية تعلم اللغةكضرورة الوصول إلى القوانين عند ، ارتباط المنهج بنظرية ما أو فلسفة ما تختلف عن غيرها من النظريات والفلسفات فتؤدي إلى اختلاف في استخدام هذا المنهج أو ذاك ، مثل النشاط اللغوي الذي يقوم على قواعد و مبادئ محددة تساعد على جمع البيانات المطلوبة كالوحدات اللغوية ومكوناتها الأساسية وفق الأبعاد المسطرة لتثبيت الهوية .

وهي السبيل الوحيد إلى خلق التقارب والتفاهم والانسجام. وباللغة تتكون الثقافة المشتركة، فاللغة في حد ذاتها جزء أساسي من كيان كل مجتمع تلازمه وترافقه في كل طور من أطوار حياته، معبرة عن[1]حاجاته واهتماماته وتطلعاته في كل طور من تلك الأطوار"، أنها تعكس الواقع الاجتماعي الذي هو منبعها ولا لأنها نابعة من الشعور الإنساني وشخصيته فقط لأنها مظهر جلي يمكن أن نرى فيه المجتمع" . يصدر ذلك حسب ما يجري في الاتجاهات

[1] أنظر الدكتور محمود أحمد السيد، الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها، دار العوادة بيروت الطبعة الأولى 1980، ص 146.

اللغوية الكثيرة من تطورات وجوهرية و[1] من خلال خطاطة يعدها الكاتب بحيث تكزن متكاملة ويؤدي بعضها الى بعض بطريقة عكسية وليست أحادية فقط لضمان التحرك داخل نسيج النص المركب والرجوع الى نقط ومحاور خاصة لمواصلة عملية الانتقال حتى النهاية[2]. ومن التصورات التي يطرحها اللغوي في النص تمس النظام الذي يتيح للمنشئ جميع إمكاناته لاختيار منها ما يشاء على أنه اختيار واع من المؤلف بين مجموعة من البدائل والإمكانات كاختيار الغرض واختيار الموضوع واختيار الرمز واختيار الأسلوب ، وفي البناء اللغوي هي مجموعة العناصر اللغوية التي تتفاعل فيما بينها على أساس تكاملي[3]. وتنتقل عن طريقها الخبرات والمعارف والمنجزات الثقافية بمختلف صورها[4]، وهي تشكل مجموعة نوعية من المسندات ومن السمات الأخرى ، كون أفعال الحركة تسمح بتعددية من الحجج القادرة عن إنجاز الفعل وتثبيته[5]، وأغلب الباحثين يرون أن تثبيت الفعل اللغوي أو ما يسمى بعلم الدلالة المقامي تتم على خمسة أنواع من الإشاريات: إشاريات شخصية وإشاريات

[1] ينظر كلاوس برينكر التحليل اللغوي للنص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، ترجمه ومهد له وعلق عليه سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ص12.

[2] ينظرنفس المرجع , ص129

[3] ينظر محمد بوطارن الهادي وآخرون، المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية (انطلاقا من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة) دار الكتاب الحديث ن الطبعة الأولى ، 2008، ص 355.

[4] ينظر د نور الدين النيفر ، فلسفة اللغة واللسانيات ، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1993، ص 32.

[5] ينظر بول ريكور ، من النص الى الفعل أبحاث التأويل ترجمة محمد برادة – حسان بورقية الناشر عن الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية طبعة1 سنة 2001، ص147

زمنية، اشاريات مكانية، إشاريات اجتماعية، إشاريات خطابية أو نصية[1]، وهذه الإشاريات تحصل نتيجة عوامل عامة في نظرية النشاط ونتائج البحث في علم النفس الإدراكي والانتهاء، على أن المتكلم الذي ينتج نصا يبتغي بذلك قصدا، غرضا اجتماعيا ينبعث من معلومة من المحيط أو الوعي بحاجة ما ، ومن ثمة يمكن لمتكلم ما ،أن ينتج نصا ليبلغ سامعا ما معلومات معينة ، أو يحصل منه على معلومات محددة ، ليدفع السامع على فعل عملي أو يحفزه لأداء نشاط[2] ،وهي عناصر إشارية يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم أو على مكان أخر معروف للمخاطب أو السامع ، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو وجهة[3] ، وواضح أن العلاقات النحوية المستخدمة في اللغة تخضع لقواعد محددة وبالرغم من أننا تكلمنا عن هذه العلاقات وقد رأى "تشو مسكي" حقيقة أن ليس هناك ما يدعو على استخدام هذه المصطلحات ، وإنما ينبغي أن نعتمد هذه على نقل المركبات اللغوية من مكان إلى مكان أخر لغرض دلالي فقط كتحويل الجملة من المبنية للمعلوم إلى جملة مبنية للمجهول[4] ، ومن أجل هذا كله قد يواجه المتعلم أحيانا مقصد الكاتب نتيجة التركيب غير المتماسك ، فإذا لم يعرف مثلا مرجع الزمان في كتاب يقرأه ، فيضطرب في فهم المراد ، على

[1] ينظر محمود أحمد نحلة ، ص17.

[2] ينظر قولفجانج هاينه ،مان ديتر فيهقجر، مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن البحيري ، الناشر مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة 2004، ص 98.

[3] ينظر محمود أحمد نحلة أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، 2002، مرجع سابق، ص 21.

[4] ينظر صلاح الدين صالح حسنين، مرجع سابق، ص 123.

أن الإحالة إلى الزمان قد تستغرق المدة الزمنية كلها ، كأن يقال اليوم الأربعاء ، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان كأن يقال ضرب زيد عمرا يوم الخميس، فضرب زيد عمرا لا يستغرق يوم الخميس بل يقع في جزء منه[1] أي قبول الجملة أو عدم قبولها ،. فقد وصف "تشو مسكي" مثلا جملة الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام بعصبية لأنها صحيحة نحويا ، ولكنها غير صحيحة معجميا[2].

خصائص لغة االتعليم:

تعتبر اللغة أساس الثقافة البشرية، وتمثل الوسيلة الرئيسية إلى التواصل، وتنتقل عن طريقها الخبرات والمعارف والمنجزات الثقافية بمختلف صورها[3]، ولذلك عمد بعض الباحثين إلى وضع خصائص للغة الإنسانية عن غيرها:

و يظهر النشاط اللغوي في النص من خلال المحيط و وعي المؤلف و قصده واستخدامه للنسيج اللغوي الذي يرتبط بنصه , و قد يكشف ادوارد سعيد عن وجه آخر للظاهرية حين يرتبط النص بنظريته و علمياته فيرى أن المؤلفين عند إنتاجهم النصوص ذات الإدعاء بالعالمية يرفعون من

[1] ينظر محمود أحمد نحلة مرجع سابق، ص 20.

[2] صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة و النحو , مكتبة الآداب الطبعة الأولى ، ص117

[3] ينظر دـ نور الدين النيفر ، فلسفة اللغة واللسانيات ، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1993، ص 32.

قيمة الخطاب و يجعلون منه رباطا يشد النص الصامت إلى عالم الخطاب , فيتم التبادل الخطابي ظرفيا بين المتحدث والمستمع[1].

فاللغة نظام متكامل ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعة معينة و يستخدمه أفرادها في التفكير و التعبير و الاتصال في ما بينهم[2], و هذه اللغة التي هي ظاهرة إنسانية , تتميز في طبيعتها بخصائص تقوم بنقل عملية التواصل بين الأفراد لكونها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة و باستطاعة الإنسان بواسطتها أن يعمم الاسم مثلا على جميع الأشياء المتشابهة في الجوهر و المختلفة في التفاصيل , فكلمة صندوق تشمل جميع الصناديق, سواء أكانت كبيرة أم صغيرة أم مكعبة أم مخروطية[3]. فهي نظام لا غنى للبشرية عنه في التفاهم و التعبير والعمل وهي أساس كل نشاط ثقافي[4]، فالعلاقة بين اللفظ و ما يشير إليه علاقة غير ضرورية أي أنه من الممكن أن تختار جماعة لفظا آخر لنفس الشيء[5] ، فإنتاج النص مثلا هو باستمرار نشاط تفاعلي

[1] ينظر قصي حسين , السوسيولوجيا و الأدب البحوث و الباحثون و سبل الارتياب, المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع , الطبعة الأولى , 1993, بيروت لبنان, ص136.

[2] ينظر دكتور طه علي دليمي , و الدكتور سعد عبد الكريم عباس الوائلي , اللغة العربية مناهجها و طرق تدريسها , دار الشروق للنشر و الطباعة , الطبعة الأولى , 2005 , ص71.

[3] ينظر مها محمد فوزي معاذ , الأنتروبولوجيا اللغوية , دار المعرفة الجامعية , طبعة 2007 , ص26.

[4] ينظر محمد عبد عبد الله عطيوات اللغة الفصحى و العامية دار النهضة العربية بيروت لبنان الطبعة الأولى 2003 ص 07.

[5] ينظر محمد حسن عبد العزيز مدخل الى علم اللغة دار الفكر العربي القاهرة للنشر و الطباعة 1998 ص 14

مرتبط بشريك و يحدث دائما بالنسبة الى شركاء الاتصال الـذين يتصـل بهـم النشاط اللغوي لمنتج النص[1]، وهذا الإنتاج يتصل بشكل عام بخـواص اللغـة التي من خصائصها الاتصـال الوثيـق بالطبيعـة ، إن المفـردات تكونـت مـن أصول ثنائية تحاكي أصوات الطبيعة[2]، وكذلك الاتصال المحكم بالمجتمع فعاش العرب أسرًا محكمـة الأواصـر تجتمـع في أفخـاذ و بطـون وعشـائر و قبائـل تغوص عمقا في النسب الصـريح[3], و في هـذا الجانـب يوضـح دكتـور تمـام حسان أن اللغة العربية بنية جامعة مانعة شأنها شأن كل اللغات[4], ممـا يتـيح لها أن تكون أداة للتواصل بين الناس و هـذا التواصـل يتطلـب إسـتراتيجية معينـة لإنتـاج الـنص باختيـار الوسـائل المناسـبة لتحقيـق إنتـاج الـنص , و هو نشاط قصدي دائما ينجزه متكلم ما وفق الشروط التي ينتج في ضـوئها نص ما[5].

تعلم اللغة بين معيار النسق وبراغماتية التوصيل:

فالمتعلم لكلمة ما يراعي المستقبل من خـلال قنـوات التواصـل و خاصـة الأذن على رأس هذه القنوات فهي سبيل الشعور بجمال الإيقاع اللفظي و ما يؤديه من دلالة بين الطرفين ، فمثلا في اللغة العربية أن حركات الإعراب لها دور كبير في تحليل العبارات و فهم معانيها ، فالضمة المنونـة مجـال للدراسـة عند كل من عالم الأصوات و عالم النحو فالأول يدرسها مـن حيـث مادتهـا

[1] ينظر فولجقانج هاينه مان ديتر فيهقجر ترجمة د.سعيد حسن بحيري مرجع سابق ص 99

[2] ينظر محمد حسن عبد العزيز مرجع سابق ص 18

[3] ينظر الدكتور كارم السيد غنيم اللغة العربية الصحوة العلمية الحديثة مكتبة ابن سناء للنشر والطباعة 1989 ص 46

[4] ينظر نفس المرجع , ص50.

[5] ينظر قولفجانج هاينه ،مان ديتر فيهقجر، مرجع سابق، ص98.

الصوتية أو تحقيقها الصوتي عند التلفظ بها ، و تأثيرها السمعي عند الأذن أي أن التركيب لا يغرى بالاستماع و لا يدعو النفس إلى التعلق به إلا إذا جاء منساقا ينتقل فيه النطق من كلمة إلى أخرى في إيقاع تطرب له الأذن و تستوعب القصد أو الدلالة . ولا شك في أن المواضيع الألسنية تعتمد على بعضها البعض ولكن اتباعنا الطريقة التحليلية يدفعنا إلى اعتبار الأصوات كعناصر أولية تتكون منها اللغة"[1].

"فاللغة إذن منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع. وهذه المنظمة تشمل كل عدد من الأنظمة يتألّف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بازائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني"[2] التي يتأكد حضورها بالموجودات الدالة عليها .

فهذه الوحدات التنظيمية تؤثر بشكل عام على الحياة اللغوية و تطورها [3] لأن الحياة البشرية تقوم برمتها على الاتصال و هذا الاتصال و التبليغ يفرض على اللغة الانتقال من حالة إلى حالة و من طور إلى طور في مستواها الصوتي و الصرفي أحسن وأفضل على أساس أنها بهذا الانتقال ، فقابلت حاجات الإنسان المتجددة في مجال الاستعمال البراغماتي.

---

[1] ريمون طحان، "الألسنة العربية1"، سلسلة الألسنية تصدر بإشراف الدكتور أنيس فريحة والدكتور ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، بيروت –1981–، الجزء2، ص21. د. تمام حسن،"اللغة العربية معناها ومبناها"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة 1973، ص 34.

[2] ينظر حسن ظاظا ، اللسان والإنسان دار المعارف بمصر 1971م، ص17.

[3] ينظر اللسانيات مجلة في اللسان البشري تصدر عن جامعة الجزائر العدد 4 سنة 1974 م، ص13.

لكونها متصلة اتصالا وثيقا برقي الفكر[1]،كما أنها أداة المرء للسيطرة على بيئته التي يعيش فيها ، فهي ثمرة من ثمار التفكير الإنساني[2] الذي تفرضه عوامل الاتصال التي هي ظاهرة اجتماعية وطبيعية لهذا السبب لم نتمكن بعد من إيجاد تفسير وظيفي لهذه الظاهرة[3] التي تطورت في غابر الأزمان من الأسوأ إلى الأحسن[4] معناه أن التنظير الفلسفي لا دخل له في صنع اللغة .

لكون اللغة أصوات يكتسبها الإنسان وجميع لغات الأرض تشترك في هذه السمة إذ أن اللغة بدأت بأصوات مسموعة ، ثم دونت هذه الأصوات التي تعبر عن مدلولات مادية أو معنوية في صورة كتابات مختلفة، نذكر منها الكتابة التصويرية والكتابة المسمارية ، التي تطورت لتأخذ رموزا حرفية تعبر عن لغات أهل الأرض المختلفة ، وهناك العديد من الحروف الهجائية للغات السامية المتقاربة في الشكل والنطق ، وهذا يدل على تطور اللغة من حيث المدلول واللفظ[5]، فالبحث عن بينية اللغة وظواهرها يقتضي التعرف على ماهية هذه اللغة، انطلاقا من مكوناتها التي تحدد القالب الذي تأسست عليه كل لغة عبر مسالكها التطبيقية الحاصلة بين قطبي بنية اللغة وظواهرها الدلالية والوظيفية، وماهيتها تنطلق من الأصوات وطبيعتها لكون الأصوات مادة اللغة الإنسانية ، ولا مدلول لهذه الأصوات إذا لم تنظم في وحدات وكل منها تحمل معنى معيّنًا ، فمثلا حرف الراء لا يدل على

---

[1] ينظر نفس المرجع ص17.

[2] أحمد المتوكل، "اللسانيات الوظيفية"، منشورات عكاظ، الرباط 1989 م ص 56

[3] ينظر اللسانيات ، ص14

[4] ينظر زكرياء إبراهيم ، طرق تدريس اللغة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، قنال السويس بدون تاريخ ،ص23.

[5] ينظر نفس المرجع، نفس الصفحة.

شيء إذا لم يتحد مع حرف أخر أو مجموعة حروف تعارف أفراد المجتمع على تسمية هذه الوحدة ودلالتها على شيء معين مثل كلمة خروف تدل على نوع من أنواع الحيوانات المعروفة [1] فهذا بن جني يعرف ماهية اللغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2] ، فتعريف بن جني يقف على حقائق دقيقة ومميزة لطبيعة كل لغة من خلال المصطلحات التي استخدمها : الأصوات - القوم- الأغراض.

فهذه المصطلحات هي الدعامة المميزة لأي لغة ، فلكل لغة نظام نطقي تتميز به عن باقي اللغات الأخرى نتيجة قوانين وضوابط صوتية تفرضها طبيعة كل لغة، وطبيعة المجموعة البشرية المتكلمة بها ،وبذلك فهي عرضة لعجلة التطور والتغير والتحول التي تحددها علاقة الاتصال الإنسانية بين اللغة والحقائق التبليغية القائمة على سنن هذه اللغة في مستواه الصوتي خاصة ، وهذا المستوى تفرضه التحديات النطقية على اللغة نفسها ، وهي حقيقة واقعية متصلة بمجموع المتغيرات.

فلا يمكن التعرف على الدلالة وفهم الملفوظ إذا لم ترتب الألفاظ من خلال جهاز النطق، وتنتقل إلى أذن السامع حتى يتمكن من تحليلها والتعرف على المقصود منها،فلو تكلم الفرد مع نفسه دون المشاركة مع أحد، فلن يجد استجابة لحديثه ولا رد فعل لكلامه، وهذا يبين أن اللغة في مجالها النطقي تقوم على ما يسمى بالمحاذاة أو المحاكاة الصوتية، وهي نوعان: محاذاة في نطق الحركات كالضم والفتح والكسر والسكون،ومحاذاة في الأصوات في صفاتها

[1] ينظر محمد محمود غالي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1976، ص76

[2] ينظر رجب عبد الجواد إبراهيم، موسيقى اللغة، دار الأفاق العربية، سنة 2000، ص12

النطقية وعن طريق القلب والحذف والزيادة والإمالة ، أو فك الإدغام[1] ، هذه التغيرات الصوتية يترتب عنها تغير في الدلالة،ترتبط معا على نحو وثيق،فهي تتفاعل فيما بينها ويكمل أحدهما الأخر[2].

إن اللغة في ظاهرها أصوات ، وهذه الأصوات تعبر عن معاني ، ويبدو هذا أمرا بديهيا ، ولكن ما هو بحاجة إلى دراسة وتحليل هو تلك العلاقة التي تربط بين هذين العنصرين لكون اللغة هي في الواقع هذه العلاقة التي تربط بين الأصوات والكشف عن هذه العلاقة هو أساس الحقيقة التي تقوم عليها طبيعة كل صوت على مستوى النطق و دوره التمييزي أو تمييزها عن غيرها ضمن اللغة و مدلولها،شأنها شأن أي نظام اجتماعي نموذجي أخر يميل لصياغة توازنه الديناميي[3]، و لا شك أن اهتمام الدارسين أو الباحثين للوصول إلى هذه الحقيقة تنطلق أساسا بالبحث عن الصلة القائمة بين جدلية اللغة و المجتمع و الثقافة، فاللغة سلوك تحكمها قواعد معينة و هذا السلوك يتألف من مستويات مختلفة منها المستوى الصوتي و الصرفي و النحوي والدلالي و السياقي، هذه ناتجة عن استخدام مجموعة متشابكة من العوامل المكونة للغة و علاقتها بالتواصل ضمن المحطة الإدراكية و النفسية و البيئية و كل مستوى من هذه المستويات يحكمه نظام خاص به، يكتسبه و يستخدمه الناطقون بهذه اللغة،لابد من الربط بين الجانب السمعي والجانب العضوي ،

[1] ينظر رومان جاكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح وحسن ناظم ط1 2002 المركز الثقافي الدار البيضاء المغرب ص 91.

[2] ينظر نفس المرجع، نفس الصفحة

[3] ينظر أحمد حساني دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات –ديوان المطبوعات الجامعية س 2000 ، ص 90

فكل منهما شرط لوجود الأخر[1]، ولذلك تتغير بنية الكلمة من حيث الفتح أو الكسر أو الضم أو السكون لتتفق مع كلمة أخرى وتحاكيها، و يتحقق بهما معا ما يسمى بالمحاذاة الصوتية، و منه قول العرب: أشد العطش حرة على قرة، و يعنون به أشد العطش ما كان في يوم بارد والقياس فتح الحاء حرة و لكنهم كسروا الحرة لمكان القرة وقال ابن دريد: الحرة بالفتح حرارة الشمس، و من دعائهم رماه الله بالحرة و القرة أي بالعطش و البرد كسر للازدواج وهو شائع[2] ، فهذه نتيجة عن استخدام من الاستخدامات التي اتفق عليها جماعة هذه اللغة و من ذلك أيضا ما روي عن قول الرسول (ص) عند دخول الخلاء: "اللهم أعوذ بك من النجس و الرجس الخبيث المخبث" إذ قال الفراء: إذا قالوا النجس مع الرجس أتبعوه إياه. فقالوا: رجس ونجس بالكسر و إذا أفردوه قالوا نجس بالفتح كما في قوله تعالى: " إنما المشركون نجس"[3]، فنلاحظ أن هذه الحركة من صلب التفاعل اللغوي الذي تفرضه الموازنات النطقية و الوظيفية للغة مرده جدلية التغير بين القالب والأصل و كذا عوامل التحول و هو ناتج عن صراع الاتصال و التواصل الذي تحدثه التحديات الداخلية والخارجية وهذا الصراع و الدوافع و السنن لا مفر منها للكيان اللغوي. انطلاقا من الحقائق التي هي مبحث هذه الدراسة القائمة على معرفة علل المميز و ظواهره الأصلية و مؤثراته الداخلية والخارجية لإنتاجات أكثر تركيبا[4] في ظل النشأة الاعتباطية.

---

[1] ينظر رجب عبد الجواد إبراهيم ،موسيقى اللغة دار الأفاق العربيةسنة 2000 ، ص 13

[2] ينظر نفس المرجع، نفس الصفحة.

[3] ينظر عمر المختار، دراسة الصوت اللغوي، دار الكتب، القاهرة / 1998، ص 187

[4] ينظر الدكتور محمود فهمي حجازي, مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة/ 1998، ص 36

ولذلك قام علماء اللغة القدماء والمحدثون بتصنيف الأصوات لأهميتها في مجال تحديد بنية الكلمة باعتبارها عناصر رمزية [1] لها وظيفتها، ولها سماتها السمعية[2]، فلكل لغة وجدوا لها عددًا من المخارج والصفات ابتداء من مخرج الجوف إلى مخرج الغنة، أما المحدثون فقد توصلوا إلى بعض المخارج والصفات منها عشرة و عند القدماء إحدى عشر لكن ليس هذا هو المهم وإنما الغاية الأساسية ما هي مميزات و صفات النظام الصوتي في اللغة العربية، وهل هذا النظام يستوعب أنظمة صوتية عامية غير عربية؟

فالتشابه و التقابل النطقي يتيح للغة أن تأخذ من اللغات الأخرى باعتبار المستوى الصوتي هو أساس تأليف الكلام لكون عملية تواصل الفهم و الإفهام تتم في مسرى سمعي و مسرى تلفظي أو نطقي أي بين فنوتيكا السامع و فنوتيكا المتكلم،لأن لكل كلمة غالبا معنى مستقل[3]، لكن النظام الصوتي ليس منسجما و متّحدًا بين جميع اللغات فقد تنفرد لغة بمميزات نطقية عن لغة أخرى مثل صوت التاء له ما يماثله في الإنجليزية والفرنسية، لكن صوت ضاد فهو خاص باللغة العربية، ولذلك يتوقف نجاح اللغة وفشلها على محاكاتها للغة المنطوقة التي تبني جسد الكليات الفونولوجية[4]،فوحداتها المختلفة على مستوياتها المتشعبة لا تكتسب هويتها داخل النظام اللغوي وحده إلا عندما تجد ما يقابلها داخل شبكة العلاقات

[1] ينظر ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات ، النشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط1/ 1980،ص 243.

[2] ينظر حلمي خليل ، مقدمة لدراسة اللغة، دار المعارف الجامعية، ط 2003، ص36

[3] ينظر رومان جاكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة،مرجع سابق، ص 91

[4] ينظر حلمي خليل ، مقدمة لدراسة اللغة،مرجع سابق، ص36

التي تدرج فيها الكلمات مع كلمات أخرى[1]. إذ أن هذا التقابل داخل هذه الشبكة هو الذي يحدد قيمتها مثلما تحدد قيمة العملة عندما يقابلها بكمية الذهب التي تقاس عليه و كمية البضائع التي يمكن أن تقتنى بواسطتها و هذا يقتضي بالضرورة أن قوانين تسيير اللغة و حفظ نظامها لا يتوقف على هذه الحقائق وحدها و إنما يتعداه إلى معرفة واعية لكل هذه النواميس.

فتكون السمة جوهرية في ناموس المحاورة هي تبادلية الطاقة اللغوية بين الطرفين تعبيرا وإدراكا سواء بالتعاقب أم بالتواقت سواء أكان ذلك بالتجاور أم التراكب"[2].

فاللغة تمتلك قدرات عظيمة تمكنها من استيعاب العلوم الحديثة و التقنيات المعاصرة , و من هذه القدرات و الإمكانات سبل إنتاجها لمصطلحات و ألفاظ جديدة ومن أهم هذه السبل نذكر الاشتقاق و الإلصاق و المجاز إضافة إلى النحت و التوليد والتحديث[3], وتعتبر العبارات اللغوية في حد ذاتها مفاتيح يستخدمها شخص يعرفها لتساعده على إنتاج معين , و غالبا ما يقال أن بواسطة اللغة يتمكن ومن أجل ذلك كان للبيئة أو الوسط دور كبير في مادة الخيال أو التشبيه في كل لغة حيث هي مستمدة من مظاهر البيئة المساعدة على اكتساب بنية اللغة وتطبيقا لأحكامها النحوية والصرفية التي يتطلبها التنظيم في نسق معين. لأنها مظهر جلي يمكن أن نرى فيه

[1] عبدالسلام المسدي، "اللسانيات وأسسها المعرفية"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- أوت 1986، ص 166

[2] ينظر كارم السيد , مرجع سابق , ص49.

[3] بوشوك مصطفى،"علم اللغة الاجتماعي وتعليم العربية الفصحى"،مجلة التدريس تصدر بالمدرسة العليا الرباط سنة1978 العدد 4 و5، ص 41.

المجتمع"[1]، الذي هو الواقع التطبيقي لفهم نظام اللغة ولممارستها نطقا وكتابة ممارسة صحيحة"[2].

معيار التكاملية بين هوية المتعلم والتصميم اللغوي:

قد حرصتْ شعوبُ العالم منذُ بداية البشريّة حتّى هذا اليوم إلى المُحافظةِ على تميُزها وتفرُدها اجتماعيّاً، وقوميّاً، وثقافيّاً، لذلك اهتمتْ بأن يكون لها هويّةٌ تُساعدُ في الإعلاءِ من شأن الأفراد في المُجتمعات، وساهم وجود الهويّة في تثنبتها كالهويّة الوطنيّة: هي الهويّةُ التي تُستخدَمُ للإشارةِ إلى وطن الفرد، وكذا الهويّة الثقافيّة: هي الهويّةُ التي ترتبطُ بمفهومِ الثّقافة التي يتميّزُ فيها مُجتمعٌ ما، وتعتمدُ بشكلٍ مُباشرٍ على اللّغة؛ إذ تتميّزُ الهويّة الثقافيّة بنقلها لطبيعة اللّغة بصفتها من العوامل الرئيسيّة في بناءِ ثقافة الأفراد في المجتمع . ولذا يجب أن ينصب الاهتمام على هذه المعطيات من أن اللغة ظاهرة تحمل في مضامينها كل الظواهر المعرفية، إن النظرة التكميلية للمواد اللغوية يحتم على واضع المنهجية من أن الوحدات اللغوية تكمل بعضها بعضا للمحافظة على أصالتها وصفاتها ' من جراء منافسة متنامية مع لغات عامية محلية وعالمية ، لأنها تقوم على أسس وقواعد ومقاييس كبقية العلوم الأخرى لأن التبليغ اللغوي له عوامله وأسبابه المتكاثرة والمتظافرة والمتنامية وهذا التبليغ له دعائمه وضوابطه ومنهجيته ومصادره واستثماراته النفعية واستدلالاته وأسسه المعرفية؛ فالاعتراف بشخصية التلميذ، فهو الدعامة الأساسية، لأنه الممثل الحقيقي في تنفيذ وإنجاز عملية التعلم، و لأهمية اللغة

---

[1] منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، ص 8.

[2] طلعت منصور، "سيكولوجية الاتصال" عن عالم الفكر الكويت، مجلد 11 عدد 2 (جويلية-سبتمبر)، 1980، ص 127 وما بعدها

وعلاقاتها الوثيقة بالدراسات النفسية صارت اللسانيات النفسية ذات مكانة كبيرة في علم النفس وقد صار علماء النفس أكثر اهتماما بجوانب معينة من السلوك المرتبطة باللغة"[1] ، "وباستعمالها كجهاز لا يقتصر على ما يجري لدينا عندما نتحدث أو نفهم ما يبث إلينا وهو ما يعرف بالأداء اللغوي وإنما يشمل كشف ما به نصبح قادرين على ذلك الأداء"[2]، والقدرة على الأداء اللغوي مرتبطة بجميع الظواهر والعلاقات وتنوع الدلالات التي يزداد ثراؤها أو يقل طبقا للأوضاع النفسية والاجتماعية المتعددة. وهذه الأوضاع تفرض على اللغة أن تتطور وتستجيب للحاجة خاصة تلك الحاجات المرتبطة بالجانب النفعي لدى التلميذ، فالعلاقة وثيقة بين البنى اللغوية بين جوانبها التواصلية.

من ثمة تعتبر اللغة أساس الثقافة البشرية حيث توجد اللغة يوجد العالم بالمعنى الإنساني المتميز, بل أن الوجود الإنساني هو في جوهره حوار مع العالم وهو النشاطا لأكثر احتراما , فاللغة لها وجود خاص يأتي الإنسان ليشارك فيه"[3] على المستوى المعنوي – الدلالي , من خلال الأفكار و المعاني التي تتضمنها نمطية بنية كل لغة مع تطورها الطبيعي لما في الحياة.

---

[1] عبدالسلام المسدي، "اللسانيات وأسسها المعرفية"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- أوت 1986، ص 147

[2] ينظر خالد عبد الرزاق السيد , اللغة بين النظرية و التطبيق , مرجع سابق , ص168.

[3] ينظر عبد الرحمان الحاج صالح ، مدخل إلى علم اللسان الحديث ، القسم الرابع ، اللسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري ، تصدرها جامعة الجزائر، معهد العلوم اللسانية والصوتية ،العدد الرابع ، سنة 1973،1974 ، ص 38

فالتجديد سنة طبيعية في حياة اللغة ما دامت هي الأساس الذي تقوم عليه عملية التواصل بين الأفراد من جميع النواحي، ومن الواضح أن المادة اللغوية ينبغي لها أن تنجز في ضوء الأهداف المسطرة التي تتوخاها كل أمة من تدريسها " اللغة " التي بها يبرز كل نشاط يقوم به التلميذ سواء أكان ذلك عن طريق التعبير أم الفهم ، فهي ألوان من السلوك الاجتماعي وحتى يتم تحقيق نهج اللغة وتجسيد الأبعاد المرسومة لها ينبغي أن تراعى جميع الأسس في بناء المنهج خاصة تلك المتعلقة بالتلاميذ أنفسهم وبواقعهم ومجتمعهم وبيئتهم المادية والمعنوية .

ومن الضروري إصلاح الاعوجاج والانطلاق من مواقف تعليمية تلبي حاجات التلاميذ وتتماشى مع ميولهم وتدفعهم إلى الإنشاء بأنفسهم وهذا يحتم مراجعة سلسلة المناهج والوقوف عند إيجابياتها وسلبياتها المنسجمة من حيث الوضع والاستعمال نتيجة تفاعل الإنسان مع هذه الأشياء والحوادث والأشخاص، نعني بذلك أولا أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة، ثم بنى جزئية مدرج فيها، وهذا هو الوضع وما يسمى بالقياس و هو المعقول من هذا الوضع، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسق بعض العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطهم[1]، وفهم اللغة فهما باطنيا من خلال إدراك خصائصها ومميزاتها الذاتية التي تساهم مساهمة فعالة في بناء برنامج يستجيب لرغبة الأطفال ويمكن من صناعة برنامج يعتمد على المعلومات اللغوية المختلفة سواء تلك التي ترجع إلى الملكة اللغوية التي يكتسبها الطفل أم تلك التي يتلقاها في المدرسة لمعرفة

[1] منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، وزارة التربية والتعليم الأساسي، مديرية البرامج والمواقيت، المعهد التربوي الوطني، سنة 1983/ 84، ص 10

أسرار اللغة ومراحلها وتطورها الذي يفرضه تطور الحياة في الميادين العلمية والمعرفية والسلوكية التي تتلاءم مع المعطيات التي تدفعها إلى الاستعمال اللغوي الصحيح الذي يمكنها من ربطه بألوان مختلفة من النشاطات الاجتماعية المتطورة في شتى مجالات الاستعمال اللغوي و هذا يستوجب الاستفادة من دراسة المذهب اللغوي الذي يعتمد على مختلف النظريات اللغوية وكيفية وصفها وفحصها لمعرفة خصائصها , وللوقوف على طبيعتها.

فاللغة تظهر للبعض عبارة عن أصوات ورموز، وهذه الأصوات والرموز تعبر عن المعاني، وهذا أمر يبدو بسيطا، ولكن حين نتعمق في دراسة الظواهر اللغوية التي تبدو بسيطة، قد تتعمق الأمور أكثر عند تفسيرها . فعند تفسير الأصوات حين يطلقها المتكلم كيف تصل إلى السامع وكيف تكون الرسالة التي يريد نقلها إليه، وهذه العملية التي تتم بين الباعث والمتلقي في وقت محدود عن طريق الأصوات المنقولة بينهما في الهواء، فكيف يحللها كل منهما ويستوعب دلالتها. فهذه السلوكات اللغوية عند دراستها تكشف لنا خفايا وأسرارًا وأنظمة كبيرة معقدة جدا لأن عملية التكلم مقيدة بمعايير وحدود والكلام البشري هو نفسه نشاط تضبطه قواعد، وهذه القواعد هي المعيار الذي يحكم على السلامة اللغوية.

لأنها مظهر جلي يمكن أن نرى فيه المجتمع واضحا، ولهذا فلا أحد ينكر الأهمية التي تلعبها اللغة كوسيلة من وسائل التواصل و التبليغ في حيز محيطها الذي بمكن المتعلمين بإكسابهم جملة من المعارف والحقائق " التي تتصل

بعصرهم وبوطنهم وتنمية الاتجاهات الفكرية والعلمية والوطنية وتمكينهم من الاطلاع على جانب من التراث الثقافي"[1].

نعني بذلك أولا أن اللغة مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ، ثم بنى جزئية مدرج فيها ، وهذا هو الوضع وما يسمى بالقياس هو المعقول من هذا الوضع ، أي ما يثبته العقل من انسجام وتناسق بعض العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطهم، من تفسير وتوضيح حيث "تقوم اللغة بوظيفية تمثيلية باعتبارها تعبر عن الواقع سواء أكان هذا الواقع العالم الخارجي ذاته أم كان هذا الواقع النفسي للمتكلم أي التلميذ وتؤدي اللغة في ذات الوقت وظيفة تعانقيه، إذ بها تعبر عن الدور الذي يتخذه المتكلم إزاء مخاطبه في موقف تواصلي معين».

هذه كلها مظاهر ومعطيات تجسد الواقع، لأن الواقع يفرض على منشيء البرنامج أن يراعوا كل نشاط لغوي من وجهة نظر مختلفة تعبر كل منها عن اهتمام علمي خاص، أو مشكلة خاصة في مجال الارتباط بين الشيء والمعنى الذي هو أساس كل دليل يستدل به الإنسان وينطبق هذا على الجماد والحيوان والإنسان وفي الاستدلال وفي عدم الاستدلال، فالعلاقة الدلالية تتحقق بما اصطلحت عليه الجماعة كاللفظ: وهو نوع من الكيفيات المسموعة و المعنى: أي الدلالة التي وضع اللفظ لها و إضافة عارضة بينهما وهي الوضع الذي جعل اللفظ بإزاء المعنى في السياق ضمن السلسلة الكلامية أي في حالة حركة، التي تحدث لها .

ولعل التساؤل عن وظيفة اللغة يبدو لأول وهلة مشكلة غريبة, لأن وظيفة اللغة متعددة ومتنوعة, فقد ينجز فعل الكلام الكلي إذا صارت

[1] ينظر فان دايك , مرجع سابق , ص320

أفعال الكلام للمتوالية إما تمهيدية اختيارية أو ضرورية أو مساعدة أو أجزاء مكونة معتادة بحيث ينبني السياق من معرفة مكتسبة وحاجيات ومقاصد وواجبات وتوقعات على رد فعل كلامي أساسي[1]. و هو المطابقة بين السلوك الوظيفي لها والبيئة والسياقات المقامية أو المنشئة أو المكونة لها التي تحدثها في بعضها البعض على ضبط الصلة الأساسية بين الحاجة والفعل حتى تصبح في صلب جهاز التواصل، فتكون السمة جوهرية في ناموس المحاورة، كباعث الحاجة اللغوية هي تبادلية الطاقة اللغوية بين الطرفين تعبيرا وإدراكا سواء بالتعاقب أم بالتواقت، سواء أكان ذلك بالتجاور أم التراكب"[2] التي تكون شديدة الصلة بالتلاميذ "بإكسابهم جملة من المعارف والحقائق التي تتصل بعصرهم وبوطنهم وتنمية الاتجاهات الفكرية والعلمية والوطنية وتمكينهم من الاطلاع على جانب من التراث الثقافي"[3]. كعامل تنمية التحفيز التنافسي الذي يمس الحياة الاجتماعية بما ينطوي عليه من ضروب التفكير والتعبير"واعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن من وضعه"[4].

---

[1] عبدالسلام المسدي، "اللسانيات وأسسها المعرفية"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- أوت 1986، ص 166

[2] منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الأساسي، وزارة التربية والتعليم الأساسي، مديرية البرامج والمواقيت، المعهد التربوي الوطني، سنة 1983/ 84، ص 10

[3] ابن خلدون، "المقدمة"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 799.

[4] عبدالسلام المسدي، "اللسانيات وأسسها المعرفية"، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر- أوت 1986، ص 91.

فالإنسان يفكر باللغة ويعبر بها "غير أن الفكر لا يعلق على اللغة بالنظر والفحص إلا بواسطة أداة لغوية وهذا يتم بفضل ما في الظاهرة اللغوية من طواعية الرجوع بنفسها على نفسها"[1].

فعدم وجود التوازن اللغوي والنفسي والعقلي والاجتماعي قد يعيق عملية التعبير. وهناك حاجات نفسية عديدة يتم إشباعها من خلال الأحاديث، كإظهار القوة الكلامية أو بحاجة إلى التشجيع من الآخرين"[2].

قانون التوازن بين التوظيف و التجميل اللغوي الاجتماعي :

قانون التمدن و التجميل اللغوي الاجتماعي هو معيار علاقة التوازن بين أنماط السلوك و التوظيف اللغوي وهي قوانين مطمورة إلى حد بعيد،[3] .

ما يعنى بمصطلح البراجمتية هو نزوع اللغة إلى التغير لما تمليه عليها قوانين التطور المختلفة التي يكون فيها التناقض واضحا في عمل بعضها , حيث من الممكن أن نجد قانونا من هذه القوانين يتدخل بصورة فاعلة في مظهر من المظاهر التي تشكل الظاهرة اللغوية[4]، فإن القوانين على مستوى بناء البراجماتية الصوتية ، أنه يحقق قانون التمدن اللغوي و قانون التجميل اللغوي الاجتماعي ،و لكن من حيث البعد الاجتماعي أن هذه الأبعاد تمليها قوانين الحياة الاجتماعية المختلفة التي تشكل الظاهرة اللغوية، رغم أن

---

[1] غسان يعقوب مع الاشتراك جوزيف طبش، "سيكولوجية الاتصال والعلاقات الإنسانية"، دار النهار للنشر، بيروت 1979، ص 50.

[2] ينظر رومان جاكبسون، مرجع سابق، ص91

[3] ينظر دريم فرحان , براجمتية اللغة و تشكيل بنية الكلمة، المعائطة دار البازوري العلمية للنشر و التوزيع الأردن طبعة سنة 2008 ,ص17

[4] ينظر دريم فرحان , مرجع سابق , ص20.

البعض يرون أنه لا يمكن بالضبط معرفة ما هو سهل وما هو صعب، وأن عملية السهولة و الصعوبة أمر نسبي[1] , فما هو صعب عند المتعلمين في مستوى من مستويات التعلم ,فهو سهل عند فئة أخرى تفوق مستوى هذه الفئة .

فطبيعة و سهولة النطق تقتضي لو كان التطور يجري في اتجاه السهولة لوجب أن تكون أصوات اللغة اليوم كلها من نوع الميم و النون والفاء لأنها أسهل الأصوات بخلاف بعض الأصوات الأخرى المتشابهة ولذلك وجد النظام الصوتي الخاضع للقوانين الصوتية المفروضة من قبل كل مجتمع تعمل على اضطرابه عوامل عديدة, مثل الخطأ والمبالغة في التصويب و الأخذ من لهجات أخرى في فترات مختلفة[2], فمثلا كلمة ملهوجا في التركيب : "... كنت أرجو أن أنعم بشي الكبش, و لكنه لم يبق لي مفر من أكله ملهوجا.."[3] ،فكلمة ملهوجا تختلف نطقا و معنى على مستوى استخدامها في العامية فدلالتها الأكل الكثير و نطقها بفتح الميم و سكون اللام و ضم الهاء الممدودة , أما دلالتها في النص فهي الأكل غير الناضج و نطقها بضم الميم وفتح اللام وسكون الهاء وفتح الواو و لذلك نجد أن القدماء اهتموا ببنية الكلمة و مؤثرات الصوت النطقية والنوعية و أثرها الدلالي فسيبويه في مؤلفه الكتاب بحث العلاقة بين الصوت والدلالة فرأى أن كل المصادر التي على وزن فعلان تدل أصواتها على معناها فضلا عن اختلاف هذه الأصوات من

[1] ينظر نفس المرجع ,ص21.

[2] ينظر كتاب السنة السادسة, مرجع سابق, ص65.

[3] ينظر مراد عبد الرحمان مبروك من الصوت إلى النص ,نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الطبعة الأولى 2002 الإسكندرية ,ص22.

موضع لآخر , و لذلك يقول من المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تضاربت المعاني قولك :" النزوان, و القفزان ..." وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع و مثل هذا الغليان ... والعسلان و مثله الغثيان ... واللهيان و الخطران و الوهجان واللمعان[1]فكل هذه الكلمات هي في معنى التحرك ولذلك ربط القدماء أيضا بنية الكلمات و علاقتها بمخارج الأصوات لأهميتها البراجمتية فابن دريد في كتابه الاشتقاق ربط بين أسماء القبائل و معانيها لذلك يقول:"فهذيل من الهذل وهو الاضطراب و قضاعة من انقضع الرحل عن أهله إذ بعد عنهم أو قولهم تقضع بطنه إذا أوجعه[2] , لكن هذه الأوزان وجودها لا يخدم براجمتية اللغة و تنوعها الدلالي و محاذاتها النطقية التي تميز ما هو أصعب و ما هو أسهل و لكن تدفع المتعلم إلى معرفة مختلف الأصوات و صفاتها و مؤثراتها عن بعضها البعض لكون الأصوات عند تجاورها يؤثر صوت في آخر , فإن الأضعف بموقعه في المقطع أو في بنية الكلمة كلية أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر كالمتعلق ببنية اللغة بعينها أو بالتأثير الاجتماعي ويظهر هذا جليا على مستوى نظام الكلمات التي تشكل الجمل المشكلة للصور والسياق في مختلف التراكيب .

من ثمة قد حاول الإنسان منذ القديم أن يدرس أصوات الكلام واللغة ، وقد زودنا التاريخ بمعلومات تفيد أن الإغريق والهنود وكذلك العرب من بعد درسوا أصوات لغاتهم لكون الإنسان يعبر عن أغراضه بواسطة هذه

[1] ينظر ابن دريد ,كتاب الاشتقاق تحقيق عبد السلام هارون , الخفاجي القاهرة طبعة 1958 القاهرة , ص176

[2] ينظر مراد عبد الرحمان ، مرجع سابق ، ص 25

اللغة ، التي كانت عبارة عن الرموز والحركات والإشارات وإمارات الوجه، ولكن الإنسان لجأ إلى أصوات اللغة التي تجتمع مع بعضها البعض لتؤلف وصلات صوتية نسميها الكلمات[1]، فقانون التردد النسبي هو قانون الشيوع و فيه أن الفونيمات الأكثر ترددا تختزنها الذاكرة أسهل من الأقل و العناقيد المتكررة وقوعها تقاوم التبسيط و الإضعاف أكثر من العناقيد تكرارا و لذلك أدرك الجاحظ وظيفة الصوت في أكثر من موضع فهو يقول:"إن الصوت آلة اللفظ , و الجوهر الذي يقوم به التقطيع و به يوجد التأليف ولن تكون الحرف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف[2] ومن ثم فإن دراسة الجاحظ انتقاها من عوامل تؤثر في حجم حجرة الرنين و تؤثر كذلك في مقدار المستويات الأربعة من تردد هذه المستويات نلاحظها في حركة اللسان العمودية و الأفقية و التضييق الذي يطرأ على التجويف الفموي و الحلقي و استدارة الشفتين و هذه العوامل تختلف من مستوى لأخر من مستويات التردد فمثلا يتحرك اللسان حركتين (فوق ـ تحت)والأخرى أفقية (أمام ـ خلف) فالحركة الرأسية هي التي تؤدي إلى إحداث التردد الأول و بمقدار ما يكون الارتفاع و الانخفاض تكون درجة هذا التردد[3], وهذه العوامل النطقية هي التي تدفع نحو معرفة السهولة والتيسير في قضية النطق أو الجهد الأقل حتى لا تختلط جميع حالات النطق مع بعضها البعض و كذلك معرفة أسباب هذه

---

[1] ينظر *الجاحظ أبو عثمان البيان* و التبيين , تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة ط 3سنة 1968, جزأ أول ص79

[2] ينظر الأستاذ شريف ستيتية , الأصوت اللغوية رؤية عضوية و فيزيائية ,كلية الأدب جامعة اليرموك ,دار وائل للنشر الطبعة الأولى 2003 , ص314

[3] ينظر الهراوي أبو سهل محمد بن علي ، تلويح في شرح كتاب الفصيح ، مطبعة واد النيل ، 1285 هـ ، القاهرة، ص128

العوامل وتحقيق فائدة البراجمتية اللغوية و هذه الفائدة تأتي من معرفة أسرار التطور الصوتي التي تمكننا من طبيعة اللغة المتميزة بالمرونة والتيسير في موضوع تتابع الحروف وتبادلها, من تفسير وتوضيح حيث "تقوم اللغة بوظيفية تمثيلية باعتبارها تعبر عن الواقع سواء أكان هذا الواقع العالم الخارجي ذاته أم كان هذا الواقع النفسي للمتكلم، وتؤدي اللغة في ذات الوقت وظيفة تعانقيه، إذ بها تعبر عن الدور الذي يتخذه المتكلم إزاء مخاطبه دور السائل، أو الآمر، أو المخبر ...

هذا الانسجام قال عنه ثعلب في أول كتاب الفصيح ، هذا كتاب اختيار الفصيح مما جرى في كلام العرب والناس وكتبهم[1]،، وأن هذا من الأمور المحسوسة والملموسة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع ويميل إليه هو الحسن منها والذي ينفر عنه هو القبيح[2] ، ، وهذه الظاهرة أثارت اهتمام القدماء حيث يقول ابن دريد: وأعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان ، منها إذا تباعدت ، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم وحروف الذلاقة لقيت جرسًا واحدًا وحركات مختلفة، ألا ترى لو الفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول على هاء في بعض الكلمات فكراهية السمع وغرابة المعنى تجعل

[1] ينظر عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص16.

[2] ينظر حلمي خليل، المولد في اللغة العربية ، مرجع سابق، ص 142

اللفظ بعيدة عن الاستعمال ومتناهية الثقل على اللسان[1]. وهذا كله تقرير أن يكون مدار الفصاحة على كثرة الاستعمال وعدمها على قلته"[2].

فإن كان النص مادة لغوية من حيث تركيبه وأسلوبه،فالكلام عن اللغة والوظيفة ينطلق أساسا من التمييز بين معنيين اثنين لهذا المفهوم: الوظيفة باعتبارها دورا تقوم به اللغة ككل و الوظيفة باعتبارها علاقة دلالية أو تركيبية أو تداولية , و يتم هذا كله ضمن بناء لغوي يفضي إلى إيصال معلومات لكون الإنسان الذي يتكلم يفكر لأنه يريد أن يرتب فقرات حديثه ليخرج كلامه منظما و ليس مبهما غير معلوم فلا غنى للفكر عن اللغة واللغة عن الفكر.

لأن وظيفة اللغة متعددة ومتنوعة , فهي أفعال الكلام المتوالية إما تمهيدية اختيارية أو ضرورية أو مساعدة أو أجزاء مكونة معتادة بحيث ينبني السياق من معرفة مكتسبة وحاجيات و مقاصد و واجبات و توقعات على رد فعل كلامي أساسي.

فلا يمكننا أن نعزل الظواهر اللغوية عن مقاماتها الاجتماعية ولا عن دلالاتها الاجتماعية كذلك"[3]. إلى جانب هذا أن قضية كل من المقام والمتكلم والمخاطب هي عناصر غير لغوية ولكنها تمثل ضغوطًا انجازية قصوى إن رعيت في الإنجاز والتأليف ،كون المخاطب عند مراعاة هذه العوامل يبحث

[1] ينظر المزهر السيوطي ، مرجع سابق ، ص188

[2] بوشوك مصطفى،"علم اللغة الاجتماعي وتعليم العربية الفصحى"،مجلة التدريس تصدر بالمدرسة العليا الرباط سنة1978 العدد 4 و5 ص 41

[3] ينظر جون لاينز، مرجع سابق، ص240.

عن الأحوال ومقتضى الحال في تحقيق الكلام الكلي المكيف بكيفية مخصوصة تراعي المقام وسماه "جي آرفرث" سياق الظرف[1].

فاللغة هي الأساس في تشكيل أنماط سلوك الإنسان و طرائق تفكيره و طموحاته ومثله ونظرته للآخرين , كما أكد من جهتهم الأصوليون بأن وظيفة اللغة أنها وظيفة اجتماعية وأنها أفضل وسيلة للترويج عن النفس و لأهمية اللغة و وظيفتها في وكذا الأمر تماما فيما يمس الحياة الاجتماعية بما ينطوي عليه من ضروب التنافس والزهو، حيث يندفع التلميذ إلى التفكير والتعبير، فهي في وظيفتها توحي إلى تحقيق التكامل بين النمو اللغوي والوظيفة التي تؤديها وما يترتب عنها من قيم قصد تنمية الجوانب العقلية والفكرية لدى التلميذ، من تحصيل للمعلومات التي تحقق الهدف المرسوم، وللإجابة عن هذا يوقفنا على وجوب وجود صلة وثيقة إلى حد كاف بين مقدرة التلاميذ والاستعمال الوظيفي للغة، أو بين استيعاب المعلومات والمقدرة العقلية لدى التلميذ وتحقيق عامل التوازن اللغوي , فإن للحياة اللغوية لها توازنها الخاص بها في مجال التوظيف الذي يثبت الهويّة .

للهويّة مجموعةٌ من الأنواع؛ كالهويّة الوطنيّة، والثقافيّة، وكلُ نوعٍ من هذه الأنواع يُساهمُ في نقلِ صورةٍ مُعيّنة عن الخصائص، والمُكوّنات الشخصية الخاصّة بها، وأيضاً تتميّزُ بطاقةُ الهويّة الرسميّة التي تُصدِرها الجهات الحكوميّة في الدّول بمجموعةٍ من المُحتويات الخاصّة بها، والتي تُساهمُ في التّعريف بصاحبها، كما أنّ أغلبَ الأفراد قد يتعرّضون لإحدى الحالات الخاصّة بالهُويّة، وعليهم معرفةُ الطُّرق السّليمة للتّعاملِ معها وفهمِ

[1] مناهج التعليم الأساسي للطور الثاني"، الصادر عن مديرية التعليم الأساسي، وزارة التربية الوطنية، المعهد التربوي الوطني للمطبوعات المدرسية، سنة 1996، ص 66

مَضمونها. وتوجدُ مجموعةٌ من العوامل التي تُؤثّرُ على بناءِ الهويّة عموماً عند الأفراد كاللغة .

لكن عدم وجود التوازن اللغوي والنفسي والعقلي والاجتماعي قد يعيق عملية تثبيت الهويّة لكون اللغة تعبر عن حاجات نفسية عديدة يتم إشباعها من خلال الأحاديث، وبإمكان الاتصال أن يتخذها بشكل التسلية أو الرغبة في التأثير أو التباهي قد يكون الشخص بحاجة إلى إظهار القوة الكلامية أو بحاجة إلى التشجيع من الآخرين" وتعلم اللغة بطريقة آلية لا يكون متناسبا مع مقدار الحاجة اللغوية إنما هي عملية إبداع و هذا هو المظهر الأساسي الموجود بالقوة كعامل النسق الوظيفي .

من ثمة صارت اللغة وظيفتها معيار "لتنمية الاتجاهات الفكرية والعلمية والأخلاقية والوطنية"[1]، وأن تكون اللغة وظيفية على وفاق مع السير الطبيعي للتطور الاجتماعي و والمعرفي لسنن الحياة ،لكونها إنتاج اجتماعي"[2]، لذلك ينبغي إيجاد السبل التي تمكن التلميذ من استغلال اللغة بدعم المكتسبات وتوسيعها بحيث تكون الحصيلة التي اكتسبها التلميذ في الطور من داخل المدرسة أو من خارجها منطلقا ضروريا في تنظيم وتقديم مقررات المناهج " حيث هذا القانون يرتبط ارتباطا وثيقا بقانون الامتداد الوظيفي للغة في حياة المتعلم"والتفسير الوظيفي لظاهرة لغوية ما تزامنيا أو تطوريا هو التفسير الذي تكون في إطاره هذه الظاهرة ناتجة عن مبدأ أو مبادئ يرتبط بأحد مقومات

[1] فرديناند دي سوسر، "محاضرات في الألسنة العامة"، ترجمة يوسف غازي ومحمد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1986، ص 27.

[2] يصادف اليوم الأول من شهر مارس/ اذار من كل عام اليوم العربي للاحتفاء باللغة العربية الذي جاء بناء على قرار المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(الألكسو)، رقم (م ت/ د90/ و7)جوان / يوليو 2009.

اللغـة الوظيفيـة ومقومـات اللغـة الوظيفيـة تنتمـي إلى المتطلبـات والقيـود المفروضة على اللغات الطبيعية كعامل الاهتمام اللغوي الـذي يعمـل علـى تنمية الاستعدادات الفكرية بالمستوى الذي تسمح به قدرات التلاميذ.

و خلاصة القول : إن اختلفت اسـتعمالات كلمـة التصـميم التعليمـي في ألفاظها إلا أنها تدور في فلك معنـى واحـد، فهـو الطريقـة أو الأسـلوب أو الكيفية أو الوسيلة المحددة التي تـؤدي إلى الغـرض المطلـوب أو إلى الغايـة المعينة وهو أحد الوسائل لتثبيت الهويـة الـتي تحمـل ملامـح الشخصـية ومـا يرتبط بها ماضيًا وحاضرًا من ثوابت ذاتُ عَلاقة وثيقـة بـالمحيط، في صـورته الأولى وبمعطيات حركـة الحيـاة وغايـات الحـراك، ، الثقـافي , الاجتمـاعي، والاقتصادي، والسياسي، والقانوني، حيث ترى الجماعةُ من خلالهـا أنفسَـها وعلاقاتِها .

فالهوية،تكون واقعاً ثقافياً أو مجتمعياً ناجزاً، وهي أيضا قيم جوهرية تتنزَّل في واقعٍ تتجدد فيه بفعـل فهـم الإنسـان وإدراكـه وديناميتـه، وقدرتـه علـى مواجهة مشكلات حياته وعصره، وتخطِّى الضَّرورات التي تحكمه . مـن ثمـة يستدعي تصميم التعليمي الجيد للغة لتثبيتها برصد كل العناصر و المعطيات في التطبيقات الوظيفية لعملية بنية اللغة و طرق ممارساتها.

فإن الحديث عن هذا لا يمر إلا من خلال قناة الحديث عن التعليم المـنهج العلمي، الذي يتضمن المعلومات والمعـارف الـتي تجتمـع في داخـلِ الإنسـان أو المجتمـع. وهـو السـبيل الوحيـد لنقـل وتبليـغ وإيصـال كـل التجـارب والأحداث التي تتم بين الأفراد والجماعـات الـتي تنقلـها اللغـة وبواسـطتها يعدل الفرد سلوكه لكي يتكيـف ويـتلاءم مـع مجتمعـه ويتـزود بالمعـارف في مختلف الأنماط التعليمية في حياة الإنسان الفرديـة و حيـاة الجماعـة اللغويـة الواحدة .

المعجم المدرسي والتهيئة اللغوية

د. حسنية عزاز

أستاذة محاضرة

كلية الآداب واللغات والفنون
جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس.

مقدمة:

بداية نودّ أن نشكر القائمين على هذه الندوة العلمية الخاصة بالاحتفاء باليوم العربي للغة العربية المصادف للفاتح من شهر مارس[1]، وكان لجامعة "د. مولاي الطاهر" بسعيدة شرف التنظيم، فالشكر موصول لكل من ساهم في إنجاح هذا المحفل العلمي خاصة إدارة مخبر" الترجمة والتأويل في ظل التواصل متعدد اللغات"، وفي هذه المناسبة السعيدة تلقينا نبأ وفاة أحد علماء الجزائر البررة، الرجل الصالح "الحاج صالح عبد الرحمن" -رحمه الله- الطبيب اللساني[2]، فهو الخادم العربي للغة العربية، وعزاؤنا اليوم هو الاطلاّع على ما كتب، فإن ذهبت روحه الطاهرة إلى خالقها، فقد بقيت

[1] يصادف اليوم الأول من شهر مارس/ اذار من كل عام اليوم العربي للاحتفاء باللغة العربية الذي جاء بناء على قرار المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(الألكسو)، رقم (م ت/ د90/ و7)جوان / يوليو 2009.

[2] ولد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح بمدينة وهران في 8 جويلية 1927م، وتوفي بالجزائر في 5 مارس 2017 عن عمر يناهز التسعين سنة، فهو من أبرز المؤسسين للدرس اللساني في الجامعة الجزائرية، وشخصية معرفية جمعت بين الدرس الكلاسيكي والدرس الحداثي. صاحب مشروع الذخيرة العربية. وأكدّ في السياق أنّ المرحوم حاج صالح كان يحلم بتطويره، لكن سبقه الأجل ورحل دون أن يتحقق الحلم. وهو أحد العلماء العرب، فهو حاصل على "جائزة الفيصل".

أعماله الخالدة تشفع له وتبرز أنه صنع الكثير بمقدار ما عمّر وأحسن الصنيع، فمن واجبنا العمل على مواصلة المسيرة العلمية والمشاريع البحثية غير المكتملة كمشروع "الذخيرة اللغوية".

فاللغة العربية تحتاج إلى كل أبنائها، ونقصد الناطقين بها والغيورين عليها، وخاصة الباحثين منهم في شأنها وشأن تطويرها، وجعلها لغة تواصل واستعمال في جميع مجالات الحياة، لذلك أضحى ملف ترقية اللغة العربية وتطويرها من أهم ملفات المؤسسات والهيئات المعنية، وكذا المجامع اللغوية التي من شأنها دعم تعليم وتعلّم اللغة العربية واستخدامها في مجالات مهمة كالتعليم ووسائل الإعلام.

هذه المداخلة الموسومة: المعجم المدرسي والتهيئة اللغوية، تحاول ابراز دور المعجم المدرسي الذي نعتبره مهمّا في إنجاح العملية التعليمية وفي تطوير المنظومة التربوية، هذه العملية التي تقوم على عدة أركان أهمها، المعلّم والمتعلّم والمنهاج ووسائل التعليم، ومن أهم هذه الوسائل المعجم المدرسي.

ولندخل في صلب الموضوع، وجب علينا الاجابة على إشكالية وجود معجم مدرسي منشود يفي بالغرض المطلوب والقادر على تهيئة التلميذ لغويا، ومن أجل الوقوف على تلك الإشكالية، سنجيب عنها كالأتي:

_ المعجم المدرسي، المفهوم والنشأة؛

_ المعجم المدرسي أم القاموس المدرسي؛

_ مواصفات المعجم المدرسي؛

_ المعجم المدرسي والتهيئة اللغوية.

1_ المعجم المدرسي، المفهوم والنشأة:

كلمة المعجم في اللغة من مادة (ع.ج.م) تعني الابهام والخفاء، وعدم الايضاح والبيان[1]، وقد عرض ابن جني لذلك في كتابه سر صناعة الاعراب ، حينما قال:" اعلم أن (ع.ج.م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإفصاح، من ذلك قولهم: رجل أعجم، وامرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما، وكذلك المعجّم والعجم، ومن ذلك قولهم: عجم الزّبيب وغيره، إنما سمى عجما لاستتاره وخفائه بما هو عجم له"[2]، فدلالة المادة في كلام ابن جني، وما استقيناه أيضا من مختلف المعاجم اللغوية تبدو متناقضة مع المفهوم الاصطلاحي لكلمة الايضاح والبيان والشرح والتفسير.

وقد جاءت كلمة "المعجم" على صيغة اسم المفعول من الفعل الماضي الرباعي (أفعل) المزيد بالهمزة في أوله، وصيغة أفعل هذه _ كما يقول علماء الصرف_ ترد في كلام العرب كثيرا لتفيد الايجاب والإثبات، تقول: أكرمت محمدا، وأعطيته إذا أوجبت له ذلك، وترد عندهم في بعض الأحيان لتفيد السلب والإزالة، فتسلب عن المفعول ما اشتق منها، وذلك نحو قولك: أشكلت الكتاب أي أزلت عنه إشكاله، وأشكيته أي أزلت شكواه. ومن هذا القبيل قال الله تعالى:" إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها"[3]، وقد فسرت عبارة_

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة (ع.ج.م).

[2] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1ص40

[3] سورة طه، الآية 15

أكاد أظهرها_ أي أكاد أزيل عنها خفاءها[1]. وعلى ذلك فيكون معنى أعجمت الكتاب: أزلت عنه عجمته واستعجامه، بمعنى أوضحته وبينته، وهذا ما يجيب عن التساؤل حول التناقض الحاصل بين الدلالتين اللغوية والاصطلاحية.

إذن المعجم عموما مصطلح لساني (لغويّ) يحمل المعنين الآتيين:

1_ مجموع ألفاظ اللغة مفردة كانت أو مركبة؛

2_ الكتاب (المؤلّف/المصنّف) الذي تجمع فيه ألفاظ اللغة جلّها أو بعضها، وترّتب ترتيبا ألفبائيا أو غير ألفبائي، وتكون مصحوبة ببيانات تسمّى بيانات معجمية أو قاموسيّة، أخصّها الشرح أو التعريف[2].

والمعجم كما يعرفه"جون" و"كلود ديبـــــــــوا" (JEAN ET CLAUDE DUBOIS): " قائمة من الكلمات، مرتبة ترتيبا ألفبائيا وفق مكوناتها (حروفها) تشكل هذه الكلمات مداخل"[3].والمعاجم أنواع من بينها المعجم المدرسي الذي يعدّ " أداة ثقافية بامتياز، لارتباطه ارتباطا عضويا بالعملية التعليمية في جميع مراحلها"[4] أي من الطور الابتدائي ثم المتوسط والثانوي إلى غاية التعليم الجامعي.

---

[1] ينظر: أحمد طه حسانين سلطان، المعاجم العربية بين الابتكار والتقليد، كلية اللغة العربية، القاهرة، ط2، سنة 2005م، ص8

[2] عبد اللطيف عبيد، "التجربة القاموسية العربية" في العربية- الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2009، ص 868

[3] أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998.

[4] عبد الغني أبو العزم، وظيفة المعاجم المدرسية للتعليم الأساسيّ، اللسانيات مجلة في علوم اللسان وتكنولوجياته، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربيّة، الجزائر_ عدد خاص بأعمال الندوة الدولية التكوينية حول المعجم المدرسي: مادّته وآليات صناعته المنعقدة بالجزائر يومي 10 و11 يناير 2009، العدد السادس عشر 2010، ص 39

وقد ظهرت المعاجم المدرسية في أوربا في القرن التاسع عشر، وممّا ساعد على ظهورها عاملان أساسيان، هما انتشار التعليم وبداية بروز اتجاهات لسانية حديثة، غيرت نظرة المعجميين إلى نوعية اللغة التي يجب أن تتضمنها المعاجم الموجهة إلى المستعملين والمتعلمين في المدارس التي بدأت تنتشر شيئا فشيئا آنذاك[1] كما عرف العرب صناعة المعاجم منذ القرن الرابع الهجري، وشهدت هذه الصناعة مراحل عديدة وصولا إلى وقتنا الحالي عصر الحاسوبيات والبرمجيات والتكنولوجيا مما يساعد على الصناعة المعجمية، إضافة إلى وجود عمل جماعي تشترك فيه جميع التخصصات المعنية للتوصل إلى تهيئة المتعلّم تهيئة لغوية جادة وصائبة.

2_ معجم مدرسي أم قاموس مدرسي؟

في الحقيقة ترددت بين مصطلحي معجم وقاموس؛ لأن الكثير من الباحثين لا يفرقون بين المصطلحين، بالرغم من وجود اختلاف بينهما لكن يبقى التداخل بينهما قائما، وممن يميزون بين المعجم والقاموس ، يعتبرون أنّ كلمة القاموس تطلق على ذلك العمل الذي له هدف تربوي وثقافي؛ يجمع بين دفتيه قائمة من المداخل التي تحقّق وجودها بالفعل في لغة من اللغات، ويقابلها في الفرنسية DICTIONNAIRE، بينما كلمة المعجم هي ما تمتلكها الجماعة الناطقة بفعل القدرة التوليدية، وتقابلها الكلمة الفرنسية LEXIQUE [2]وتبقى الفروق في الدلالة اللغوية؛ فالقاموس هو البحر العظيم

[1] الطّاهر ميلة، مواصفات المعجم المدرسيّ المعاصر، ص 13.

[2] ينظر: صالح بلعيد، القاموس المدرسي المنشود، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية "عدد خاص بـــ القاموس واللغة العربية المعاصرة"، الجزائر، سنة 2013، ص 91.

أو المحيط؛ وهو كتاب يحتوي طائفة من الكلمات المرتّبة والمشروحة، وله هدف تربوي.

ولعلّ كلمة معجم في هذه المداخلة هي الأنسب، فهذا مكتب تنسيق التعريب في الرباط لم يستعمل كلمة (قاموس) في معاجمه المدرسية، بل استعمل كلمة (معجم)، والمعجم المدرسي جزء من المعجم العام، فهو معجم متخصص؛ يستهدف فئة المتعلّمين والمعلّمين خصوصا، وهو وسيلة هامة لطبيعته المعرفية واستهدافه للغة المتداولة في المؤسسة التعليمية التربوية.

والمعجم المدرسي ليس مجرد كتاب مدرسيّ، وإنّما يعدّ من أهم الكتب المدرسية لما يحويه من مادة لغوية وحمولة معرفية، مشفوعة بشواهد ورسومات ايضاحية لتبسيط الفهم وتيسير الشرح وتسهيل ايصال الدلالة للمتعلّمين على اختلاف أعمارهم، فلكل مرحلة من مراحل التعليم معجم مدرسي معيّن نحو معجم روض الأطفال وغيرها، وعليه فالمعجم" نصّ تعليمي يكشف عن أوجه معاني الكلمات ليغدو نصّا ثقافيا أو لغويا يتضمن خطابا حول الكلمات والأشياء ينقل مجموع أقوال جازمة حول الانسان والمجتمع، أقوال تشكل قيم القوانين الانسانية باللغة المختارة من أجل تواصل الجماعة المكونة من القراء ثقافيا واجتماعيا وحضاريا"[1] ؛ ولقيام هذا المعجم بدوره لا بد من تجديده وتحينيه وتطويره، وإتباع أشكاله ودراسة مناهجه وتجديد مضامينه. لذلك وجب على المختصّين البحث عن سبل وضع معجم مدرسي يحمل المواصفات العلمية والتربوية ليكون بحق ذلك المعجم المطلوب.

[1] عبد الغني أبو العزم، وظيفة المعاجم المدرسية للتعليم الأساسيّ، ص39.

3_ مواصفات المعجم المدرسي:

المعجم المدرسي أداة تعليمية تربوية ذات مداخل عمودية مرتبة ترتيبا معينا، تقف على شرح الكلمة وتفسيرها، وتحديد معانيها اللغوية،وبيان وظائفها ومستوياتها اللسانية، بمعرفة البنية الصوتية للكلمة وصيغتها الصرفية وتركيبها النحوي ودلالتها داخل السياق وخارجه. وإضافة إلى ابراز الخصوصيات اللغوية ومعرفة الحقول الدلالية لابد من ربطها بالدراسات و الأبحاث التربوية والنفسية والاجتماعية.

وللمعجم المدرسي مواصفات عامة وأخرى خاصة، تميزه وتجعله فعلا أداة مهمة في العملية التربوية، ويمكن تلخيص بعض المواصفات العامة في النقاط الآتية:

_ إعداد المعجم على أساس حاجات المتعلمين في مراحل تعليمية معينة؛

_ مراعاة النمو اللغوي لهؤلاء المتعلمين؛

_ تدعيم المعجم بأمثلة وصور؛

_ التبسيط قدر الامكان والوضوح دون الاخلال بالمعنى؛

_ التحيّين المستمر للمعجم، وتجديد معلوماته، وإعادة مراجعة مادته ومحتوياته؛

_ إضافة المصطلحات العلمية والخرائط والجداول الإيضاحية؛

_ تحديث ملاحق معرفية مصاحبة للمعجم؛

_ عمل مزيد من التنظيم والترتيب الطباعي بهدف الوضوح القرائي[1].

---

[1] محمود فهمي حجازي، 2003، اتجاهات معاصرة في صناعة المعجمات العربية، مؤتمر مجمع اللغة العربية (دورة 69)، ص 27.

بينما المواصفات الخاصة هي التي تساهم في بناء معجم مدرسي معاصر ومنشود، وقد قدّم المعجميون آراء وأفكارا جديدة وجدية وواضحة المعالم والرؤى، وقد أجمعوا على العموم في القضايا التالية:

_ اعتماد الترتيب الألفبائي وفقا للحروف الأولى للكلمة دون مراعاة الجذور وفكّ الإدغام؛

_ إيراد المصطلحات الحديثة الشائعة الاستعمال التي أقرّت فصاحتها؛

_ إهمال النادر والمهجور وتجنّب الترادف؛

_ ذكر مصادر الأفعال عامة والأفعال الثلاثية مهما تعدّدت؛

_ ذكر جموع التكسير؛

_ ذكر المثنّى حينما يكون حالة خاصة؛

_ ذكر الكلمات في إطارها اللغوي(تعبير فصيح ارتأيناه أو مثل سائر أو حكمة مروية)؛

_ اعتماد نظرية لسانية تراعي الخصوصيات اللغوية بإتباع منهج معين؛

_ اعتماد الشواهد القديمة والحديثة، ومراعاة المعطيات اللغوية المعاصرة؛

_ اعتماد الرصيد اللغوي الشامل من المنطوق والمرئي ومن واقع الحياة التربوية، ومن الكتب المدرسية ومن لغة القصص والحكايات[1]؛

_ الاكثار من الأمثلة من واقع التلميذ ومحيطه، وخاصة الكلمات والأساليب والأمثال التي يستعملها الطفل باستمرار. ولعل تلك من أهم القضايا التي تساهم في تأدية المعجم المدرسي لدوره العملي والتربوي في تعليم التلاميذ وتأهيلهم.

[1] ينظر: صالح بلعيد، القاموس المدرسي المنشود، ص 100

4_ المعجم المدرسي والتهيئة اللغوية:

للمعاجم أهمية كبيرة، فهي تساعد الانسان على تغطية العجز وقصور الفهم عن الاحاطة بجميع مفردات اللغة ومدلولاتها، فهي ضرورية لفهم المجتمع في مختلف مجالاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والعلمية، ومداخل المعاجم بمثابة " رزمة مفاتيح تسمح للمستعمل بفهم ما يوجد في الكون وفي مجتمع ما من خلال المفردات والمصطلحات والعبارات والأمثال المتداولة فيه"[1]، وكذلك المعجم المدرسي الذي له أهمية قصوى تبرز في تهيئة التلميذ لغويا وتطوير مهاراته، فيكون بذلك قادرا على فهم معاني الكلمات الصعبة التي اكتشفها في النصوص الأدبية، بل ويساعده على الوقوف على معاني وشرح الكلمات والمفردات والمأثورات بشكل سهل في جميع مواده الدراسية، كما يثري هذا المعجم رصيده اللغوي والمعرفي، فيتمكن التلميذ من معرفة أسماء الأماكن، وتحديد التواريخ الهجرية والميلادية ومعرفة الأعلام، وغيرها من المعارف، ومنه تتحقق الكفاية اللغوية وكذا المعرفية للتلميذ.

وقد ظهر في عصرنا المعجم المدرسي بعناوين شتى، من مثل: القاموس الجديد للطلاب، القاموس المدرسي، الوجيز، المعجم الألفبائي، المعجم الوسيط، المنهل، المعجم الممتاز، معجم الغني...وغيرها. هذه المعاجم التي سعت إلى مساعدة التلميذ لتهيئته لغويا ليكون مستعملا لتلك المفردات في تعابيره، فيستطيع ترجمة ما في الذهن من مدلولات خاصة ما يحيط به في واقعه اليومي.

---

[1] الطّاهر ميلة، مواصفات المعجم المدرسيّ المعاصر، ص 13

وهنا تظهر إشكالية الثنائية اللغوية (الدارجة والفصحى)، ولعل الحل الأنسب لهذه الاشكالية التقريب بينهما وتضييق الهوة بينهما وليس معنى ذلك تغليب الدارجة وإنما تقريب الفصحى للتلميذ وتبسيطها مما يساعد على تأديب العاميات والارتقاء بها.فالمعجم المدرسي كتاب مدرسي تربوي تطبيقي، جامع للمفردات قديمها وجديدها، مناسب للمواد الدراسية في المدرسة، مساير للمستوى التعليمي.

خاتمة:

لتحقيق المعجم المدرسي المنشود في المنظومة التربوية، لا بد من تضافر كل الجهود سياسية كانت أو علمية(صنّاع القرار والمختصون)، والعمل على تجسيد النظريات اللسانية وتطبيقها والأخذ برأي المختصين في المجال اللغوي وخاصة المعجمي لنشكل معجما جزائريا بل عربيا يفيد منة التلميذ ويساعده فعلا على امتلاك الملكة اللغوية والاسترسال في الحديث والقدرة على التعبير، بل ونتمكن من تكوين جيل محافظ على لغته وقادر عتى مسايرة مستجدات ومبتكرات عصره بمصطلحات أحسن صياغتها وأدت معناها. فكما ذكر أحد الباحثين: إنّ البحث التربوي والاهتمام بالبشر هو أسّ عملية التنمية البشرية، فلا تقدّم ولا حضارة دون الاهتمام بالتربية والتعليم، ولا تتحقق الجودة إلاّ بتوفير الأمن اللغوي.

مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في الجزائر .

طالب دكتوراه عبد الكريم رقيعة.
جامعة الدكتور الطاهر مولاي *سعيدة*.

ملخص:

إنَّ ظاهرة التعدد اللغوي لا تكاد تخلوا منها أية دولة أو مجتمع، فمنها ما أثرت عليه هذه الظاهرة بالسلب وكانت معيار من معايير التخلف، ومنهم من اتخذها مطية للتعبير عن احترام الشعوب ولغاتها، وانفتاحا عن الثقافات التي تحملها هذه اللغات، فكان استغلال هذه التعددية اللغوية والاهتمام باللغات الدخيلة جزء من حضارتها وتقدمها، وقد اتخذت هذه الظاهرة في الوسط الجزائري شكلين: أحدهما ما يطلق عليه الثنائية اللغوية والآخر يسمى بالازدواجية اللغوية، وقد كان لكل منهما حضورا واسعا في وسطنا اللغوي الجزائري، وقد خلفت هذه التعددية أثرا عظميا على العملية التواصلية داخل المجتمع الجزائري ووسطه التعليمي.

:Résumé

le phénomène de multilinguisme à peine abandonné par n'importe quel État ou société internantional l'ait affecté. Ce phénomène a soit causé le sous-développement; soit a été pris comme une réclamation pour exprimer le respect des peuples, des langues et des cultures différentes qui ont encouru ces langues. L'exploitation de ce pluralisme linguistique et culturel d'entre ceux le pluralisme linguistique fait partie de sa civilisation et de son avancement. Ce phénomène, dans le Centre algérien, a pris deux formes : le premier est un plurilinguisme indivuduel et le second est sociale (diglossie/bilinguisme). La présence des deux dans notre milieu a influencé sur la communication dans le milieu éducatif communautaire algérie.

مقدمة:

عرفت الجزائر منذ القديم حراكا سياسيا واقتصاديا، أكسبها إيَّاه موقعها الجغرافي المتميز، لذلك كانت محل أطماع الغزاة من رومان وإسبان، وهذا أكسب الجزائر طبقات اجتماعية متنوعة إضافة إلى سكانها الأصليين (الأمازيغ)، وفي القرن السابع الميلادي، شهدت الجزائر حراكا دينيا، قدم به العرب الفاتحين حاملين معهم لغتهم العربية التي كانت وقتئذ من أهم اللغات، فعكف الجزائريون على هذا الدين يتفقهون فيه ويتعلمون لغته، فبرز علماء في الدين واللغة العربية من أصل أمازيغي يضاهون جهابذة العرب، وانتقلت العربية إلى الوسط الجزائري بطريقة سلمية وبرغبة ملحة من الشعب الجزائري، على عكس القرن الماضي الذي كان شاهدا على الاستدمار الفرنسي 1830/ 1962، الذي فرض لغته على الشعب الجزائري، رغبة منه في تدمير هويته وانتمائه، واستبداله بشعب فرنسي لغة وهوية وثقافة، هذه العوامل وغيرها خلقت ما يسمى بظاهرة التعدد اللغوي منها ما هو لأسباب تعسفية ومنها ما هو لأسباب اقتصادية وعلمية.

من هنا، ما مفهوم التعدد اللغوي؟ وماهي الأسباب التي أدَّت إلى ظهوره؟ وماهي مظاهره؟ وكيف انعكست على الواقع اللغوي في الجزائر؟

أولا/ التعدد اللغوي مفهومه وأسبابه:

1-مفهوم التعدد اللغوي:

لعل لفظ تعدد يفضي مفهومه إلى استعمال أكثر من لغة داخل دولة أو مجتمع أو فرد، فقد عرفه جون ديبوا في كتابه -قاموس اللسانيات- بقوله: "التعدد اللغوي عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد، أو عند فرد واحد ليستخدمها في مختلف أنواع التواصل، والمثال المشهور هو دولة سويسرا حيث

الفرنسية والإيطالية والألمانية هي لغات رسمية بها"[1]؛ فنقول عن دولة أو مجتمع أو فرد أنّه متعدد اللغات إذا كانت لديه القدرة على التواصل بأكثر من لغة، وهذه الخصيصة لا تكاد تخلو منها أي دولة أو مجتمع في العصر الحاضر أو حتى في العصور السابقة، أفضل مثال يمكن أن ندرجه في هذا المضمار ما تمثله كندا حيث تقر دستوريا باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسويسرا التي تعتبر الفرنسية والإيطالية والألمانية لغات رسمية بها، من هنا فالتعدد اللغوي يصنف إلى نوعين: النوع الأول هو التعدد اللغوي الاجتماعي، والنوع الثاني هو التعدد اللغوي الرسمي:

أ- التعدد اللغوي الاجتماعي:

وهذا التعدد نجده متفشيًا في مختلف طبقات المجتمع دون ما إقرار من جانب الحكومة، ويكتسبه المجتمع نتيجة احتكاكه مع شعوب أخرى مختلفة عنه في اللغة، أو نتيجة الهجرات، أو الاستعمار أو غيرها من العوامل الأخرى.

ب-التعدد اللغوي الرسمي:

وهو ذلك التعدد الذي تقره الدولة رسميا في دستورها كما أشرنا سابقا إلى كندا وسويسرا حيث تقر بالتعدد اللغوي في تعاملاتها الإدارية ووثائقها الرسمية.

لكن عند النظر إلى الواقع اللغوي الجزائر، تتراءى لنا التعددية اللغوية بصفة جلية، سواء على مستوى المجتمع أم المستوى الرسمي دون أي إقرار

[1] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد(30) 2014م، ص103.

دستوري، فالجزائر تعلم في مدارسها اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية، وفي بعض المناطق الأمازيغية والألمانية والإسبانية وغيرها....

2-أسباب التعدد اللغوي:

لم يتواجد التعدد اللغوي في الدول و المجتمعات صدفة وإنَّما هناك مجموعة من الأسباب أدَّت إلى ظهوره، وهذه الأسباب لا تكاد تختلف من دولة إلى أخرى وخاصة عالمنا العربي الذي مرَّ بنفس الظروف تقريبا، وقد تعددت هذه الأسباب ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ-الغزو العسكري والاحتلال:

إن من أسباب تواجد ظاهرة التعدد اللغوي في العالم العربي عامة والجزائر خاصة، ما تعرضت له البلدان العربية من احتلال عسكري في القرن الماضي، وكما هو معلوم فإنَّ الجزائر قد تعرضت للاحتلال الفرنسي (من1830إلى1962)، خلال هذه الفترة عملت فرنسا على محو اللغة الرسمية للبلاد (اللغة العربية)، جاهدة في فرض لغتها الفرنسية على الشعب الجزائري، طامحة في تحقيق أهدافها التي رسمتها ومن أهمها فرنسة الشعب الجزائري، والمدة غير القصيرة التي قضتها فرنسا في الجزائر جعلت الجزائريين يتعاملون مع هذا المحتل يتعلمون في مدارسه ويعملون لديه "نتج عن هذه المعاملات احتكاك لغوي أدَّى إلى ظهور ثنائية لغوية"[1]

ب-الهجرة الجماعية:

أغلب بلدان العالم معرضة للهجرة من قبل سكانها، كل له ظروف دفعته لهذه الهجرة، منهم من رحل بحثا عن ظروف اقتصادية أفضل وعمل أحسن

[1] العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايدة محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة 1422هـ، (مارس 2002م)، ص78

وخاصة بلاد العالم الثالث التي عانت الويلات من الدول المستعمرة، مثل ما حدث مع الجزائر بعد الاستقلال وأثناء الاحتلال، حيث الظروف القاسية من جوع وفقر وأمراض دفعت الكثير من فئات الشعب الجزائري للهجرة نحو الدول الأوروبية المتحضرة والمتطورة اقتصاديا وتكنولوجيا وعلميا، خاصة فرنسا وقد يهاجر أبناء الشعب نتيجة لمهنة التجارة التي تفرض عليهم التعامل مع الدول الأخرى، كل ما قلناه يؤدي إلى الهجرة الجماعية من الشعوب وهذه الهجرة تخلق وسطا يحتك فيه النازحون مع أبناء الشعوب الأصلية "وهذا بدوره يؤدي إلى احتكاك لغوي _ينتج عنه فيما ينتج_ ظاهرة الثنائية اللغوية أو(التعدد اللغوي)"[1]

ج-تربوية وتعليمية:

من أبرز العوامل والأسباب المسؤولة عن تفشي ظاهرة التعدد اللغوي الأسباب التربوية والتعليمية، فلو عدنا مثلا إلى التعليم في المدارس الجزائرية وجدنا الكثير من المواد العلمية تستعمل مصطلحات أجنبية مثل الرياضيات والفيزياء والعلوم، بالإضافة إلى المعاهد العلمية والتقنية في الجامعات الجزائرية[2]، ولا يخص هذا الوضع الجزائر فقط بل الكثير من البلدان العربية تدرس التخصصات العلمية بلغاتها الأصلية لافتقادها التعريب، وهذا الوضع يخلق لدى المتعلمين خطابًا عربيًا مشوبا بمصطلحات أجنبية ولهجية.

د-ذاتية نفسية:

الكثير من أفراد المجتمع يميلون إلى النزوح لاستعمال اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية، في تواصلهم اليومي أو يراوحون بين اللغة العربية

[1] العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايدة محمود، ص77.

[2] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص113

والفرنسية، لفقدانهم الثقة باللغة الأم لأنّها لغة كلاسيكية لا يضم حقلها إلاّ التخلف والجهل في نظرهم لكن تختلف نظرتهم إلى لغات الغرب المتحضر فعند استعمالهم لهذه اللغات "فإنّهم يشعرون بالاعتزاز ، لأنّها من الغرب القوي والتحضر والتفوق"[1]، ولا يمكن الاستهانة بهذا السبب لأنّه من أهم الأسباب في واقعنا اللغوي الجزائري لأنَّ فقدان الثقة بالذات والرغبة في تقليد الغرب في كل شيء حتى في لغته أصبح محل التنافس خاصة على مستوى فئة الشباب.

لقد ذكرنا بعض الأسباب التي أدَّت بصفة مباشرة أو غير مباشرة لبروز ظاهرة التعدد اللغوي في الجزائر، بالإضافة إلى هذه الأسباب هناك أسباب دينية، فاللغة كما هو معلوم حاوية للدين، فإذا اعتنق أي إنسان ديانة ما فإنه سيتعلم هذا الدين بلغته التي نزل بها ومن ثم سيتعلم لغته، كذلك الحس القومي بالنسبة للأقليات التي انحلت في شعوب أخرى، فإنَّ هذا الحس القومي سيضل يذكي هذه الأقليات ودافعهم لتعلم لغة أجدادهم كالأمازيغية في الجزائر والمغرب.

ثانيا)ـ مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر:

إذا أمعنا النظر في الواقع اللغوي الجزائري وفي قضية التعدد اللغوي، اتضح لنا مظهران أو شكلان اتخذهما هذا التعدد: الأول ما يسمى بالازدواج اللغوي، والثاني يسمى بالثنائية اللغوية، وقد وقع هذان المصطلحان في إشكالية اللبس والغموض، فالباحث في كتب العلماء ومقالاتهم في هذا المضمار سيتجلى له هذا الاختلاف، ويرجع العالم اللغوي الفرنسي أندريه مارتينيه هذه الضبابية في المصطلحين لأنَّ هذه الظواهر غير

[1] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص 112.

واضحة المعالم عند علماء اللغة أنفسهم، لأنَّها ظواهر لا تهم اللغويين وحدهم، بل يهتم بها كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم وتوجهاتهم[1]، ونحن هنا في صدد عن التأصيل للمصطلحين وفي توضيحنا لهذا الخلاف نخرج عن دائرة تَخْطِأَة من اتخذ غير ما اتجهنا إليه ولا يخطئنا غيرنا في استعمالنا للمصطلحين، ونحن في اتجاهنا نتبع خطى الدكتور عبد الرحمن حاج صالح بالنسبة لتحديده لهذينن المصطلحين وتوصيف الوضع اللغوي في الجزائر فيرى أنَّ الثنائية اللغوية هي العلاقة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، أمّا الازدواجية اللغوية فهي العلاقة بين اللغة العربية ولهجاتها[2].

وسنعرض فيما يأتي مفهومي المصطلحين ومدى حضورهما في الواقع اللغوي الجزائري:

1-الازدواج اللغوي:

يتمحور مصطلح الازدواجية اللغوية في مفهومه العام حول الواقع اللغوي للدولة أو المجتمع أو الفرد الذي يستعمل لغة رئيسية مع تفرعاتها اللهجية، ولم يظهر مصطلح الازدواج اللغوي (diglossie) إلاّ في سنة 1959م، حيث أشار إليه اللساني الأمريكي شارل فيرغسون (charles ferguson) في بحث نشره بمجلة "اللغة" الأمريكية حيث يقول: "الازدواجية اللغوية وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة (التي قد تشتمل على لهجة واحدة أو لهجات إقليمية متعددة) لغة تختلف عنها وهي مقننة بشكل متقن (إذ غالبا ما تكون قواعدها أكثر تعقيدا من قواعد اللهجات)، وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن

[1] العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية: إبراهيم كايد محمود، ص56

[2] العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية: إبراهيم كايد محمود، ص 56.

أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق أم إلى جماعة حضارية أخرى، ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية، ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية"[1]، من هنا نلحظ أنَّ الازدواج اللغوي هو تلك التنوعات المختلفة أو استعمالات للغة في الحياة اليومية المنبثقة عن اللغة الفصيحة المستعملة في الأدبيات الرسمية أو في تعاملات الدولة، فمن الطبيعي أن تكون لكل لغة في هذا العالم مستويان أو أكثر في أي مكان أو زمان تواجدت فيه، وقد عبر محمد الشيباني عن مفهوم هذا المصطلح بعبارة مختصرة واضحة الملامح فيقول في خضم كلامه عن الازدواجية اللغوية: "يقصد بها _أي الازدواجية_ تواجد نظامين أو نوعين لغويين مختلفين في مجتمع ما تجمع بينهما أواصر قرابة أو علاقة نسب"[2]، فالناظر إلى الواقع اللغوي الجزائري تتراءى أمام ناظريه هذه الظاهرة، فبالإضافة إلى لغتنا العربية الفصحى الرسمية والمستعملة في التعليم والإدارة، نجد كذلك لهجاتنا الموزعة من السواحل الجزائرية شرقا وغربا إلى هضابها وسطا ثم إلى أعماق صحرائها جنوبا عبر 48 ولاية ولا نبالغ إذا قلنا أنَّ لكل ولاية لهجة خاصة بها، ومن هنا فاللغة العربية مع لهجاتها العامية تمثل ظاهرة الازدواجية اللغوية في الجزائر.

[1] واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، أ- عبد الحميد بوترعة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد08/ سبتمبر2014م، ص214.

[2] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص107

2-الثنائية اللغوية:

أمَّا المظهر الثاني للتعدد اللغوي يندرج تحت مسمى الثنائية اللغوية، وهذا المصطلح لم يسلم من الغموض والتناقضات التي وقع فيها العلماء، فمنهم من يطلق عليها الازدواجية، ويطلق على الازدواجية الثنائية، ونحن اتبعنا كما قلنا رأي الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، وعرفنا الازدواجية كما اقترح هو مفهومها، وكذلك الثنائية سنضع مفهومها على منوال رؤاه، ولكن الإشارة إلى الاختلاف لابد منه.

فقد عرفها محمد الشيباني بقوله: "هي وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين لغويين مختلفين"[1]؛ فمن خلال تعريف الشيباني يتضح لنا أن الثنائية تطلق على الدولة أو المجتمع أو الفرد الذي لديه القدرة على التواصل بنظامين لغويين ليست بينهما صلة قرابة، وقد عرفها محمد الخولي بدقة أكثر حينما قال: "الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإتقان، ولأي مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"[2]؛ فلغة أي دولة تكون ثنائية مع أي لغة أو لغات أخرى تختلف عنها نظاما وأصواتا وإفرادا وتركيبا، ففي الواقع اللغوي الجزائري نجده متمثلا في اللغة العربية التي تكون ثنائية مع الفرنسية والأمازيغية.

من هنا فالتعدد اللغوي في الجزائر يظهر من خلال قضيتين، القضية الأولى ما تشكله اللغة العربية مع لهجاتها ويطلق عليه علماء اللغة مصطلح

---

[1] التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، عبد العزيز بالفقير، (صحيفة الحوار اليوم)، الثلاثاء 16/ 07/ 2013.

[2] التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، عبد العزيز بالفقير، (صحيفة الحوار اليوم)، الثلاثاء 16/ 07/ 2013.

الازدواجية اللغوية، والقضية الثانية هي ما تمثله اللغة العربية مع اللغات التي تعايشت معها لسبب من الأسباب، كاللغة الأمازيغية التي تآخت مع اللغة العربية منذ الفتح الإسلامي إلى زمننا الحاضر، واللغة الفرنسية التي فرضت على اللغة العربية منذ احتلال فرنسا للجزائر، فشكلت معها ثنائية في الواقع اللغوي المعيش، وليست الجزائر وحدها معنية بهاتين الظاهرتين بل لا يكاد يخلو منها بلد في العالم.

ثالثا)-انعكاسات التعدد اللغوي في الواقع الجزائري:

لابد من الوقوف بتمعن أمام هذه الظاهرة اللغوية ألا وهي ظاهرة التعدد اللغوي، ونحكم عليها من خلال ما نراه في المجتمع الجزائري، لأنَّ التعدد اللغوي في البلدان المتحضرة يعتبر جزءًا من الحضارة، ومبدأ عظيمًا لقبول الآخر واحترام لغته، أمَّا في الجزائر فالأمر عكس ذلك فقد خلف آثارًا سلبية، وعجزا عن التواصل بين مختلف مناطق الوطن الواحد، ولعل أبرز هذه المخلفات تتجلى في:

1-الصراع اللغوي:

لقد خلف التعدد اللغوي في الوسط الجزائري صراعا قويا وحادا بين اللغة العربية الرسمية واللغة الفرنسية من جهة، وبين اللغة العربية واللهجات العامية من جهة أخرى، ففي العصر الحاضر "نجد أنَّ اللغة العربية تواجه صراعا لغويا في الأقطار العربية مع عدَّة لغات أجنبية؛ كما يحصل لها في المغرب العربي مع اللغة الفرنسية، وفي دول الخليج العربي مع اللغة الإنجليزية، أمَّا الحالة الثانية فيمكن تعميمها وبدون استثناء على جميع الدول

العربية التي يحدث فيها صراعا لغويا بين العامية والفصحى"[1]، وهذا الصراع المرير الذي تعانيه اللغة العربية مع الفرنسية من جهة ومع اللهجات العامية من جهة أخرى، وبعد انجلاء الغبار تراءت لنا هزيمة اللغة العربية البينة، فإذا ما لاحظنا الخطاب الاجتماعي سنجد العربية الفصحى غائبة عن الوجود وأصبح الاهتمام بها ضعيفا، لا يرقى إلى اعتبارها لغة رسمية تعبر عن وحدة هذه الأمة واعتزازها بعروبتها في حين نرى أنَّ العظمة التي كان العرب القدماء يحفون بها اللغة العربية، قد انتقلت في عصرنا الحديث إلى اللغات الأجنبية "فقد ضعف الاعتزاز باللغة العربية وأصبحوا يميلون للغات الأجنبية كلغة حضارة، وتلاشت الهوية لأنَّ العربية بالنسبة لنا لغة موحدة للأمَّة العربية ولغة الدين والشخصية العربية بما تحمله من قيم روحية واجتماعية"[2].

فالصراع اللغوي في واقعنا الجزائري سحب اللغة العربية إلى القاع، مكونا خليطا غير متجانس من العاميات، وهجين اللغات الأجنبية جاعلا منها لغة للتواصل.

2-التداخل اللغوي:

لقد خلق التعدد اللغوي في الجزائر وفي غيره من بلدن العالم العربي تداخلا لغويا، وقد سرى هذا التداخل إلى جميع المستويات التحليلية للغة العربية؛ صوتيا وإفراديا ونحويا ودلاليا ومعجميا.

---

[1] الصراع اللغوي، إبراهيم بن علي الدبيان، (بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث- التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي)، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية -كلية دار العلوم- جامعة القاهرة-16-17/ 01/ 1427هـ، ص05.

[2] مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، ص117.

أ-المستوى الصوتي:

فعندما نلقي نظرة على الخطاب التواصلي في الجزائر، نجد كثيرا من الأصوات موجودة في الكلمة التي تبدو عربية ولكن لا تنتمي إلى اللغة العربية مثل حرف "ڤ" الذي يكون في أغلب الأحيان بديلا لحرف "ق" فنقول: **ڤال** بدلا من قال، وحرف "ڤ" ليس من حروف اللغة العربية وإنما هو دخيل أدمج في الكلام العربي، وليس هذا الحرف فقط بل هنا الكثير من الأصوات ولكن ضيق المقام يجعلنا نختصر ذلك.

ب-المستوى المعجمي:

أمَّا على المستوى المعجمي فقد دخلت الكثير من الألفاظ إلى الوسط اللغوي الجزائري منها ما هو عامي ومنها ما هو أجنبي مثل كلمات من ناحية: تراموای، فيسبوك، كويزينة، المونديال، صالة، كونترول، كور، تيدي، سونطراك، أرشيف، بالو، ميكرو، تيليفون، أبيز، بيتزيريا[1]....وغيرها من الألفاظ.

ج-المستوى الإفرادي:

أمَّا على المستوى الإفرادي، فقد ظهرت الكثير من الألفاظ الأجنبية التي تجمع على صيغ اللغة العربية، مثل جمع كلمات نحو: تيليفونات، ميكروات، أبيزات، فقد جمعت جمع تكسير، واتخذت مجرى الألفاظ العربية دون احترام للقاعدة.

د-المستوى التركيبي:

وتركيبيا فقد ظهرت أنماط جديدة في اللغة العربية نحو: ممنوع التدخين، فهذه الصيغة بالتحديد أصبحت تلاحقنا في كل مكان مع الخطأ الشنيع الذي

[1] ينظر: واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، أ- عبد الحميد بوترعة، ص205-206-207-208.

تحمله، فنراهم قدموا الخبر على المبتدأ في حالة وجوب تقديم المبتدأ على الخبر، فيكون الصحيح التدخين ممنوع، فأخذنا النمط الفرنسي للجملة مع استعمال حروف عربية.

ه-المستوى الدلالي:

ودلاليا فقد خلق هذا التعدد الكثير من اللبس الـدلالي، حتـى أصـبح في الجزائر عسرًا كبير في التواصل من مكان إلى آخر " فإذا غادر أمـي مـن أسـرة ريفية قريته ليستقر بإحـدى القـرى في الجنـوب مـثلا: سـيكون مـن الناحيـة نية بمثابة المهاجر عن وطنه إذ سيحتاج لفك العزلة اللسانية

د-التشتت اللغوي في الواقع الجزائري:

فالتعدد اللغوي أصبح يحدث ارتباكا على مستوى التعبير عوضا أن يكون عامل إثراء وسلامة، والنتيجة أن أصبحت الغالبية الساحقة من الجزائريين بمن فيهم المتعلمين لا يتحكمون في أية لغة من اللغات، فالمعرَّب لا يتقن العربية بالشكل المطلوب، والموصوف بالمفرنس لا يجيد الفرنسية على وجهها الصحيح، والنتيجة أن اختلطت هاتان اللغتان باللهجة العامية وبقية اللهجات الأمازيغية، وعليه فالمحصلة النهائية أن لا لغة للجزائريين، لغات متعدد في خطاب واحد وسوء فهم ظاهر للعيان في جميع أقطار الجزائر[1].

وتسببت هذه الظاهرة في القضاء تدريجيا على اللغة العربية سواء في الموقف التواصلي الاجتماعي أم في الوسط التعليمي، مما أدَّى إلى تنوع الخطابات التعليمية من منطقة إلى أخرى، أدَّى إلى صعوبة تواصل الأساتذة الذين يدرسون في غير مناطقهم الأصلية.

[1] ينظر: نفسه، ص116.

خاتمة:

مما قدمنا اتضح لنا أن التعدد اللغوي في واقعنا الجزائري اتخذ مظهرين؛ الأول ما يسمى بالثنائية اللغوية وهو ما تكونه اللغة العربية الفصحى مع اللغات الأجنبية الأخرى كالفرنسية والإنجليزية، والآخر عرف بمصطلح الازدواجية اللغوية وهو ما تمثله اللغة الرسمية العالية مع لهجاتها العامية الملحونة، وقد خلف هذان المظهران آثارا سلبية، سواء من ناحية تعثر عملية التواصل بصفة عامة بين أفراد الشعب وخاصة بين شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها، وتعثره بصفة خاصة أثناء العملية التعليمية؛ في حالة إذا ما درَّس الأستاذ خارج بيئته التي تربى فيها، أم في حالة انتقال التلميذ للدراسة في منطقة غير منطقته في سن الصغر خاصة، وقد خلقت هذه التعددية قاموس لغوي هجين من لغات رسمية متعددة إضافة إلى اللغة العربية، ولهجات عامية منتشرة عبر مناطق الوطن المختلفة.

وهذه التعددية أصحبت ظاهرة للجميع سواء عند الباحثين أم السياسيين أم حتى عند أفراد المجتمع عامة، ومخلفاتها أصبحت تحدث قلقا في الوسط التواصلي، لذا على المسؤولين في هذا المجال تعديل هذه الظاهرة من السلب إلى الإيجاب والسير على طريقة الدول المتقدمة، ولعل النموذج الكندي خير دليل لاستغلال هذه الظاهرة وجعلها معبرة عن التحضر والحداثة والانفتاح عن الآخر.

المراجع:

1-التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، عبد العزيز بالفقير، (صحيفة الحوار اليوم)، الثلاثاء 16/ 07/ 2013.

2-الصراع اللغوي، إبراهيم بن علي الدبيان، (بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث- التعليم باللغات الأجنبية في العالم العربي)، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية –كلية دار العلوم- جامعة القاهرة-16-17/ 01/ 1427هـ.

3-العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايدة محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية)، المجلد الثالث، العدد الأول، ذو الحجة 1422هـ، (مارس 2002م).

4-مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، أ-باديس لهويمل وأ-نور الهدى حسني، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد(30) 2014م.

5-واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية، أ- عبد الحميد بوترعة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد08/ سبتمبر2014م.

جمالية اللغة في القصيدة العربية

قصيدة الطالب بخيرة الحسين بعنوان:
« بِيَدِ الأَمَاجِدِ تُصْنَعُ الأَمْجَادُ »

أَرْضُ الجَزَائِـــــــرِ أَرْضُ العِـــــــزِّ وَ القِـــــــيَمِ
مِـــــنَ الفَضَـــــائِلِ حَـــــازَتْ أَكْـــــرَمَ الشِّـــــيَمِ
حَـــــيٌّ المَنَـــــازِلَ حَـــــيٌّ كُـــــلَّ قَاطِنِهَـــــا
حَـــــيٌّ الشَّـــــمَالَ وَحَـــــيٌّ الغَـــــرْبَ مِـــــنْ خِـــــيَمِ
حَـــــيٌّ الجَنُـــــوبَ وَحَـــــيٌّ الرَّسْـــــمَ وَالـــــدِّمَنَا
حَـــــيٌّ المَحَافِـــــلَ حَـــــيٌّ الشَّـــــرْقَ ذَا القِمَـــــمِ
لَـــــوْ كُنْـــــتُ فِـــــي يَمَـــــنٍ وَالأَرْضُ نَائِيَـــــةٌ
أَوْ كُنْـــــتُ فِـــــي إِضَـــــمٍ أَوْ دَوْلَـــــةِ العَجَـــــمِ
هِـــــيَ المُقَـــــامُ وَلاَ أَبْغِـــــي بِهَـــــا بَـــــدَلاَ
هِـــــيَ الجَزَائِـــــرُ نَفْسِـــــي لَحْمُهَـــــا بِـــــدَمِي
أَبْكِـــــي الجُـــــدُودَ وَأَبْكِـــــي كُـــــلَّ غَانِيَـــــةٍ
وَالنَّـــــاسُ تَبْكِـــــي عَلَـــــى الأَحْبَـــــابِ مِـــــنْ قِـــــدَمِ
هِـــــيَ الصَّـــــبَابَةُ أَضْـــــحَى فِـــــي جَوَانِحِهَـــــا
حِمَـــــامُ قَافِيـــــةٍ وَنَبْـــــوَةُ الخُـــــذُمِ
لَـــــوْلاَ الحَكِـــــيمُ إِلَـــــهُ الكَـــــوْنِ رَازِقُنَـــــا
عَـــــمَّ البَرِيَّـــــةَ بِالإِحْسَـــــانِ وَالـــــنِّعَمِ

ثُـــمَّ بَوَاسِـــلُ مِـــنْ أَهْـــلِ الجَزَائِـــرِ مَـــا
رَامَ المَفَـــاخِرَ هَـــذَا الجِيـــلُ ذَا الصَّـــمَمِ
فَـــاحْفَظْ يَـــا صَـــاح إِذَا حُـــدِّثْتَ عَـــن
ْ زَمَنٍ فِيـــهِ المَعَـــالِي وَفِيـــهِ المَجْـــدُ كَـــالرَّخَمِ
فِـــي الجَـــوِّ سَـــامِقَةٌ وَالقُبْـــلُ مَسْـــكَنُهَا
وَالوَصْـــفُ فِيهَـــا سَـــمَا بِصَـــادِقِ الكَلِـــمِ
هُـــمُ الرِّجَـــالُ إِذَا العَـــوَالِي قَـــدْ رُمِيَـــتْ
الغَـــرْبُ يَعْـــرِفُهُمْ بِالجَلْـــدِ وَالهِمَـــمِ
هُـــمُ المَصَـــاقِعُ نَـــالُوا مِـــنْ عَـــدُوِّهِمُ
بِلاَمِـــعِ الشِّـــعْرِ وَالأَفْكَـــارِ وَالقَلَـــمِ
هُـــمُ الأَمَاجِـــدُ حَـــازُوا يَـــوْمَ مَلْحَمَـــةٍ
سُـــطُورَ خُلْـــدٍ حَمَاهَـــا اللهُ مِـــنْ قِـــدَمِ
هُـــمُ الفَـــوَارِسُ تَحْكِـــي خَـــيْلُهُمْ قِصَصًـــا
تُـــرْوَى لِكُـــلِّ أَبِـــيٍّ قَـــامَ مِـــنْ عَـــدَمِ
هُـــمُ الشَّـــوَاهِدُ حَـــدِّثْ عَـــنْ مَـــآثِرِهِمْ
لَـــمْ تَمْحِهِـــمْ فِـــتَنٌ فِـــي الأَرْسُـــمِ الرُّسُـــمِ
عَلَـــى الحَـــرِيمِ أَدَاقُـــوا الكُفْرَمَنْقَصَـــةً
تَسَـــرْبَلَ الكُفْـــرُ مِنْهَـــا وَصْـــمَةَ القُحَـــمِ
إِنَّ المَـــآزِمَ تَبْكِـــي مِـــنْ فِـــرَاقِهِمُ
بَـــلِ الشَّـــوَامِخَ تُبْـــدِي حَسْـــرَةَ النَّـــدَمِ
وَ هَـــاكَ بَعْضَـــهُمُ مِمَّـــنْ قَـــد اشْـــتَهَرَا
فَـــالنَّشْءُ يَـــذْكُرُهُمْ بِالفَضْـــلِ وَالشِّـــيَمِ

عَبْـــــــدُ الحَمِيـــــــدِ حَبَـــــــاهُ اللهُ مَنْقَبَـــــــةً
مِـــــنَ المَنَاقِـــــبِ لَـــــمْ تُعْـــــطَ لِـــــذِي أُطُـــــمِ
بِصَـــــــارِمِ العِلْـــــــمِ وَالأَخْـــــــيَاخُ تَنْظُـــــــرُهُ
حَتَّـــــى سَـــــمَا وَسُـــــمَاةُ الجَهْـــــلِ كَـــــالحِكَمِ
ثُـــــمَّ البَشِـــــيرُ بَشِـــــيرُ الخَيْـــــرِ فِـــــي الكُـــــرَبِ
لِـــــدَفْعِ ثَوْرَتِنَـــــا قَـــــدْ ضَـــــجَّ فِـــــي الهِمَـــــمِ
وَ جَبْهَـــــــةٌ نَهَضَـــــــتْ بِثَـــــــوْرَةٍ شَـــــــغَفَتْ
حُـــــرًّا لِتَضْـــــحِيَةٍ تَقْضِـــــي عَلَـــــى الشَّـــــمَمِ
زِيغُـــــودُ ذَاكَ النَّهِيـــــكُ البَاسِـــــلُ البَطَـــــلُ
سَـــــمَيْدَعُ الشُّـــــهَدَا بِفَيْلَـــــقِ الـــــبُهَمِ
أَمَّـــــا المَهِيـــــدِي فَقَـــــالَ عَنْـــــهُ رَائِـــــدُهُمْ
لَـــــوْ كَـــــانَ لِـــــي مِثْلُـــــهُ حَكَمْـــــتُ فِـــــي الأُمَـــــمِ
أَمَّـــــا النِّسَـــــاءُ فَقَـــــدْ رَكِبْنَهَـــــا قُـــــدُمًا
مَـــــا هَـــــالَهُنَّ عَزِيـــــزُ المَـــــالِ وَالحَشَـــــمِ
هُـــــنَّ الحَرَائِـــــرُ إِنْ أَوْدَى بِنَـــــا عَطَـــــبٌ
هَبُّـــــوا لِنُصْـــــرَتِنَا وَالخَطْـــــبُ لَـــــمْ يَـــــدُمِ
هُـــــنَّ اللَّـــــوَاتِي إِذَا رَامَ الخَنَـــــا أَشِـــــر
حَمَـــــتْ مَقَاتِلَهَـــــا بِعِفَّـــــةِ الحُـــــرَمِ
وَ قَـــــدْ ذَكَـــــرْتُ مِـــــنَ الأَعْـــــلاَمِ بَعْضَـــــهُمُ
لِضِـــــيقِ قَافِيـــــةٍ خُـــــذْهَا وَلاَ تَلُـــــمِ
لِلْمَـــــائِقِينَ سَـــــبِيلٌ هَـــــالَنِي جَزَعًـــــا
تَجَرَّعُـــــوا غُصَصًـــــا بِالخَسْـــــفِ وَالـــــوَخَمِ

مَـــا شَـــانَ بَـــدْرَ الـــدُّجَى عُـــوَاءُ قَـــاعِبِهِمْ
إِذَا اللَّيَـــالِي دَجَـــتْ فِـــي حِنْـــدِسِ الظُّلَـــمِ
إِنَّ الرَّوَاسِـــي إِذَا مَـــا شَـــائَهَا شَـــرِسٌ
قَالَـــتْ بِفِيهَـــا حَـــذَارِ إِنْ تَـــوَى أَلَمِـــي
هُـــوجُ الزَّعَـــازِع تَرْمِـــي مَـــنْ لَهَـــا عَرَضَـــا
وَأَنْـــتَ تُوهِنُهَـــا فَخُـــذْ مِـــنَ الـــنِّقَمِ
وَ فِـــي الخِتَـــامِ أَقُـــولُ هَـــاكُمُ جُمَـــلاَ
مِـــنَ الوَصَـــايَا لَعَـــلَّ القَلْـــبَ لَـــمْ يَـــنَمِ
إِنَّ الجَزَائِـــرَ تَبْغِـــي مِـــنْ مَعَادِنِهَـــا
رِعَايَـــةَ الأُمِّ إِنْ شَـــابَتْ مِـــنَ الهَـــرَمِ

قصيدة الطالب عبد الهادي بوراس
بعنوان «أرقى عالم»

أرقى عالم يمكن العيش فيه بين دويلات الكتب
أفكار تجالسك وتطرق باب من بِهِمْ سُمِّيَّ الأدب
يحكون البليغ من الكلام وكيف كانت العرب
حروف تتراقص في ساحة دفتري والقلم موسيقار الطرب
يحدثني عن معلقات نصبت بمكة وكتبت بالذهب
عن بني عبد شمس وبني مناف وبني هاشم أشرف النسب
ومكارم النبي ونباهة عمر وبلاغة علي في الخطب
وعن قريش وأبي جهل وامرأته حمالة الحطب
عن آفاق الجاحظ وأبيات البشير وكيف قدس مفدي اللهب
وعن قيس وليلى وكثير عزة وكيف سما الحب بغير عتب
أيا ملهمتي إنِّي أحبك ولا تسألي ما السبب
حورية جليسة الثريا وشعر على أكتافها اهتدب
بدر في طلتها إن تبدت غارت من حولها كل الشهب
بان القمر في طلتها وزاغ كلما منها اقترب
ويا لهيب عواطفي ومهجة مخاوفي
إني شهيد وكفني دمقس مخملي ونعشي السحب
أعيش في منفى قلبها والموت على كفها أسمى الطلب
هي لغتي ولغة أجدادي فلم العجب؟

قصيدة الطالب أسامة سلطاني
بعنوان «لغتي وأفتخر»

إنْ قلتُ سأعيشُ بدونك فسأندَثِرْ
لن يعيقني الصَّمْتُ ولا الضَّجَرْ
فأنت سُكْنَايَ وأنت خَيْرُ مَقَر
والعلم دونك مات واندثر!
فابْقَيْ شامخةً إلى أنْ يفنى العُمُرْ

***

عاهدت نفسي أنْ أعيد لك عِزَّتَك
التي كانت في أهل نَجْدٍ ومُضَرْ
وأقول لِكُلِّ مُتَعَصِّبٍ لها أينَ المَفَر؟
كَفَاكَ شُمُوخًا بِنَفْسِكَ وَهَيًّا بحروفها نَصْطَبِرْ!

***

وأَقُولُ للعُرْبِ هَلُّمُوا لِنَزْدَهِرْ
وأقول لِلَّذِي قال هي رُوحِي وَمَرّْ
بالله عليك فحالك كَحَالِ الكَذَّابِ الأَشِرْ
دَعْكَ مِنْ كَلامٍ غَابِرٍ وَانْدَثِرْ
والتجئ إلى لغةٍ كَرَّمَهَا أَهْلُ العِلْمِ والخَبَرْ

***

كلامٌ أُنْزِلَ على جِبَالٍ ارْتَعَشَتْ مِنْهُ خَوْفًا وَبَعْضُهَا انْشَطَرْ
حرُوفُهُ مُنِيرَةٌ كَضَوْءِ القَمَرْ ....
مَعَانيهِ كَثِيرةٌ وعظيمةٌ ....
..... جَمَالَهَا فَاقَ الدُّرَرْ

***

مَزيجٌ من الاِسْتِعَارات والمحسنات
ما أغناه مِنْ صُوَرْ!
فَمَنْ تَخَلَّى عَنْهُ وَأَهْمَلَهُ
فَقَلْبُهُ قَاسٍ كَالحَجَرْ!
بَلْ هُوَ كَالمَيِّتِ الَّذِي يُحْتَضَرْ
وَمَنْ كَرَّمُهُ فَهَنِيئا لَهُ ....
فقد حافظَ على كَنْزٍ لا تُضَاهِيهِ كُنُوزُ العَالَمِ
..... وَمَا تَحْتَويهِ أَعْمَاقُ البَحْر!

تباريح جنائزية

كل مرة أسأل نفسي..هل أحب؟

وكل مرة...أخرج من عصف السؤال حرة....

لا أحب....

كل مرة...

أبصر عينيك تائهة

غائبة....

تبحث عن شئ تألفه

عن سؤال أحدب

لا يعرف أجوبة....

هل الحب معجزة....؟

أم كفر؟

هل تراه بحر

أم مطر....؟

و لسانك لا ينطق

يغيب و الأذن أيضا....

وأنا بالفكر راحلة

أضاليل...أضاليل

كل مرة...أحضن أمي قائلة:

هل ذنبي أني امرأة...أم قلبي وطن...

للحب و رائحة

للمطر...و رذاذ

الشجر...و الورد...والشمس

و قمرا...

للعالم إنسان...

هل ذنبي ..حب

أم كره...؟

عقل...و علم؟

كل مرة..آخذ أوراقي...أشتتها..أو

أوزعها..أو

أمزقها...أعيد كتابتها..

أو

أزرعها....

أو أدفنها...

كل مرة...

تدق فوق رأسي أجراس

كبقايا كنيسة قديمة..

تبحث عن رائحة....

عن طعم

أو أسطوانة ساكنة

أو أعماق كهف

الزور عليه الشمس

من نافذة...

أو عتبة...ترقص داخله...أعناق تنين صيني

أصفر...أو أخضر

أو احمر لا اعرف له لونا...

و بقايا حبر...تركت فوقه نملة

حبة قمح...

و حرف بسم....

و شظايا قنبلة ،وأشلاء طفل...

كل مرة...

أرى قبة خضراء في حلم...

و علم يهود

و ضحكة إبليس

وهتف صوت

يمنحني تراتيل قرآن....

كان لي بعض المرات حظ

أن أقرأ تعويذة العشق عن هذه الأرض....

ولكني كل مرة....بساقط فوق رأسي تمر

أو بلح...أو ملح...

أو دم....

لا أعرف له طعما....

كل مرة أكاد أجن...

يغيب عني الاسم

و العنوان...

والمهنة...و الطريق

لا أجد أحدا...أسأله....

هل العرب اتحدوا..أم ذهبوا....ندموا؟

أم عادت بلقيس...؟

هناك محاكمة..قاض و محام...ومتهم

و قد يعود نزار....

كل الأطفال

كل الطلبة و العمال...

كل الرؤساء شهود....

أمريكا تحاور و مصر...

دماي ترقص...

عقارب الساعة ترقص

و شارون يرقص....

و البترول يرقص.....

وآخر ساعات الليل ترقص أيضا....

الجميع في ساحة الرقص....

يناولني خنجرا....ونوتات

قيثارة اسبانية.....

الفلامنجو قصة قديمة

كقصة العرب...

و قصة زوار الفضاء...و الأطباق

كل مرة...

أحسبني طفلة....

أرسلوا العمر و أمنحه جدال السنين....

هل ذنبي أني امرأة....

أم ذنبي أني مشاكسة...

كأطفال الحجارة....

كان درويش يقول فلسطين

هذا الوطن المبتور من وطنه

ومن دمه...

وكنت و درويش في ساحة واحدة

تماما كساحة الرقص....أقول ما يقول

و يقول ما أقول...

ولكني طلقت نظارته...

ونبرة صوته...

وطلقت فلسطين حين تزوجها كل الشعراء...

كل اللطفاء...

الذين يغازلون فلسطين في ساحة خالدة....

كل مرة

أصعد هذه المنصة

ليبح صوتي..

ولا يسمعني ضمير

وحتى الكلمة...لم تعد تسمع الكلمة

صار كل شئ قابل للتكرير....

أنبوب الغاز يوصل منذ خمسين عاما

من الشمال إلى الجنوب...

وفي قرانا لا يوجد غاز البوتان

يوجد غاز الغضب...

قد عاد أبو لهب...

وطفلة في ريعان الشباب

تخطف من أمام الباب...وعين في قفل الباب

ترقب قانون الغاب

كل مرة

يسألني رجل...

أين أجد يا ابنتي خططا العنوان؟....

فأجيبه دائما..

يا أبت...امش قليلا...قليلا

ودر يمينا قريبا

تجد بيتا غريبا..ورقما عجيبا...

صفر مقلوب

بيت مفجوع

رأس مقطوع

طريق مقطوع

ودر يسارا...ويمينا أيضا..

تجد ثلاثين حزبا

على سنام قائمة...شهداء..شهداء..شهداء...

إمضاء..تزوير..أوراق الأورو...تحريف

زغاريد...

وزير..سوق...كتب..بيض مسلوق.....

كل مرة أغيب عن ذاكرتي...

أظنني في هترفة جديدة...

يعتقلون حرفتي..

يوصدون الأبواب أمامي...

صرت بلا مهنة...بلا بدلة...بلا أمانة

بلا رمز بريدي...بلا حدود

بلا....

تلاشت ملامح وجهي...و صرت شبحا

يطارد هذا الجني...

الذي يسكن رأسي

كان عرفات يوصينا...أن لا ثمن للوطنية...

الكل مجند للتفجير

حتى فضائح عروبتنا

مجندة للتقبيل...

و عرش كرامتنا...مجندة للدبلوماسية...

منذ خمسين عاما و أنا أسمع

عن انتخابات تشريعية

تؤهلني للعمل...
وتمنحني بطاقة الهوية...
كل مرة....
أسألك يا أمي...
هل ذنبي أني ابنة حواء
التي غوت آدم
فأدخلته جنة الرماد....؟
و منحته قابيل و هابيل...؟
هل ذنبي...أني شاركت في إعلان
دولة السابع و الأربعين...؟
أم ذنبي..أني درست في الكتاب..
و على عتبة الباب....
و كنت أحب خرائط الجغرافيا
و أحترف التلوين فيها
فهذي سهوب.هذي هضاب
وهذي أقاليم...
كنت أحفظ الدرس جيدا...
وكنت أحصل على الصفر باليمين
وكنت إذا قبلتك يا أمي

أوقظ كل عمري

في جمع السنين..

ورائحة الياسمين....

كل مرة...

كان لي نصيب من التصفيق...

و نصيب من التصديق...فنحن شعب قابل للتصدير..

قابل لمحو الأمية..و بقايا الهمجية...

ننتعل الكعب العالي...

و التنورات القصيرة..

وقصات الشعر على الموضة القديمة

...فقد كانت جداتنا

توصينا دائما....و تمنحنا حكمة الصبر..أمام رجل عنيد

"لولا الصبر ما كان جيلكم الملعون...

فعرقكم دساس...لأب ثوري

وعمامة صفراء حريرية"...

و خال على الخد....ووشم على الجبين

علامات للأنوثة المغتصبة.....

جيل جداتنا مفعم بالحيوية...

وجيلنا ملعون بثمالة الكمبيوتر....

و الأوراق النقدية....

لولا السيارات الفخمة و البيوت الراقية...

لولا السيجارة الصينية....

ما كانت الحضارة....

ولولا وصايا لقمان لابنه

ووصايا الام للعروس

ووصايا الجامعة العربية

لولاهم جميعا

ما كانت الديمقراطية....

.....و درسنا في الأدب الجاهلي

يوما...

لولا امرئ القيس....

ولولا الأطلال

ما بكينا فلسطين...

الأرض المقدسة

فنصفها تاريخ....ونصفها دين وطين.....

ولدت من هذه الأرض....و شربت من مياهها الجوفية.....

وأكلت زرعها المبارك....

نشأت فيها عربية

سكنت كل شبر فيها

فأنا جزائرية...

وحين قرأت التاريخ...قيل لي عروقك سومرية...

و لعنتك بابلية...وأفكارك غربية...

قيل لي...

انتماؤك شيعي تحزبي

ولون بشرتك...أفعواني..

قيل لي يومها...لعنة الفراعنة تلاحقك

ولعنة الهوقار تتبعك...

ولعنة الأحزاب...و الأفراد...تقتلك...

قيل لي...لا ينفع الاعتقال

في هذه الحالة..ولا تنفع

محاكمة...

فلهجتك بربرية....

وانتماؤك قبلي...

سياستك غامضة...وهذه الفوضى التي تصنعينها...لا تجدي نفعا...

قيل لي...نأخذك لرقية شرعية

ننزع عنك هذا الجني الذي

يسيطر على ديمقراطيتك الغربية...

قيل لي حينها....حرفتك قديمة

يلزمها بعض التعديل الدستوري

وبعض العدالة....

فكل مرة لهجتك جديدة..

فمتى تكون لهجتك العربية.....؟.

بنت الأرض.

فهرست الموضوعات

الموضوع الصفحة

كلمة السيدة منسقة اليوم الدراسي ورئيسة اللجنة العلمية للاحتفاء باليوم العربي للغة الضاد..... 5

خطاب اليوم العربي للغة الضاد..... 7

كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

أ د صالح بلعيد

المداخلات العلمية

إسهام السياسة اللغوية في ازدهار اللغة العربية 15

أ. د. حاكم عمارية

مديرة مخبر الترجمة والتأويل في ظل التواصل متعدد اللغات

جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة

ظواهر التشّكيل الصّوتي وأثرها في جمالية اللّغة العربية..... 53

د. بن ضياف زهرة كريمة

كلية الآداب واللغات والفنون جامعة سعيدة

وظيفة اللغة في نقد الرواية الاجتماعية..... 73

د. حفيظة مخلوف

قسم اللغة العربية وآدابها ــ جامعة سعيدة

أثر القراءة في تعليم العربية..... 85

د . بلحيارة خضرة

جامعة سعيدة

مقترحات للنهوض باللغة العربية داخل الجزائر وعدم التفريط في اللغة الأمازيغية..... 93

عوينان محمد

طالب دكتوراه جامعة الدكتورمولاي الطاهرسعيدة الجزائر.

الاستعمالات اللّغوية في الوسط السوسيولساني الجزائري أسئلة و ملاحظات..... 115

د. بنيني عبد الكريم

قسم اللّغة العربية/ كلّية الآداب و اللّغات جامعة الدكتور الطاهر مولاي- سعيدة/ الجزائر

اللغة بين ممارسة التعلمات وتثبيت الهوية-..... 129

د بن يمينة بن يمينة

أستاذ بجامعة سعيدة

المعجم المدرسي والتهيئة اللغوية..... 159

د. حسنية عزاز

أستاذة محاضرة أ

كلية الآداب واللغات والفنون

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس

مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته في الجزائر..... 169

عبد الكريم رقيعة.

طالب دكتوراه جامعة الدكتور الطاهر مولاي *سعيدة*

جمالية اللغة في القصيدة العربية 185

قصيدة الطالب بخيرة الحسين بعنوان: « بِيَدِ الأَمَاجِدِ تُصْنَعُ الأَمْجَادُ»..... 185
قصيدة الطالب عبد الهادي بوراس بعنوان «أرقى عالم»..... 189
قصيدة الطالب أسامة سلطاني بعنوان «لغتي وأفتخر»..... 190
تباريح جنائزية..... 192

ISBN :978-9947-821-95-4

المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر
الهاتف : 25 /213.021.23.07.24 الناسوخ : 213.021.23.07.07
ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد
www.csla.dz
البريد الإلكتروني : manchourat.csla@gmail.com